

الْحَقُّ وَالْكَذِبُ

من
مناقب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

القرام

أحمد بن محمد بن عبد الوهاب





W. Arthur Jeffery

GENERAL LIBRARY

Arthur Jeffery
Cairo 1938.

العقود السدس

من

مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

تأليف

الإمام الحافظ الحقوقي أبي عبد الله

محمد بن أحمد بن عبد الهادي

رحمه الله

بتحقيق

محمد مراد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ومن علماء الأزهر الشريف

على نفقة

مجموع الفتاوى

الكتبي بميدان الأزهر الشريف وشارع السكة الجديدة بمصر

١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م

مطبعة حجازي بالقاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

BP

80

I 29

I 281

فهرست

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١	مقدمة المؤلف	٢٥	قول الذهبي في حفظ
٢	مولد الشيخ بجران وانتقاله مع والده وأسرتة إلى الشام		الشيخ للحديث وجودة تأليفه
٣	شيوخه وتحصيله العلم	٢٦—٦٧	مصنفات الشيخ
٤	حفظه . وثناء الذهبي عليه	٢٧	قول الشيخ ابن رشيق في وصف تأليف الشيخ
٥	قول بعض قدماء أصحابه	٢٩	خطبة كتاب تنبيه الرجل العاقل
٧	شدته في الحق . وقول المزي وابن الزملاكانى	٦٧	مقدمة الحموية وحقيقة الايمان باسماء الله وصفاته وكتبه ورساله
٩	قول ابن سيد الناس	٨٧	جل نافعة في الرد على الجهمية
١٢	» الشيخ البرزالي	٩٥	بحث في الحمد والشكر مع ابن المرحل
١٣	لغز الرشيد الفاروقى وجواب الشيخ عليه		
٢١	جواب الشيخ رشيد الفاروقى		
٢٢	قول الذهبي أيضا		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٧	بحث ثان في أن بين الحمد والشكر عموما وخصوصا	١٧٧	شجاعة الشيخ وبأسه عند القتال
١١٦	ثناء الذهبي على الشيخ	١٨١	بحث الشيخ مع الرافضة في عصمة غير الانبياء وتوجهه لقتال الكسروانيين
١١٨	جهد الشيخ لقازان رئيس التار	١٨٢	رسالة الشيخ الى السلطان الناصر في وجوب تطهير الجبل من الروافض الحبتاء المفسدين
١١٩	قول ابن دقيق العيد	١٨٤	اعتقاد الروافض في الصحابة والمسلمين
١٢٠	كتاب للشيخ يحض الناس فيه على حرب التار والصبر في ذلك . وتذكيرهم بغزوة الاحزاب ومقارنة فتنة التار بفتنة الاحزاب	١٩٠	حكم كثير من السلف على الرافضة بانهم ليسوا مسلمين
١٣٢	أقسام الناس بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم	١٩٢	تمام الفتح أن ينشر القرآن والسنة الصحيحة في أهل هذا الجيل
١٣٤	المتافقون يوجدون في أهل البدع أكثر من غيرهم	١٩٤	إبطال حيل أهل الطرق المتصوفة الدجالين
١٤١	مقارنة غزوة الاحزاب بغزوة التار للشام		
١٧٥	وقعة شقحب في اول رمضان سنة ٧٠٢		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٩٥	قيام المبتدعين على الشيخ بسبب الحموية	٢٤٠	بحث حسن يتعلق بدلالة اللفظ على المعنى في صفات الله تعالى وصفات الخلق
١٩٦	انتقال الشيخ الى مصر للتحقيق معه	٢٤٣	وجود الشيء هل هو عين ماهيته ، أم لا ؟
١٩٧	سجن الشيخ بقلعة الجبل سنة ونصف ثم خروجه واقامته بمصر يرد على الملحد من الاتحادية	٢٤٥	الكلام على حديث الاوعال
١٩٨	حبس الشيخ في برج الاسكندرية ثم اطلاقه وارجاعه الى القاهرة مكرما	٢٤٨	وصف سفر الشيخ من دمشق الى مصر بأمر السلطان
١٩٨	حكاية البرزالي ما وقع للشيخ بدمشق من المحن سنة ١٩٩٨ بسبب الحموية	٢٥١	كتاب أرسله الشيخ من سجنه بمصر الى دمشق
٢٠٣	احضار الشيخ بمجلس نائب السلطنة ومناقشته في العقيدة	٢٥٢	اخراج ابن مهنا للشيخ من الحب
٢٠٦	حكاية الشيخ لما حصل في هذه المجالس	٢٥٤	قصيدة ابن عبد القوى في مدح الشيخ
٢٣٢	ما كان في المجلس الثاني يوم الجمعة ثاني عشر رجب	٢٥٥	اجتماع الناس على سماع الشيخ في جامع الحاكم وقرآته تفسير سورة الفاتحة
		٢٥٦	عقد مجلس آخر في سادس ربيع سنة ١٠٧٠
			وما جرى في هذا المجلس

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٥٧	كتاب الشيخ من مصر إلى والدته	٢٨٢	حلم الشيخ وعفوه عن ظلمه
٢٥٩	كتاب آخر للشيخ من مصر إلى اخوانه بدمشق ينصحهم أن لا يؤذوا أحدا بسببه	٢٨٣	سكنى الشيخ بالقاهرة وتدرسه للناس
٢٦٧	شكوى الصوفية الشيخ إلى السلطان وحبسه مرة أخرى	٢٨٤	كتاب من الشيخ إلى اقاربه بدمشق
٢٧٠	حكاية البرزالي لما وقع للشيخ في شوال سنة ٧٠٧ من القول في الاستغاثة بغير الله	٢٨٥	قيام جماعة من الغوغاء على الشيخ بجامع مصر وضربه وقيام أهل الحسينية وغيرهم انتصاراً للشيخ
٢٧٢	كتاب الشيخ شرف الدين بن تيمية إلى أخيه بدر الدين	٢٨٩	واقعة أخرى في أذى الشيخ بمصر وخروجه إلى الشام مع الجيش المصرى
٢٧٨	أحضار الشيخ من سجن الاسكندرية إلى القاهرة . وحكاية لابن القلانسي في شجاعة الشيخ وطهارة قلبه واكرام السلطان له	٢٩١	التذكرة والاعتبار والانتصار للابرار) وهو كتاب نفيس جدا للشيخ عماد الدين في الثناء على الشيخ والوصية باتباعه وتأييده
		٣٢١	فتاوى الشيخ بدمشق وبعض اختياراته

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٧٦	قصيدة نجم الدين بن	٣٢٦	سجن الشيخ لفتياه في الطلاق
	التركي في مدح الشيخ	٣٢٧	الكلام على شد الرحال الى
٣٨٣	سؤال في القدر وجواب		القبور
	الشيخ عليه بالشعر فوق	٣٢٩	سجن الشيخ بقلعة دمشق
	المائة بيت	٣٣٠	نص فتوى الشيخ في شد
٣٩٣	مرآى العلماء والشعراء		الرحال
	» مرثية ابن سلا الشافعي	٣٤٢	انتصار علماء بغداد للشيخ
٣٩٥	» بهاء الدين بن عساكر		في مسألة شد الرحال
٣٩٧ - ٤١٢	مرآى أبي الشناء	٣٥٢	تأييد علماء الشام المالكية
	محمود الدقوقي		للشيخ
٤١٣	مرثية الشيخ محمد الجعبري	٣٦١	وفاة الشيخ بالقلعة. و وفاة
٤١٥	» قاسم بن عبد الرحمن		عبد الله أخى الشيخ
	المقرئ	٣٦٣	معاملة الشيخ في سجنه
٤٢٤	» نجم الدين بن ألى		بالقلعة
	التركي	٣٦٤	ما كتب الشيخ في
٤٢٥	» محي الدين الجوخى		السجن
	الحياط	٣٦٩	ما كتبه العلماء في وفاة
٤٢٨	» برهان الدين التبريزي		الشيخ و وصف جنازته
٤٣٣	» الحافظ الذهبي	٣٧٥	تضرعات شعرية إلى الله
٤٣٥	» أقش الشبلى		تعالى قالها في السجن

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٣٤	مرثية لبعضهم	٤٩٠	للشيخ صفي الدين البغدادى
٤٤٠ - ٤٥٤	مرث للشيخ	٤٩٣	« زين الدين بن أقش
سعدان بن نجيج، عدة قصائد		الشبلى	
٤٥٥	مرثاة اخرى لبعضهم	٤٩٧	« شمس الدين الصالحى
٤٥٧	مرثيتان للشيخ بدر الدين	الحنبلى	
النحوى الماردانى		٥٠٠	« مرثية لم يعرف قائلها
٤٦٢	للشيخ جمال الدين عبد	٥٠٢	كتاب للشيخ عبد الله بن
الصمد الحنبلى		حامد فى الثناء على الشيخ	
٤٦٥ - ٤٧٦	مرث للشيخ	والتأسف على عدم تمكنه	
عبد الله بن خضر المقيم		من لقائه	
٤٧٦	للشيخ جمال الدين محمود بن	٥٠٧	مرثية الشيخ ابن الورى
الأمير الحلبي		٥٠٩	« لم يعرف قائلها
٤٧٩	للشيخ على بن غانم المقدسى	٥١٠	« الشيخ احمد بن
٤٨١	لبدر الدين محمد بن عز	فضل الله	
الدين المصرى		٥٠٠	« محمد أبو طاهر البعلى
٤٨٦	للشيخ قاسم المقرئ	الحنبلى	
٤٨٨	« برهان الدين العجمى		

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعين ونستهدى ونستغفره . ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن
يضل فلن تجد له وليا مرشدا . والصلاة والسلام على أشرف رسل الله
وخاتم أنبيائه الذي بعثه الله رحمة للعالمين . وإماما للمتقين . بعثه ليقيم الملة
العوجاء ، وينقذ العقول مما كبلها به الخرفون ، والمترأسون الدجالون ، والجهالة
المتعصبون ، والسفهاء المقلدون لما ورثوا عن الآباء والشيوخ . وما زال هذا
الرسول الأكرم يجاهد تلك الطوائف باللسان والسيف ، حتى أتم الله
نوره ونصر عبده ، وأعز جنده . وهزم حزب الشيطان وحده . وتمت
كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . ثم رفع
الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى . وتحمل أمانة العلم
والدين والجهاد بعده صحابته الأبرار ، ووزراءه الأخيار . وما زالوا
يبذلون النفس والنفيس حتى خفقت راية الاسلام على مشارق الأرض
ومغاربها ، وقام الداعون إلى الله يشقون بأصواتهم عنان القضاء مؤذنين :
الله اكبر . الله اكبر . وما زال هذا الأمر على منضة العزة ، وكلمة الحق

على قمة الكرامة حتى استطاع أعداء الاسلام ان يندسوا بين ظهراني المسلمين ، وأن يلبسوا الحق بالباطل ويزخرفوا الشبهات والشكوك باسم الدين ، وفي صورة تنزيه الله سبحانه عما لا يليق به . فردوا آيات الله وحرفوا كتاب الله . وعطلوا صفاته العليا . ونقوا أسماءه الحسنى التي وصف بها نفسه ، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم . وما زالوا يجلبون بنظريات اليونان ، ومقالات الفرس والهند ، وآراء الجعد بن درهم والجهم بن صفوان واخوانهما من أولئك الزائغين الملحدين حتى راجت تلك الترهات ، ومضت في طريقها إلى القلوب المريضة تفرح بها ، وإلى الأقلام تسجلها على الصحف وتسود بها وجوه الكتب . وتنقلها جرائم فساد وإفساد إلى الذين فتنوا بها . وكلما انتقلت إلى طبقة زادت عندهم رواجاً وتمكناً ، لبعدهم عن نور النبوة وعصر الرسالة . والآخرون إلى يوم القيامة حتى كان القرن السادس الهجري ، وقد قام سوق هذه العقائد المفسدة ونفقت البدع والخرافات الشركية بعبادة الموتى والقبور وآثار الصالحين أيما نفاق . وملك على الناس أزمة عقولهم وقلوبهم الهوى والعصبية لآراء الشيوخ والمتبوعين في الأصول والفروع ، والسلوك . فقيض الله لهذا الدين بطلاً من أعظم الأبطال ، ومجاهداً من أشجع المجاهدين . هو شيخ الاسلام ابن تيمية فقد رزقه الله من كل أسباب الظفر ، وآتاه من كل آلات النصر في هذا الميدان : حافظة معدومة النظير ، وذكاء نادراً ، وفراغ وقت

وبال . وسعة صدر وعظم صبر . وصدق إيمان بالله ، وبصيرة وقادة
وقلب حشى نوراً وهدى . وثقة بالله وحده . استغل شيخ الإسلام ابن تيمية
كل ذلك فأثمر له أطيب الثمرات حتى كان في مجموعه نادرة الدهر ،
ووحيد العصر . وآية الله على عباده . كما سترى كل ذلك في هذه الترجمة
وقد ترجمه علماء عصره ومن بعدهم تراجم واسعة . وأفاضوا
في مناقبه أيما إفاضة . وأعجبوا كل الإعجاب بمواقفه التي بيض الله
بها وجه الإسلام أمام أعدائه : من النصارى واليهود والتتار ، والملحدین ،
والرافضة ، والزنادقة ، والجهمية المعطلة ، والمبتدعة ، والمقلدين وعباد
الموتى ، وغيرهم . وكيف صمد لهؤلاء جميعاً وآتاه الله من قوة اليقين
وشجاعة القلب والنفس ، وقوة الحجة ما أخرسهم وقطع أسنتهم
وسود وجوههم ، حتى استعانوا عليه بالزور والافتراء والتحريف
لقوله . ووصلوا في هذا الجو الجاهل إلى بعض ما أرادوا من حبسه . ولكنهم
لم يصلوا إلى حجته ، ولا إلى إسنانه ، ولا إلى قلبه وهديه . فكم أفاد ،
وكم هدى إلى الله ، وكم أشعل مصباح العرفان وأضاء سراج السنة ، وأيقظ
غافلين وعلم جاهلين . ولا يزال على مدى الدهر نبراساً للمهتدين ، وآية
للسالكين ، وميزاناً نعرف بحبه والانتفاع بكتبه الضالين عمى القلوب
من المهتدين إلى سبيل الله على بصيرة ونور . ومهما كتب السكاتبون
في مدح ابن تيمية فهو لكل ما يقولون أهل . ومهما قال الجاهلون الضالون

الزائغون فعذرهم أنهم عمى القلوب والبصائر. وإن كثيرا منهم ليكتُمون الحق وهم يعلمون. بغيا وحسدا. فليموتوا بغيتهم، كما مات سلفهم الأحق الجاهل الخادع الغاش. وابن تيمية بعد كل هذا في السماء الأعلى، وفي صف الأئمة الأعلام، ورفع الله - رغم أنف أولئك الزعانف المأفونين - على أرائك شيوخ الإسلام المهتدين الهادين

واسمع لما نقله الحافظ ابن رجب في طبقات الحنابلة في ترجمة الشيخ ابن تيمية - وقد ترجم له ترجمة واسعة - قال في أثنائها :

بقي في القلعة مدة يكتب العلم ويصنفه ويرسل إلى أصحابه الرسائل ويذكر ما فتح الله به عليه في هذه المرة من العلوم العظيمة، والأحوال الجسيمة. وقال عن نفسه :

فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء مات كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن

ثم إنه منع من الكتابة ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق فأقبل على التلاوة والتهجيد والمناجاة والذكر

قال شيخنا أبو عبد الله بن القيم : سمعت شيخنا شيخ الإسلام ابن

تيمية . قدس الله روحه ونور ضريحه يقول :

إن في الدنيا جنسة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة .

وقال لى مرة : ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى
 أين رحت فهمى معى لا تفارقنى . أنا حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ،
 واخراجى من بلدى سياحة
 وكان فى حبسه يقول : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندى
 شكر هذه النعمة ، أو قال : ما جازيتهم على ما ساقوا الى من الخير .
 وكان يقول فى سجوده وهو فى السجن : اللهم أعنى على ذكرك
 وشكرك وحسن عبادتك

وقال مرة : الحبوس من حبس قلبه عن ربه . ولما سور من
 أسره هواه

ولما دخل القلعة وصار داخل سورها . نظر إليه وقال (فضرب
 بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

قال شيخنا : وعلم الله ، ما رأيت أحداً أطيّب عيشاً منه قط ، مع
 ما كان فيه من الحبس والتهديد والارجاف . وهو مع ذلك أطيّب الناس
 عيشاً وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وأسروهم نفساً . تلوح نضرة النعيم
 على وجهه . وكنا إذا اشتد الخوف ، وسامت الظنون . وضائق بنا الأرض
 أتيناها . فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه . فيذهب عنا ذلك كله وينقلب
 انشراحاً وقوة و يقينا وطمأنينة . فسبحان من أشهد عباده جنته قبل

لقائه . وفتح لهم أبوابها في دار العمل . فآثام من روحها ونسيمها وطيبها
ما استفرغ قواهم لطلبها والمساقة اليها . انتهى
وهانحن تقدم اليك (العقود الدرية) من تأليف أحد كبار تلاميذ شيخ
الاسلام . ونسختها الوحيدة على ما نعلم في المكتبة الظاهرية بدمشق
وعنها أخذ أصلنا الذي طبعنا عليه : الشيخان أبو عبد الله محمد بن حسن
وأبو اسماعيل يوسف حسين بن محمد حسن
وقد كتب بخط هندي فارسي جميل به صعوبات زلها الله .

ترجمة الشيخ ابن عبد الهادي

محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن
يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي ، الجماعلي الأصل ، ثم الصالحى
الفقيه المحدث الحافظ الناقد النحوى المتفنن ، شمس الدين .
أبو عبد الله بن العماد أبي العباس

ولد في رجب سنة ٧٠٤ وقرأ بالروايات . وسمع الكثير من القاضى
أبى الفضل سليمان بن حمزة ، وأبى بكر بن عبد الدايم ، وعيسى بن
المطعم ، والحجار . وزينب بنت الكمال . وخلق كثير . وعنى بالحديث
وفنونه ، ومعرفة الرجال والعال . وبرع في ذلك وتفقه في المذهب وأفتى

وقرأ الأصلين والعربية وبرع فيهما . ولازم الشيخ نقي الدين بن تيمية مدة . وقرأ عليه قطعة من الأربعين في أصول الدين للرازي . وقرأ الفقه على الشيخ مجد الدين الحراني . ولازم أبا الحجاج المزني الحافظ حتى برع عليه في الرجال . وأخذ عن الذهبي وغيره .

وقد ذكره الذهبي في طبقات الحفاظ . فقال : ولد سنة ٧٠٥ ، أو ست وسبع مائة — واعتنى بالرجال والعلل . وجمع . وتصدى للأفادة والاشتغال في القرآن والحديث والفقه والأصلين . والنحو . وله توسع في العلوم . وذهن سيال

وذكره في معجمه المختصر . وقال : عني بفنون الحديث ومعرفة رجاله ، وذهنه مليح . وله عدة محفوظات وتآليف وتعاليق مفيدة . كتب عني واستفدت منه

قال : وقد سمعت منه حديثاً يوم درسه بالصدرية . ثم قال : أخبرنا المزني إجازة أخبرنا أبو عبد الله السروجي أخبرنا ابن عبد الهادي — فذكر حديثاً

درس ابن عبد الهادي بالصدرية وغيرها . وكتب بخطه الحسن المتقن الكثير . وصنف تصانيف كثيرة ، بعضها كله ، وبعضها لم يكمله لهجوم المنية عليه في سن الأربعين

فمنها : تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق لابن الجوزي . مجلدان

الأحكام الكبرى المرتبة على أحكام الحافظ الضياء . كمل منها سبع مجلدات . الرد على أبي بكر الخطيب الحافظ البغدادي في مسألة الجهر بالبسملة . مجلد . المحرر في الأحكام . مجلد . فصل النزاع بين الخصوم في الكلام على أحاديث « أفطر الحاجم والمحجوم » . لطيفة . الكلام على أحاديث الذكر . جزء كبير . الكلام على حديث « البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته » جزء كبير . الكلام على حديث القلتين . جزء . الكلام على حديث معاذ في الحكم بالرأى . جزء كبير . الكلام على حديث « أصحابي كالنجوم » جزء . الكلام على حديث أبي سفيان « ثلاث أعطيتهن يارسول الله » والرد على ابن حزم في قوله : انه موضوع . جزء . كتاب العمدة كمل منه جزءان . الكلام على أحاديث مختصر ابن الحاجب مختصر ومطول الكلام على أحاديث كثيرة فيها ضعف من المستدرك للحاكم . أحاديث الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جزء . منتقى من مختصر المختصر لابن جزيمة ، ومناقشته على أحاديث أخرجها فيه فيها مقال . مجلد . الكلام على أحاديث الزيارة . جزء . مصنف في الزيارة . مجلد . الكلام على أحاديث محلل السياق . جزء . جزء في مسافة التقصير . جزء في قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى — الآية) جزء في أحاديث الجمع بين الصلاتين في الحضر . الأعلام في ذكر مشايخ الأئمة الأعلام أصحاب الكتب الستة . عدة أجزاء . الكلام على حديث : « الطواف

بالبیت صلاة . جزء كبير في مولد النبي صلى الله عليه وسلم . تعلیقة على سنن البيهقي الكبرى . كمل منها مجلدان . جزء كبير في المعجزات والكرامات . جزء في تحریم الربا . جزء في تملك الأب من مال ولده ماشاء . جزء في العقیقة . جزء في الأكل من الثمار التي لاحاط لها . الرد على ألكیاء الهراسی . جزء كبير .

ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية . مجلد .

وذكر له عدة مؤلفات كثيرة

ثم قال : وله تعاليق كبيرة في الفقه وأصوله والحديث ، ومنتخبات كثيرة في أنواع من العلم . وحدث بشيء من مسموعاته . وسمع منه غير واحد . وقد سمعت من أبيه . فإنه عاش بعده نحو عشر سنين توفي الحافظ أبو عبد الله في عشر جمادى الأولى سنة ٧٤٤ ودفن بسفح قاسيون . وشيعه خلق كثير . وتأسفوا عليه . ورؤيت له منامات حسنة رحمه الله تعالى

منقولة عن طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب

نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم (٤٤١١ فن التاريخ)

هذا ونرجو الله أن ينفع بها . ويوفق المسلمين وعلماءهم لمثل

ما وفق له شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه .

وكتبه الفقير إلى عفو الله

محمد حامد الفقي

القاهرة } ١١-٩-١٣٥٦
} ١١-١-١٩٣٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حسبي الله ونعم الوكيل

قال الشيخ الامام الحافظ المحقق ، أبو عبد الله : محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي ، رحمه الله ورضي عنه . وأثابه الجنة بفضلته ورحمته وإيانا وسائر المسلمين :

الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد : فهذه نُبذة يسيرة مختصرة في ذكر حال سيدنا وشيخنا : شيخ الاسلام ، تقي الدين ، أبي العباس أحمد بن تيمية ، تيمية رحمه الله ورضي عنه وأثابه الجنة برحمته ، وذكر بعض مناقبه وبعض مصنفاته .

هو الشيخ الامام الرباني ، امام الأئمة ، ومفتي الأمة ، وبحر العلوم ، سيد الحفاظ ، وفارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر ، وقريع الدهر ، شيخ الاسلام بركة الأنام وعلامة الزمان ، وترجمان القرآن ، علم الزهاد وأوحد العباد قانع المبتدعين ، وآخر المجتهدين تقى الدين أبو العباس : أحمد بن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين ، أبي المحاسن عبد الحليم ، ابن الشيخ الامام العلامة ، شيخ الاسلام ، محمد الدين ، أبي البركات : عبد السلام بن أبي محمد عبد الله ، بن أبي القاسم الخضر ، بن محمد بن الخضر ، بن علي ، بن عبد الله ابن تيمية الحرّاني نزيل دمشق ، وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها .

قيل : إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء ، فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتا فقال : ياتيمية ، ياتيمية ، فلقب بذلك قال : ابن النجار ذكر لنا أن جده محمداً كانت أمه تسمى تيمية ، وكانت واعظة ، فنسب إليها وعرف بها .

ولد شيخنا أبو العباس بخران ، يوم الاثنين عاشر - وقيل ثاني عشر - [شهر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ] إحدى وستين وستمائة وسافر والداه وبأخوته إلى الشام عند جوار التتار ، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة ، لعدم الدواب ، فكاد العدو يلحقهم ، ووقفت العجلة فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به فنجوا وسلموا

وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين وستائة ، فسمعوا من
 الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى جزء ابن عرفة
 كله ^(١) ثم سمع شيخنا الكثير من ابن أبي اليُسْر والكمال
 ابن عبد ، والمجد بن عساكر وأصحاب الخشوعى . ومن الجلال يحيى بن
 الصيرفى ، وأحمد بن أبي الخير والقاسم الأربلي . والشيخ نضر الدين بن
 البخارى والكمال عبد الرحيم وأبى القاسم بن علان . وأحمد بن
 شيبان ، وخلق كثير

وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتى شيخ .
 وسمع مسند الامام أحمد بن حنبل مرات . وسمع الكتب الستة
 السكبار والأجزاء . ومن مسموعاته معجم الطبرانى الكبير .
 وعنى بالحديث وقرأ ونسخ ، وتعلم الخط والحساب فى المكتب ،
 وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ العربية على ابن عبد القوى ثم فهمها
 وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم فى النحو ، وأقبل على التفسير
 إقبالا كلياً . حتى حاز فيه قصب السبق ، وأحكم أصول الفقه وغير
 ذلك .

هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة . فأنهر أهل دمشق من
 فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة إدراكه

(١) كانت فى الأصل « ذلك »

واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال سمعت في
 البلاد بصبي يقال له أحمد بن تيمية ، وأنه سريع الحفظ ، وقد جئت
 قاصداً لعلّ أراه . فقال له خياط : هذه طريق كتابه وهو إلى الآن ماجاء
 فاقعد عندنا ، الساعة يحىء يعبر علينا ذاهبا إلى الكتاب . فجلس الشيخ
 الحلبي قليلا ، فر صبيان ، فقال الخياط للحلبي : هذاك الصبي الذي معه
 اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية ، فناده الشيخ ، فجاء إليه ، فتناول الشيخ
 اللوح ، فنظر فيه ثم قال : يا ولدى امسح هذا حتى أملى عليك شيئا تكتبه ،
 ففعل ، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر ، أو ثلاثة عشر ، حديثا
 وقال له : اقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه ، ثم دفعه إليه
 وقال : اسمعه على فقرأه عليه عرضا كأحسن ما أنت سامع . فقال له : يا ولدى
 امسح هذا ، ففعل ، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها ، ثم قال : اقرأ هذا ، فنظر
 فيه ، كما فعل أول مرة ، فقام الشيخ ، وهو يقول ، إن عاش هذا الصبي
 ليكون له شأن عظيم فإن هذا لم يُر مثله . أو كما قال .

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي - نشأ : يعني الشيخ تقي الدين -
 رحمه الله في تصوّن تام ، وعفاف وتأله وتعبد ، واقتصاد في الملبس والمأكل
 وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، وينظر ويفهم الكبار ، ويأتى
 بما يتحير منه أعيان البلاد في العلم . فافتي وله تسع عشرة سنة ؛ بل أقل
 وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت ، وأكبَّ على الاشتغال ، ومات

والده - وكان من كبار الخطابة وأئمتهم - فدرس بعده بوظائفه ، وله إحدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره ، وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجمع على كرسى ، من حفظه ، فكان يورد المجلس ولا يتعلم . وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جهورى فصيح .

وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا - وقد ذكر نبذة من سيرته :-
أما مبدأ أمره ونشأته ، فقد نشأ من حين نشأ في حجبور العلماء ، راشفا كؤوس الفهم راتعا في رياض التفقه ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون ، لا يلوى إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بعمالي الأمور ، خصوصا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها ، ولم يزل على ذلك خلفا صالحا سلفيا متألها عن الدنيا صَيِّئًا تَقِيًّا ، برًّا بأمه ، ورعا عفيفًا ، عابداً ناسكا ، صواماً قواما ، ذا كرا لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال ، رجاءا إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا ، وقافا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بالمعروف ، لاتكاد نفسه تشبع من العلم ، فلا تروى من المطالعة ولا تملُّ من الاشتغال ، ولا تَكلُّ من البحث ، وقلَّ أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويُفتح له من ذلك الباب أبواب ، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذَّاق أهله . مقصوده الكتاب والسنة . ولقد سمعته في مبادئ أمره يقول : إنه ليقف خاطري في المسألة والشئ

أو الحالة التي تشكل على فاستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر وأقل ، حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل ، قال : وأكون إذ ذاك ، في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة ، لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي .

قال هذا صاحب : ولقد كنت في تلك المدة وأول النشأة إذا اجتمعت به في ختم أو مجلس ذكر خاص مع أحد المشايخ المذكورين ، وتذاكروا وتكلم مع حداثة سنه أجد لكلامه صولة على القلوب ، وتأثيرا في النفوس ، وهيبة مقبولة ، ونفعا يظهر أثره وتنفع له النفوس التي سمعته أياما كثيرة بعقبه ، حتى كان مقالُه بلسان حاله ، وحالُه ظاهر في مقالِه . شهدت ذلك منه غير مرة .

قلت : ثم لم يبرح شيخنا رحمه الله في ازدياد من العلوم وملازمة الاشتغال والإشغال ، وبث العلم ونشره ، والاجتهاد في سُبُل الخير ، حتى انتهت إليه الامامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والانابة ^(١) والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسائر أنواع الجهاد ، مع الصدق والعفة والصيانة ، وحسن القصد والاخلاص ، والابتغال إلى الله وكثرة الخوف منه ، وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالأثر ، والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق ،

(١) بهامش الأصل « لعله الانابة » وكل منهما صحيح

ونفع الخلق والاحسان اليهم والصبر على من آذاه ، والصفح عنه والدعاء له ، وسائر أنواع الخير .

وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين ، وشجىً في حلق أهل الأهواء المبتدعين ، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين ، وكان بحراً لا تُكدره الدلاء وحبراً يقتدى به الأخيار والالباء ، طنت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج^(١) ما رأيت مثله : ولا رأى هو مثل نفسه . وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه . وقال العلامة كمال الدين بن الزملي كاني^(٢) : كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرأي والسماع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله . وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فاتقطع معه . ولا تكلم في علم من العلوم ، سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلافاق فيه أهله والمنسوبين إليه . وكانت له اليد الطولى في حسن

(١) هو الامام الحافظ الناقد : أبو الحجاج يوسف المزى . ولد سنة

٦٥٤ بالمزة . وتوفي سنة ٧٤٢

(٢) قاضى القضاة . الشافعى . ولد سنة ٦٦٧ . وتوفي ببليس سنة

٧٢٧ . ودفن بالقاهرة .

التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين .

ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر . فكتب فيها مجلدة كبيرة . وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود ، فكتب فيها مجلدة كبيرة ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة ، ولا طول بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء . وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها .

وقرأت بخط الشيخ كمال الدين أيضا ، على كتاب بيان الدليل على إبطال التحليل لشيخنا - وقد ذكر ترجمته - فقال : من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ السيد الامام العالم العلامة ، الأوحد البارع ، الحافظ الزاهد الورع ، القدوة الكامل العارف ، تقي الدين : شيخ الاسلام ومفتي الأنام ، سيد العلماء قدوة الأئمة الفضلاء ، ناصر السنة ، قانع البدعة حجة الله على العباد ، راد أهل الزيغ والعناد ، أوحد العلماء العاملين آخر المجتهدين أبي العباس : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد بن تيمية الحراني . حفظ الله على المسلمين طول حياته . وأعاد عليهم من بركاته . إنه على كل شيء قدير .

وقرأت أيضا بخطه - على كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام - :

تأليف الشيخ الامام العالم العلامة الأُوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد
القدوة إمام الأئمة ، قدوة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ،
آخر المجتهدين أُوحد علماء الدين ، بركة الاسلام حجة الأعلام ،
برهان المتكلمين ، قانع المبتدعين محيي السنة ، ومن عظمت به لله علينا
المنة ، وقامت به على أعدائه الحجة واستبانت ببركته وهديه الحجة .
تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى .
أعلى الله مناره وشيّد به من الدين أركانه .

ماذا يقول الواصفون له * وصفاته جلّت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة * هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية للخلق ظاهرة * أنوارها أربت على الفجر

وقرأت على آخر هذا الكتاب طبقة بخط الذهبي ^(١) ، يقول فيها :

سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الامام العالم العلامة الأُوحد شيخ

الاسلام ، مفتى الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم ، حبر القرآن

تقى الدين سيد العبّاد : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية

الحرانى . رضى الله عنه .

وقال الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح بن سيد الناس اليعمرى

(١) الامام محمد بن أحمد بن عثمان . ولد سنة ٦٧٣ . وتوفى سنة ٧٤٨

المصرى ^(١) ، بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ جمال الدين أبي الحجاج
 المزني — : وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام
 تقي الدين أبي العباس أحمد بن الحليم بن عبد السلام بن تيمية .
 فألفيته ممن أدرك من العلوم حظا ، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا
 إن تكلم في التفسير فهو حامل رأيته ، أو أفق في الفقه فهو مدرك غايته ، أو
 ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم
 ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته . برز في كل فن على
 أبناء جنسه . ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه . كان
 يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجمل الغفير ، ويردون من بحر علمه العذب
 النثير ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير ، إلى أن دب إليه من
 أهل بلده داء الحسد ، وألب أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه
 [في] حنبليته من أمور المعتقد فحفظوا عنه في ذلك كلاما ،
 أو سعوه بسببه ملاما ، وفوقوا لتبديعه سهاما ، وزعموا أنه خالف
 طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعه ، وقاطع بعضهم وقاطعه
 ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة . ويزعمون أنهم
 على أدق باطن منها وأجلى حقيقة ، فكشف تلك الطرائق وذكر لها —

(١) محمد بن محمد الأندلسي ، ثم المصري . ولد سنة ٦٧١ . وتوفي
 بالقاهرة سنة ٧٣٤ .

على مازعم - بواثق ، فأضت إلى الطائفة الأولى من منازعيه ، واستعانت
 بذوى الضغن ^(١) عليه من مقاطعيه ، فوصلوا بالأمرأ أمره . وأعمل كل
 منهم في كفره فكره . فكتبوا محاضر ، وألبوا الرؤيضة للسعى بهابن
 الأكاير . وسعوا في نقله إلى حضرة المملكة بالديار المصرية ، فنقل وأودع
 السجن ساعة حضوره ، واعتقل ، وعقدوا لاراقة دمه مجالس ، وحشدوا
 لذلك قوما من عمار الزوايا وسكان المدارس من محامل في المنازعة ،
 مختال بالتحادة ، ومن مجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة ، يسومونه ريب
 المنون (وربك يعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون) وليس المجاهر بكفره
 بأسوأ حالا من المختال ، وقد دبَّت إليه عقارب مكره ، فرد الله كيد كل في
 نحره . فنجاه على يد من اصطفاه والله غالب على أمره ، ثم لم يخل بعد ذلك من
 فتنة بعد فتنة ، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة ، إلى أن فوَّض
 أمره لبعض القضاة فقلَّد ماتقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين
 ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله ، وإلى الله توجع الأمور وهو المطلع على خائنة
 الأعين وما تخفي الصدور . وكان يومه مشهودا ضاقت بمنازرته الطريق وانتابها
 المسلمون من كل فج عميق ، يتبركون بمشهد يوم يقوم الأشهاد ، ويتمسكون
 بشرَّجعه ^(٢) حتى كسروا تلك الأعواد . وذلك في ليلة العشرين من ذي القعدة

(١) في الأصل « الضغن »

(٢) الشرجع - كجعفر - : النعش والجنائزة

سنة ٧٢٨ ثمان وعشرين وسبعائة بقلعة دمشق المحروسة . وكان مولده
بحران في عاشر شهر ربيع الأول من سنة ٦٦١ إحدى وستين وستماية
رحمه الله وإيانا .

ثم قال : قرأت على الشيخ الامام حامل راية العلوم ، ومدرّك غاية
الفهوم ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية
رحمه الله بالقاهرة - قدم علينا - قلت له : أخبركم الشيخ الامام زين الدين
أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي - ثم ذكر حديثا
من جزء ابن عرفة .

وقال الشيخ علم الدين البرزالي ^(١) في معجم شيوخه :

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم
بن محمد بن تيمية الحراني ، الشيخ تقي الدين أبو العباس الامام المجمع على
فضله ونبله ودينه . قرأ الفقه ^(٢) وبرع فيه والعربية والأصول ، ومهر في
علمي التفسير والحديث . وكان إماما لا يلحق غباره في كل شيء ، وبلغ
رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه شروط المجتهدين ، وكان إذا ذكر التفسير
بُهِت الناس من كثرة محفوظه وحسن إirاده وإعطائه كل قول

(١) هو القاسم بن محمد ، الامام الحافظ الناقد . ولد سنة ٦٦٥ .

ومات سنة ٧٣٨ في طريقه إلى الحج ، محرما .

(٢) في مجموعة الرد الوافر (ص ٦٥) قرأ القرآن وبرع فيه

ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والابطال ، وخوضه في كل علم كان
الحاضرون يقضون منه العجب ، هذا مع انقطاعه الى الزهد والعبادة
والاشتغال بالله تعالى والتجرد من أسباب الدنيا ، ودعاء الخلق الى الله
تعالى . وكان يجلس في صبيحة كل جمعة على الناس يفسر القرآن العظيم
فانتفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته ، وصفاء ظاهره
وباطنه ، وموافقة قوله لعمله وأتاب الى الله خلق كثير . وجرى على
طريقة واحدة من اختيار الفقر والتقلل من الدنيا رحمه الله تعالى ، ورد
ما يفتح به عليه .

وقال في موضع آخر : كان قد نظم شيئاً يسيراً في صغره ، وكتبت
عنه إذ ذاك ، ثم إنه ترك ذلك وأعرض عنه ، وسئل عن مسألة القدر
بنظم ، فاجاب فيها بنظم . وقد قرىء عليه وسمع منه . وحل لغز
الرشيد الفارقي بأبيات تشتمل على نحو مائة بيت على وزن اللغز . وذلك
في حياة والده رحمه الله تعالى ، وله نحو العشرين من العمر وكان حله في
أسرع وقت .

قلت : هذا اللغز الذي أشار إليه الشيخ علم الدين نظمته الشيخ الامام
العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن اسماعيل بن مسعود الفارقي في
اسم ألغزه ، بوصف أبرزه ، في لفظ أوجزه ، لفهم أعجزه
ما اسم ثلاثي الحروف فتلثه * مثل له ، والثالث ضعف جميعه

والثلث الآخر جوهر حلت به ال * أ عراض جمعاً ، فاعجبوا لبديعه
وهو المثلث ، جذره مثل له * وإذا يُربّع بان في تريعه
جزء من الفلك العلى ، وإنما * باقيه خوف ، أو أمان مروعه
حتى جُهاد ساكن متحرك * إن كنت ذا نظر إلى تنويعه
وتراه مع خمسيه علة كونه * معاوله سرا بغير مزيعة
وبغير خمسيه جميع النجومو * جود ومحمول على موضوعه
وبحاله فعل مضى مستقبلا * حمدت صناعته لحمد صنيعه
قيد لمطلقه ، خصوص عمومه * زيد لمفرده على مجموعته
شئ مقيم في الرحيل ويمكن * كالاستحيل ، بطيئه كسريعه
وأهم مافي الشرع والدين اسمه * ومضافه بأصوله وفروعه
ودقيق معناه الجليل مناسب * علم الخليل^(١) وليس من تقطيعه
وإذا عروضي تطلب حله * ألفاء في المفروق أو مجموعته
وإذا ترصعه بدر فريده * عقدا يزين الدر في ترصيعه
للمنطق وللحكيم نتاجه * وعلاجه بذهابه ورجوعه
وله شعار أشعري واعتقا * دحنبلي ، فاعجبوا لوقوعه
وتمامه في قول شاعر كندة : * ماحافظ للعهد مثل مضيعه
يرويك في ظلماً ندّى بوروده * ويريك في ظلم هدىً بطالوعه

(١) هو علم العروض الذي وضعه الخليل بن احمد

ولقد حلت اللغز إجمالا وفي * تفصيله تفصيل روض ربيع
 فاستجل بكرة من ولي بالخلي * تهدي لكف الفضل بين ربوعه
 فأجاب العبد الفقير لى ربه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
 ابن تيمية ، حلا لمعضله ، وفصلا لمجمله ، وفتحاً لمقفله ، وشرحاً لمشكله :

يا علما قد فاق أهل زمانه * بفنونه وبياته وبديعه
 وغدا لأعلام العلوم منارهم * يهذى الهداة إلى منير ربوعه
 وأجاد نظماً عقده جيد عقيلة * من در بحر العلم فى ترصيعه
 وجلا المعارف فى عوارف لفظه * أخذاً لعرف العلم من ينبوعه
 وأبان عما قد حوى من كل فنه * ن قد أحاط بأصله وفروعه
 ببيان السحر الخلال ولفظه * العذب الزلال ولفظ حسن صنيعه
 بغزير علم وافتنان واسع * أغزت علما فى فنون وسيعه
 حليته بدقيق وصف صنته * بجليل لفظ ناء عن موضوعه
 روصفته بحلى العلوم وأهلها * وبعته بضروبه وضروعه
 وجمعت فى أوصافه الاضدا * د ، حتى استيأس الطلاب من تتبعه
 والعبد لما أن تأمل نظمكم * بنظامه ألقى له فى روعه :
 أن الذى أغزتم علم ولم * يجعل المظنون من مقطوعه
 لكنه أمسى يحليه بما * حليته ويغوص فى توقيعه
 حتى تجلّى الحق من ظلماته * فى ليلة من قبل وقت هجوعه

فإذا الذي قد عن أول مرة * حق تبلج فخره بطلوعه
ورأيت فيه الوصف إما باديا * أو خافيا معناه في مسموعه
لدقيق مغزاه ولطف إشارة * وبعد حلاه عن موضوعه (١)
فقدوت أكشف عنه كشاف موجزا * بإشارة تهدي لشطر بقیعه
فاسمع حل حلاه في تفصيله * واشهد بقلب مقبل بهطوعه
«العلم» لفظ ذو ثلاثة أحرف * وهجاء كل مثل ما مجموعته
فاذا يكون مركبا من تسعة * جذرا لها ، فانظر إلى تريعه
ومربعا ساواه جذر حسابه * ومثلثا بمحدوده وضلوعه
ويكون أثلاثا ، فثلاث مثله * هو : لامة ، إن خضت في توزيعه
والميم في الجمل الكبير حسابه * هو أربعون بقول أهل ربيعه
والميم في الجمل الصغير حسابه * عشرون ، هذا الثلاث ضعف جميعه
والثلاث عين ، عين كل ذاته * هو جوهر ، والوصف في موضوعه
إذ كانت الأعيان قائمة بها لا * أعارض جمعا ، فافطنوا لجموعه
حكم يخص العين حرفا واحدا * من بين جنس الحرف في تنويعه
هو تسعة في أصله والعالم العا * وى منه تسعة برقيعه
العرش والكرسى والسبع السم * وات الطباق ، فالاسم جزء رفيعه

من عالم الملكوت، أعنى الغيب، إذ
 لم يبق إلا الجنة أو جاحم
 بالعالم يحيى الله قلباً ميتاً
 فلأنه يحيى، اسمه : حى، إذ لا
 ولأنه يسرى، اسمه : متحرك
 ذا الوصف عقلياً، وفى حسية
 إذ كان نوع العلم معنى جنسه
 والحى والمتحرك الوصفان يح
 إذ كان فى المحسوس ليس بقاءم
 أما إذا ما جرد العقول فالـ
 ثلثاه حرفا العين والميم هما
 لو إذ جمعت حسابه فى أكثر^(١)
 فربما يضحى، ويضحى جذره
 فالجذر علتة ومعلول له
 فالجذر معلول لجذر كائن
 فلكونه معلول معلول له
 عنه كنى لعلو شأن صنيعه
 فيه الخفاة، أو أمان مروعه
 يسرى كنور ضاء حين سطوعه
 أحياء فرع حياة رب صنيعه
 لوحا تنقله بذهن قريعه
 هو جامد، هو ساكن بربروعه
 عرض يقوم بمستوى موضوعه
 تصان شخصا جوهرها ببقيعه
 عرض بآخر مثله وتبيعه
 ووصفان فى المعنى له بربريعه
 فى اللفظ من عدم وفى تنويعه
 وأضفت خمسه إلى مجموعته
 مع أربع عشرأ لذى تربيعه
 من حيث ماهو علتة لوقوعه
 معلوله، فافهم مدار رجيعه
 قد صار معلولا له برجوعه

(١) بهامش الأصل : لعله « أكبر »

ويقول : إن العلم منه النحو ، هـ ——— إذا إن ترد حملاً على موضوعه
 فإذا يكون الضم علة كون هـ ——— إذا الجمع علة نفسه وجميعه
 وبغير خمسيه يعود لأصله علما ، وعلم النحو بعض فروعه
 وإذا اعتبرت حروفه ألفيته فعلا مضى لغة وفي موضوعه :
 حكم على المستقبلات وغيرها لعمومه متعلقاً وذووعه
 إذ من خصائصه تعلقه بك ——— ل تحقيق مع سبقه لوقوعه
 أكرم به أمراً عظيماً نفعه حمدت صناعته بحمد صنيعه
 والفعل فيه مصدر وزمانه وضعاً وملزوم لرب صنيعه
 فلذلك كان مقيداً ومخصصاً لعموم جنس العلم في تنويعه
 هو مفرداً نوع حوى أشخاصه فإذا تركب خص في تجميعه
 فيصح حينئذ مقالة قائل : قد زاد مفردة على مجموعه
 هو ثابت في كل حال ممكن ذو عزة صعب على مُسطيعه
 حتى ينال فيحمد القوم السرى وإذا يقال بطيئه كسريعه
 فالبطء والاسراع ليس بنفسه بل في الطريق وفي اقتناص منيعه
 والعلم بالرحمن أول صاحب وأهم فرض الله في مشروعه
 وأخو الديانة طالب لمزيدة أبداً ، ولما ينه بقطوعه
 والمرء فاقته إليه أشد من فقر الغداء لعلم حكم صنيعه

في كل وقت والطعام ، فإنما
وهو السبيل إلى المحاسن كلها
وإليه يسند كل فن نافع
جلالة المعلوم واللفظ الذي
فالعلم ميزان الحقائق والعرو
والاسم بالتحريك^(١) من مفروقه
هو واسط عقد الفضائل كلها
وعلاجه بالجد في تحصيله
ولكل قوم منه حظ وافر
بشعائر لمشاعر وقواعد
وجميعه متفرق في قوله:
فلاعينه وللامه ولميمه
يروي بماء حياته في ورده
ويرى بنور هُدهاه في تبينه
طلوعه لما أبان بنوره
جلى المجلى بعد بُعد بدوه

يحتاجه في وقت شدة جوعه
والصالحات ، فسواة لمضيعة
بل فارغ بأصوله وفروعه
للعلم كان مناسباً لبديعه
ض ، كذاك ميزان لدى تقطيعه
والفعل بالتسكين من مجموعته
وبه يزان الحلي في ترصيعه
بمقدمات نتاجه وينوعه
وحقائق التحقيق في مشروعه
لعقائد العقول في مسموعه
ماحافظ للعهد مثل مضيعة
من ذا الكلام الخط في تبضيعه
ظآن تحقيق إلى ينبوعه
حيران تدقيق طلوع سطيعه
قصد السبيل لحل عقد بديعه
مع قرب مقفله وقرب مسوعه^(٢)

(١) بهامش الأصل : صوابه « بالتسكين »

(٢) في القاموس : المسع - بكسر الميم - : اسم ريح الشمال .

والمسعى - بفتح الميم وتشديد الياء - : الرجل الكثير السير القوى .

وأبان مجله ، وفصل عقده
وحلى جمال البكر فى حلى الحلى
نخذ الجواب مخلصاً فيه اللبا
مع أن نظم الشعر غير محصل
من خاطر مستعجل مستوفز
لم يجعل التحليل من مصنوعه
إذ كان مخلوقاً لا كبر غاية
وعليه من أمر الاله ونهيه
لكنه لابد للمصدر من
مع أنه مُزجى البضاعة نظمه
عبد ذليل عاجز متضعف
لكنه لما استعان بربه
فاعانه يسر الجواب فان يكن
فالحمد والفضل العظيم لربنا
إذ ما بنا من نعمة فيمنه
أو إن يكن خطأ فنى ، حيث أن
فالتقص للإنسان وصف لازم

ولروضة الأنف ارتعى برتوعه
قافتها كف ثوت برتوعه
ب ملخصاً فى نظمه لسميعه
لكمال مغزاه وشرح جميعه
لم يعن التفكير فى مرجوعه
كلا ، ولا الفضلات من مصنوعه
دار القرار جميله وقطيعه
مايلقت العقول عن تضييعه
نقت يريح فؤاده بنخوعه
غر بحكم اللفظ فى تسجييعه
فى حال مبداه وحال رجوعه
ثم استكان له بذل خضوعه
حقاً برفق الوصف فى توقيعه
شكراً على محمود حسن صنيعه
والخير منه جميعه بهموعه
لم أستطع متناولا لرفيعه
إن كان يعرف نفسه بنخوعه

والحمد لله الرحيم بخلقه البر الودود بعبده ومطيعه
وميسر الخطب العسير بلفظه من بعد منعه وبعد منيعه
ثم الصلاة على النبي وآله والمصطفين من الأنام جميعه
وعليهم التسليم منا دائماً ما اهتزوجه الأرض بعد خشوعه
فلما وقف الشيخ رشيدٌ على هذا الجواب ، كتب إلى منشته
الشيخ تقي الدين بن تيمية ، رضى الله عنه :

أحسن في حل المسمى وما سمي . ولكن جاء بالمثل
وجاوز الجوزاء بالنطق ، والشعرى : بشعرٍ رائقٍ جزل
جأت معانيه ، فشكراً له مصحف ، والحلُّ كالخل
أحمد ، وزن الفعل فيه ، وفي التثنية وزن القول والفعل
كأنما أحرفه مثلت تملى عليه ، وهو يستملى
وحق بالفخر فتى جدّه الحمد . وقد بُورك في النسل
فسهل الله لمن في اسمه العدل ، مكافآت على الفضل
فنظر والد الشيخ تقي الدين بن تيمية بعد ذلك في الغز ، وحله في
لفظة أخرى . ونظم في ذلك قصيدة
فكتب إليه الشيخ رشيد الدين جواباً لها :

ما مثل لغزى ، ولم يسم به من لم يماثل في الفضل والأدب
 بخاطر حاضر يُضىء ولا ينكر ضوءاً لواحد الشهب
 شيخ شيوخ الاسلام قاطبة مفتى الفريقين حجة العرب
 شنف سمعى بالدر من كلم تروى فتروى بالدر من سحب
 وكان لغزى من فضة فعلا شعراً وشعراً . وصار من ذهب
 فالفخر للمجد بالشهاب وللشهاب بالمجد ذروة النسب
 ذروة والعنان يحسبها ذرية للشروق في السحب
 وإن تَقَمَّتْ رسوم بلدته وهى خيار البلاد والترب
 قبلدة الأفق حلقها عوضا عنها بفضل يسمو على الترب
 وإن قلبى أضحى له وطنا وفيه أنس لكل مغترب
 هذا ثنائى مع الخول ، وإن نبه حظي أرزبى على الأرب
 وعش طويلا مكملأ أدبا بسيط فضل ناء ومقرب

وقال الشيخ علم الدين : رأيتُ فى إجازة لابن الشهر زورى الموصلى
 خطَّ الشيخ تقى الدين بن تيمية ، وقد كتب تحته الشيخ شمس الدين
 الذهبى :

هذا خطُّ شيخنا الإمام ، شيخ الإسلام ، فرد الزمان ، بحر العلوم ،
 تقى الدين . مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة . وقرأ
 القرآن والفقه ، وناظر واستدل ، وهو دون البلوغ . وبرع فى العلم

والتفسير ، وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة . وصنف التصانيف ، وصار من كبار العلماء فى حياة شيوخته ، وله من المصنفات الكبار التى سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه فى هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر . وفسر كتاب الله تعالى مدة ستمين من صدره أيام الجمع وكان يتوقد ذكاء . وسماعاته من الحديث كثيرة . وشيوخته أكثر من مائتى شيخ . ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى . وحفظه للحديث ورجاله ، وصحته وسقمه ، فما يلحق فيه . وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين — فضلا عن المذاهب الأربعة — فليس له فيه نظير . وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيرا . ويدرى جملة صالحة من اللغة . وعربيته قوية جداً ، ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب . وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف ويفوق النعت . وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهم المثل . وفيه زهد وقناعة باليسير فى المأكل والملبس .

وقال الذهبى فى موضع آخر — وقد ذكر الشيخ رحمه الله — :
كان آية فى الذكاء وسرعة الإدراك ، رأساً فى معرفة الكتاب والسنة والاختلاف . بجرأ فى النقليات ، هو فى زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاء ، وأمرأ بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وكثرة تصانيف .

وقرأ وحصل ، وبرع في الحديث والفقه ، وتأهل للتدريس والفتوى ،
وهو ابن سبع عشرة سنة . وتقدم في علم التفسير والأصول ، وجميع علوم
الإسلام : أصولها وفروعها ، ودقائقها ، سوى علم القراءات . فان ذكر
التفسير فهو حامل لوائه . وإن عدّ الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق . وإن حضر
الحفاظ نطق وخرسوا . وسرد وأبلسوا ، واستغنى وأفلسوا . وإن مُسمّى
المتكلمون فهو فردهم ، وإليه مرجعهم . وإن لاح ابن سينا يُقدّم الفلاسفة
فلهم وتيسرهم ، وهتك أستارهم وكشف عوارهم . وله يد طولى في
معرفة العربية والصرف واللغة . وهو أعظم من أن يصفه كلى ، أو ينبه
على شأوه قلمى . فان سيرته وعلومه ومعارفه ، ومحنه وتنقلاته ، تحتمل أن
ترصع في مجلدين . وهو بشر من البشر ، له ذنوب . فאלله تعالى يغفر له
ويسكنه أعلى جنته . فانه كان ربانى الأمة ، وفريد الزمان وحامل لواء
الشريعة ، وصاحب معضلات المسلمين . وكان رأسا في العلم ، يبالغ في
إطراء قيامه في الحق والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . مبالغة
ما رأيتها ، ولا شاهدتها من أحد ، ولا لحظتها من فقيه

وقال في مكان آخر - ذكر فيه ترجمة طويلة للشيخ قبل وفاة الشيخ

بدهر طويل - :

قلت : وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة

بغنون الحديث ، وبالعالي والنازل ، وبالصحيح والسقيم ، مع حفظه لمتونه الذى اتفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ، ولا يقاربه . وهو عجب في استحضاره ، واستخراج الحجج منه . وإليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند^(١) ، بحيث يصدق عليه أن يقال « كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث » ولكن الاحاطة لله ، غير أنه يغترف من بحر ، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي . وأما التفسير فسلم إليه . وله في استحضار الآيات من القرآن - وقت إقامة الدليل بهاعلى المسألة - قوة عجيبة . وإذا رآه المقرئ ، تحير فيه . ولقرط إمامته في التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين ، ويوهى أقوالاً عديدة ، وينصر قولاً واحداً موافقاً لمادل عليه القرآن والحديث . ويكتب في اليوم والليل من التفسير ، أو من الفقه ، أو من الأصولين أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد . وما أبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد . وله في غير المسألة مصنف مفرد في مجلد . ثم ذكر بعض تصانيفه . وقال : ومنها كتاب في موافقه بين المعقول والمنقول في مجلدين .

قلت : هذا الكتاب - وهو كتاب درء تعارض العقل والنقل - في أربع مجلدات كبار . وبعض النسخ به في أكثر من أربع مجلدات . وهو

(١) البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

كتاب حافل عظيم المقدار ، رد الشيخ فيه على الفلاسفة والمتكلمين .
وله كتاب في نحو مجلد أجاب فيه عما أورده كمال الدين بن
الشريسي على هذا الكتاب

وللشيخ رحمه الله من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة
والرسائل وغير ذلك من الفوائد مالا ينضب . ولا أعلم أحدا من متقدمي
الأمّة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع ، ولا صنف نحو ما صنف ، ولا قريبا من
ذلك ، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه . وكثير منها صنفه
في الحبس ، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب .

مصنفات الشيخ رحمه الله

وها أنا أذكر بعض مصنفاته ، ليقف عليها من أحب معرفتها
فمن ذلك : ما جمعه في تفسير القرآن العظيم ، وما جمعه من أقوال
مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم . وذلك في أكثر
من ثلاثين مجلدا . وقد بيّض أصحابه بعض ذلك . وكثيرا منه لم يكتبوه
بعد . وكان رحمه الله يقول : « ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة
تفسير ، ثم أسأل الله الفهم . وأقول : يا معلم آدم وإبراهيم علمني . وكنت
أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها وأمرغ وجهي في التراب ، وأسأل
الله تعالى ، وأقول : يا معلم إبراهيم فهمني ، ويذكر قصة معاذ بن جبل

وقوله لمالك بن يُخَافِر لما بكى عند موته ، وقال : « إني لا أبكي على دنيا كنت أصيبتها منك ، ولكن أبكي على العلم والإيمان الذين كنت أتعلمهما منك . فقال : إن العلم والإيمان مكانهما ، من ابتغاهما وجدهما . فاطلب العلم عند أربعة ، فإن أعياك العلم عند هؤلاء فليس هو في الأرض ، فاطلبه من معلم إبراهيم » .

قال الشيخ أبو عبد الله بن رشيقي — وكان من أخص أصحاب شيخنا وأكثرتهم كتابة لكلامه وحرصا على جمعه — كتب الشيخ رحمه الله نقول السلف مجردة عن الاستدلال على جميع القرآن ، وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال . ورأيت له سوراً وآيات يفسرها ، ويقول في بعضها : كتبت للتذكر ، وبحو ذلك . ثم لما حبس في آخر عمره كتبت له أن يكتب على جميع القرآن [تفسيراً مرتباً ^(١)] على السور ، فكتب يقول : إن القرآن فيه ما هو بين بنفسه ، وفيه ما قد بينه المفسرون في غير كتاب ، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء ، فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها ، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيراً ، ويفسر غيرها بنظيره ، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل ، لأنه أهم من غيره .

(١) كانت يابضاً بالأصل

وإذا تبين معنى آية تبين معاني نظائرها . وقال : قد فتح الله على
في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من
العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن
أو نحو هذا . وأرسل إلينا شيئاً يسيراً مما كتبه في هذا المجلس ، وبقي
شيء كثير في مسألة الحكم عند الأحكام لما أخرجوا كتبه من
عنده ^(١) . وتوفي وهي عندهم إلى هذا الوقت نحو أربع عشرة رزمة .
ثم ذكر الشيخ أبو عبد الله ما رآه ووقف عليه من تفسير الشيخ .

قلت : ومن مصنفاته . « تفسير سورة الصمد وجواب سؤال عن
كلام الله تعالى ، هل يتفاضل ؟ » . ومن مصنفاته : كتاب « بيان
تلبيس الجهمية في تأسيس مدعهم الكلامية » في ست مجلدات ، وبعض
النسخ منه في أكثر من ذلك . وهو كتاب جليل المقدار معدوم النظير
كشف الشيخ فيه أسرار الجهمية وهتك أستارهم . ولو رحل طالب
العلم لأجل تحصيله إلى الصين ما ضاعت رحلته . ومنها كتاب
« منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية » في ثلاث مجلدات
وبعض النسخ في أربع مجلدات . رد فيه على ابن المطهر الرافضي .
وبين جهل الرافضة وضلاتهم ، وكذبهم واقتراءهم . ومنها كتاب

(١) كذا بأصله فليحذر

« جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية » في أربع مجلدات ،
 وبعض النسخ منه في أقل . وهو كتاب عزيز الفوائد سهل التناول .
 ومنها كتاب الرد على النصارى سماه « الجواب الصحيح لمن بدل دين
 المسيح » في مجلدين ، وبعض النسخ منه في ثلاث مجلدات . وبعضها
 في أكثر — وكذلك كثير من كتبه الكبار تختلف النسخ بها —
 وهذا الكتاب من أجل الكتب وأكثرها فوائد ويشتمل على
 تثبيت النبوات وتقريرها بالبراهين النيرة الواضحة . وعلى تفسير آى
 كثير من القرآن . وعلى غير ذلك من المهمات .

ومنها كتاب « الايمان » فى مجلد . وهو كتاب عظيم لم يسبق
 إلى مثله . ومنها كتاب « الاستقامة » فى مجلدين . وهو من أجل
 الكتب وأكثرها نفعا . ومنها كتاب تنبيه الرجل العاقل على
 تمويه الجدل الباطل ، فى مجلد . وهو من أحسن الكتب وأكثرها
 فوائد . قال فى خطبته :

« الحمد لله العليم القدير الخالق . اللطيف الخبير الرزاق . السميع البصير الحليم
 الصادق . العلى الكبير الفائق الرائق . الذى يسن المناهج والشرائع ويبين
 الطرائق . وينصب الأعلام الطوالع لكشف الحقائق . وينزل الآيات
 والدلائل لبيان الجوامع والفوارق . ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو
 زاهق أحمده ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وشكراً له على نعمه

السوامق ^(١) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب المغارب والمشارك . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الخوارق ، الموضح لسبيل الحق في الجلائل والدقائق . صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة وتسليما باقين ما بقيت الخلائق .

أما بعد فإن الله سبحانه علم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق ، وتباين العقول والأخلاق ، حيث خلقوا من طبائع ذات تنافر ، وابتلوا بتشعب الأفكار والخواطر . فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، ومبينين للإنسان ما يضل به ويهديه ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وأمرهم بالاعتصام به حذرا من التفرق في الدين ، وحضهم عند التنازع على الرد إليه وإلى رسوله المبين . وعذرهم بعد ذلك فيما يتنازعون فيه من دقائق الفروع العلمية ، لخفاء مدركها وخفة مسلكها وعدم إفضائها إلى بلية . وحضهم على المناظرة والمشاورة لاستخراج الصواب في الدنيا والآخرة ، حيث يقول لمن رضى دينهم (وأمرهم شورى أبينهم) كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة ، لمن عدل عن السبيل العادلة ، حيث يقول ، آمرا وناهيا لنبيه والمؤمنين ، لبيان ما يرضاه منه ومنهم (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) فكان أئمة الاسلام ممثلين لأمر المليك

(١) في القاموس : سَمَقَ سَمَوْقًا : علا

العلام ، يجادلون أهل الأهواء المضلة ، حتى يردوهم إلى سواء الملة ،
كمجادلة ابن عباس رضى الله عنهما للخوارج المارقين ، حتى رجع كثير منهم
إلى ما خرج عنه من الدين . ومناظرة كثير من السلف الأولين لصنوف
المبتدعين الماضين ، ومن في قلبه ريب يخالف اليقين ، حتى هدى الله من
شاء من البشر ، وأعلن الحق وظهر ، ودرس ما أحدثه المبتدعون واندثر .
وكانوا يتناظرون في الأحكام ، ومسائل الحلال والحرام بالأدلة
المرضية ، والحجج القوية ، حتى كان قلٌّ مجلس يجتمعون عليه إلا ظهر
الصواب ، ورجع راجعون إليه ، لاستدلال المستدل بالصحيح من
الدلائل ، وعلم المنازع أن الرجوع إلى الحق خير من التماذى في الباطل ،
كمجادلة الصديق لمن نازعه في قتال مانعى الزكاة^(١) ، حتى رجعوا إليه

(١) روى البخارى وغيره عن أبى هريرة قال « لما توفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر ، وكفر من كفر من العرب . فقال
عمر : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . فمن قالها فقد عصم
منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ؟ فقال : والله لأقاتلن من فرق
بين الصلاة والزكاة . فإن الزكاة حق المال . والله لو منعونى عناقا كانوا
يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر :
فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبى بكر فعرفت أنه الحق - »

ومناظرتهم في جمع المصحف حتى اجتمعوا عليه ^(٢) ، وتناظرهم في حد الشارب ، وجاحد التحريم ، حتى هدوا إلى الصراط المستقيم . وهذا وأمثاله يجلب عن العد والإحصاء . فانه أكثر من نجوم السماء .

ثم صار المتأخرون بعد ذلك قد يتناظرون في أنواع التأويل والقياس . بما يؤثر في ظن بعض الناس ، وإن كان عند التحقيق يؤول إلى الافلاس ، لكنهم لم يكونوا يقبلون من المناظرة إلا ما يفيد ، ولو ظنا ضعيفا للمناظر ، واصطاحوا على شريعة من الجدل بالتعاون على إظهار صواب القول والعمل ، ضبطوا بها قوانين الاستدلال لتسلم عن الانتشار والانحلال . فطرائقهم - وإن كانت بالنسبة إلى طرائق الأولين غير وافية بمقصود الدين ، لكنها غير خارجة عنها بالكلية ، ولا مشتملة على ما لا يؤثر في القضية ، وربما كسوها من جودة العبارة ، وتقريب الإشارة ، وحسن الصياغة ، وصنوف البلاغة ما يحلها

(١) روى البخارى عن زيد بن ثابت قال « أرسل إلى أبو بكر - مقتل أهل اليمامة - فإذا عمر بن الخطاب عنده . فقال أبو بكر : إن عمر أتاني ، فقال : إن القتل قد استحر بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر بالقراء في المواطن . فيذهب كثير من القرآن . وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك . ورأيت في ذلك الذي رأى عمر - الحديث »

عند الناظرين ، ويُنفَقُّها عند المتناظرين ، مع ما اشتملت عليه من الأدلة السمعية ، والمعاني الشرعية ، وبنائها على الأصول الفقهية والقواعد الشرعية ، والتحاكم فيها الى حاكم الشرع الذي لا يعزلُ. وشاهد العقل المزكَّى المعدَّل .

وبالجملة ، لاتكاد تشتمل على باطل محض ، ومكر صرف ، بل لابد فيها من محيل للحق ومشتمل على عرف

ثم إن بعض طلبة العلوم ، من أبناء فارس الروم ، صاروا مولعين بنوع من جدل الموهين ، استحدثه طائفة من المشرقيين ، وألحقوه بأصول الفقه في الدين ، راوغوا فيه مراوغة الثعالب ، وحادوا فيه عن المسلك اللائق^(١) وزخرفوه بعبارات موجودة في كلام العلماء ، قد نطقوا بها ، غير أنهم وضعوها في غير مواضعها المستحقة لها ، وألقوا الأدلة تأليفاً غير مستقيم ، وعدلوا عن التركيب الناتج إلى العقيم . غير أنهم باطالة العبارة ، وإبعاد الإشارة ، واستعمال الألفاظ المشتركة والمجازية في المقدمات ، ووضع الفئنيات موضع القطعيات ، والاستدلال بالأدلة العامة ، حيث ليست لها دلالة على وجه يستلزم الجمع بين النقيضين ، مع الاحالة والاطالة ، وذلك من فعل غالط ، ومغالط للمجادل . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم

(١) «اللاحب» الطريق الواضح اهـ قاموس

عن أغلوطات المسائل^(١) تفق ذلك على الأغمات الطمطم^(٢). وراج رواج
البهرج على الغر العادم . واغتر به بعض الأغمار الأعجم . حتى ظنوا أنه
من العلم بمنزلة الملزوم من اللازم . ولم يعلموا أنه والعلم المقرب من الله
متعاندان متنافيان ، كما أنه والجهل المركب متصاحبان متآخيان .
فلما استبان لبعضهم أنه كلام ليس له حاصل ، لا يقوم باحقاق حق ، ولا
ابطال باطل ، أخذ يطلب كشف مشكله وفتح مقفله ، ثم إبانة علله
وإيضاح زلله ، وتحقيق خطئه وخطله . حتى يتبين أن سالكه يسلك
في الجدل مسلك اللدد ، وينأى عن مسلك الهدى والرشد . ويتعلق من
الأصول بأذيال لا توصل إلى حقيقة ، ويأخذ من الجدل الصحيح رسوما
يموه بها على أهل الطريقة . ومع ذلك فلا بد أن يدخل في كلامهم
قواعد صحيحة ، ونسكت من أصول الفقه مليحة . لكنهم إنما أخذوا

(١) روى أبو داود عن الصنابحي عن معاوية « أن النبي صلى الله
عليه وسلم نهى عن الغلوطات » قال في النهاية : وفي رواية « الأغلوطات »
وقال الخطابي : يقال : مسألة غلوط ، إذا كان يغلط فيها . فإذا جعلتها
اسما زدت فيها الهاء . أراد المسائل التي يغلط بها العلماء ليزلوا فيها ،
فيميج بذلك شر وفتنة اه باختصار . وقال المنذرى : في اسناده عبد الله بن

سعد . وهو مجهول (عون المعبود ج ٣ ص ٣٥٩)

(٢) (الغتمة - بضم الغين - العجمة . والاعم : من لا يفصح . ورجل

طمطم وطمطاني ، وطمطمي : في لسانه عجمة . قاموس

ألفاظها ومبانيها ، دون حقائقها ومعانيها ، بمنزلة ما في الدرهم الزائف من العين . ولولا ذلك لما تفق على من له عين .

فلذلك آخذ في تمييز حقه من باطله ، وحاليه من عاطله ، بكلام مختصر مرتجل ، كتبه كاتبه على عجل . والله الموفق لما يحبه ويرصاه . ولا حول ولا قوة إلا بالله . » انتهت خطبة هذا الكتاب .

ومن مصنفاته أيضا : كتاب « بيان الدليل على بطلان التحليل » وكتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » .

وكتاب « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » .
» تحرير الكلام في حادثة الأقسام . وسماه بعضهم : كتاب

التحرير في مسألة حفير .

وكتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام .

» السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية

» تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس

» التحفة العراقية في الأعمال القلبية

» مسائل الاسكندرية في الرد على الملاحدة والأتحادية .

وتعرف بالسبعينية ، لاشتغالها على الرد على ابن سبعين وأضرابه

وكتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

» فضائل القرآن

وكتاب أقسام القرآن
» أمثال القرآن

وهذه المصنفات بعضها مجلد كبير و بعضها مجلد صغير

وله كتاب في الرد على المنطق ، مجلد كبير

وله مصنفان آخران في الرد على المنطق نحو مجلد

وله كتاب في محنته بمصر ، مجلدان ، رد فيه على القائلين بالكلام

النفسي من نحو ثمانين وجهاً

وله في مسألة القرآن مؤلفات كثيرة وقواعد وأجوبة وغير ذلك ، إذا

اجتمعت بلغت مجلدات كثيرة . منها ما بيض ومنها ما لم يبيض . فمن مؤلفاته في ذلك :

الكيلانية . والبغدادية . والقادرية . والأزهرية . والبلبلية .

والمصرية .

وله في الرد على الفلاسفة مجلدات وقواعد ، أملاها مفردة غير

ما تضمنته كتبه ، منها :

إبطال قولهم باثبات الجوهر العقلية

ومنها : إبطال قولهم بقدم العالم ، وإبطال ما احتجوا به

ومنها : إبطال قولهم في أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد

وله كتاب في الوسيلة . مجلد

وكتاب الرد على البكرى فى الاستغائة . مجلد

» شرح أول كتاب الغزنوى فى أصول الدين . مجلد لطيف

» شرح عقيدة الأصهبانى . يسمى الأصهبانية

» شرح فيه بضع عشرة مسألة من كتاب الأربعين للفخر

الرازى ، أكثر من مجلدين

وكتاب يعرف بالصفدية . فى الرد على الفلاسفة فى قولهم : إن

معجزات الأنبياء عليهم السلام قووى نفسانية . وفى إبطال

قولهم بقدم العالم

وله كتاب شرح أول المحصل . مجلد

وكتاب الرد على أهل كسروان الرافضة . مجلدان

» يسمى الهالونية^(١) . وهو جواب سؤال ورد على لسان

هولاكو ، ملك التتار . مجلد

وله فى الرد على من قال : إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين عدة مصنفات

وله فى الرد على منكرى المعاد قواعد كثيرة .

وله تعليقة على كتاب المحرر فى الفقه لجده الشيخ محمد الدين فى عدة مجلدات

وله كتاب شرح فيه قطعة من كتاب العمدة فى الفقه ، للشيخ

موفق الدين . فى مجلدات

(١) لعله « الهولا كونية »

وله قواعد كثيرة في فروع الفقه ، لم تبيض بعد . ولو بيضت كانت مجلدات عدة .

وقد جمع بعض أصحابه قطعة كبيرة من فتاويه الفروعية ، وبوبها على أبواب الفقه في مجلدات كثيرة ، تعرف بالفتاوى المصرية . سماها بعضهم « الدرر المضيئة من فتاوى ابن تيمية »

وله مؤلفات في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم والجمع بين النصوص في ذلك . والكلام في متعة الحج ، والعمرة المكية ، وما يتعلق بذلك ، وطواف الخائف . أكثر من مجلدين

وله مصنفات في زيارة القبور . وهل تباح للنساء ؟ والفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية . وفي المشاهد : متى حدثت ؟ وفي النذر لها . وفي المشهد المنسوب للحسين رضي الله عنه . وفي قبر علي رضي الله عنه . وغير ذلك . عدة مجلدات

وله في مسألة شد الرحال ولوازمها — التي حبس ومات في السجن بسببها — شيء كثير . يبيض منه مجلدات عديدة .

وله في الطلاق ومسائل الخلع وما يتعلق بذلك من الأحكام شيء كثير . ومصنفات عديدة . يبيض أصحاب من ذلك كثيراً ، وكثير منه لم يبيض . ومجموع ذلك نحو العشرين مجلداً .

وله قواعد كثيرة في سائر أنواع العلوم . منها : قاعدة في الصفات

والقدر . « تسمى تحقيق الأثبات للاسماء والصفات »

وحقيقة الجمع بين القدر والشرع . وهى المعروفة بالتدمرية

وقاعدة فى أن مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تكون إلا عن

ظن واتباع هوى

وقاعدة فى أن التوحيد والايان يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة

وقاعدة فى إثبات كرامات الأولياء .

وقاعدة فى أن خوارق العادات لاتدل على الولاية

وقاعدة فى الصبر والشكر

وقاعدة كبيرة فى الرضا

وقاعدة فى الشكر والرضا

وقاعدة فى أن كل آية يحتج بها مبتدع فقيها دليل على فساد قوله

وقاعدة فى أن كل دليل عقلى يحتج به مبتدع فقيه دليل على بطلان قوله

وقاعدة فى الخلوات وما يلقيه الشيطان لأهلها من الشبه . والفرق

بين الخلوة الشرعية والبدعية . وقاعدة فى الفقراء والصوفية ، أيهم أفضل ؟

وقاعدة فى الفقير الصابر والغنى الشاكر ، أيهما أفضل ؟

وقاعدة فى أهل الصفة ومراتبهم وأحوالهم

وقاعدة كبيرة فى محبة الله للعبد ومحبة العبد لله

» فى الاخلاص والتوكل

وقاعدة في الاخلاص وتقديره بالعقل

» في الشيوخ الاحمدية وما يظهرونه من الاشارات

وله قواعد واجوبة في تحريم السماع أكثر من مجلدين

وقاعدة في شرح أسماء الله الحسنى

وقاعدة في الاستغفار وشرحه وأسراره

» في أن الشريعة والحقيقة متلازمان

» في الخلّة والمحبة ، أيهما أفضل ؟

» في العلم الحكم

وقواعد واجوبة في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه

وقاعدة في وجوب نصيحة أولى الأمر والدعاء لهم

» في أحوال الشيخ يونس الغيبى والشيخ أحمد بن الرفاعى

» واجوبة في عصمة الأنبياء عليهم السلام

» في الاستطاعة : هل هي مع الفعل أو قبله ؟

» في العدم واستطاعته

» في وجوب العدل على كل أحد ، لكل أحد ، في كل حال

» في فضل السلف على الخلف في العلم

وقاعدة في حق الله وحق رسوله وحق عبادته ، وما وقع في ذلك

من التفريط

وقاعدة في أن مبدأ العلم الإلهي عند النبي صلى الله عليه وسلم هو
الوحي ، وعند أتباعه هو الايمان

وقاعدة في أن الحمد والذم والثواب والعقاب بالجهد والجِد
وأنها إِمَنَاتُ تَعْلُقُ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ لَا بِأَنْسَابِهِمْ

وقاعدة في أن كل حمد وذم للمقاتلات والأفعال لا بد أن يكون
بكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وقاعدة فيما لكل أمة من الخصائص ، وخصائص هذه الأمة

وقاعدة في الكليات

وقواعد في الفناء والاصطلام

وقاعدة في العلم والحلم

وقاعدة في الاقتصاص من الظالم بالدعاء وغيره ، وهل هو أفضل

أم العفو؟

وله قاعدتان في قرب الرب من عابديه وداعيه

وقاعدة في تزكية النفس

وقاعدة على كلام ابن العريف في التصوف

» في الصراط المستقيم في الزهد والورع

وقاعدة في الايمان والتوحيد ، وبيان ضلال من ضل في هذا الأصل

» في أمراض القلوب وشفائها

وقاعدة في السياحة ومعناها في هذه الأمة

» في خُلة إبراهيم الخليل عليه السلام ، وأنه الامام المطلق

وقواعد عدة في الشهادتين

» كثيرة فيمن امتحن في الله وصبر

وقاعدة في الصبر والصفح الجميل والهجر الجميل

» فيما يتعلق بالوسيلة بالنبي صلى الله عليه وسلم والقيام بحقوقه

الواجبة على أمته في كل زمان ومكان . وبيان خصائصه التي امتاز بها

على جميع العالمين . وبيان فضل أمته على جميع الأمم

وقاعدة تتعلق بالصبر المحمود والمذموم

وقاعدة تتعلق برحمة الله تعالى في إرسال محمد صلى الله عليه وسلم

وأن إرساله أجل النعم

وقاعدة في الشكر لله ، وأنه يتعلق بالأفعال الاختيارية

» في المقرين ، هل يسألهم منكر ونكير؟

» في الفتوة الاصطلاحية ، وأنه لبس لها أصل في الأحكام الشرعية

وقاعدة في الكلام على المرشدة التي ألفها ابن تومرت^(١)

وله أجوبة تتعلق بها أيضاً .

وقاعدة في كلام الجنيد لما سئل عن التوحيد . فقال : هو أفراد

الحدوث عن القدم .

(١) هو محمد بن منشىء دولة الموحدين ببلاد المغرب سنة

وقاعدة في التسبيح والتحميد والتهليل

وقاعدة في أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته

وقاعدة في الكلام

وقاعدة في الكلام على قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم — الآية) تسمى العبودية . وهي جليلة القدر

وقاعدة فيما أحدثه الفقهاء الجردون

وقاعدة في القدرية ، وأنهم ثلاثة أقسام : مجوسية ، ومشركية ،

وإبليسية

وقاعدة في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية ، وما بينهما

وبين الطريقة الكلامية والطريقة الصوفية .

وقاعدة في وصية لقمان لابنه

وقاعدة في تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيرها : هل هو بلسان

الحال ، أم لا ؟

وقاعدة تعرف بالصعيدية تتعلق بالثنوية

وقاعدة في لباس الخرقه : هل له أصل شرعى ؟ وفي الأقطاب ونحوهم

وقاعدة في القضايا الوهمية

وقاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى

وقاعدة في الخلطة والعزلة

وقاعدة في مشايخ العلم ، ومشايخ الفقراء : أيهم أفضل ؟

وقاعدة في تعذيب المرید بذنب غيره

وقاعدة في قوله صلى الله عليه وسلم « ستفترق أمتي على ثلاث

وسبعين فرقة »

وقاعدة في أن جماع الحسنات : العدل ، وجماع السيئات : الظلم ،

ومراتب الذنوب في الدنيا

وقاعدة في أن الحسنات تعلل بعلمتين : جلب المنفعة ، ودفع المضرة ،

والسيئات بالعكس

وقاعدة في فضائل عشر ذى الحجة

وقاعدة في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجن والانس

وقاعدة في أن جميع البدع ترجع إلى شعبة من شعب الكفر

وقواعد في الكلام على السنة والبدعة ، وأن كل بدعة ضلالة

وقاعدة في الاجماع وأنه ثلاثة أقسام

وقاعدة كبيرة في أصول الفقه . غالبها نقل أقوال الفقهاء

وقاعدة فيما يظن من تعارض النص والاجماع

وقواعد فقهية في مسائل من النذور ، والايمان ، ونكاح الشغار

وما يستقر به المهر ، ونحو ذلك مجلد

وقواعد في المغالبات ، وما يحل من الرهن ، وهل يفتقر إلى محل ؟

مجلد

وقواعد في المائعات والمياه وأحكامها ، وفي الميتة إذا وقعت في المائعات ، والكلام على حديث القلتين ، وما يتعلق بذلك . شئ كثير وقواعد في الوقف وشروط الواقفين ، وما يعتبر منها ، وفي إبداله بأجود منه . وفي بيعه عند تعذر الانتفاع ، ونحو ذلك . أكثر من مجلد وقاعدة كبيرة في تفضيل مذهب الامام أحمد ، وذكر محاسنه ، نحو مجلد » في تفضيل مذهب أهل المدينة ، تسمى المالكية .

وقواعد في الاجتهاد والتقليد ، وفي الأسماء التي علق الشارع بها الأحكام . مجلد

وقواعد في المجتهد في الشريعة : هل يأثم إذا أخطأ الحق ؟ وهل المصيب واحد ؟ ونحو ذلك . أكثر من مجلد وقاعدة في الاحسان

» » شمول النصوص للأحكام

» » تقرير القياس في مسائل عدة ، والرد على من يقول :

هي على خلاف القياس

وقاعدة فى شرح رسالة ابن عبدوس . وهى متضمنة لكلام الامام
أحمد فى أصول الدين

وقاعدة فى لعب الشطرنج وأنه حرام

وقواعد كثيرة فى السفر الذى يجوز فيه القصر والفطر ، هل له
حد ؟ وفى الجمع بين الصلاتين ، وفى ذوات الأسباب هل تصلى فى
وقت النهى . وفى مواقيت الصلاة ؟ وفى أن أول ما يحاسب به العبد
الصلاة . وفى تارك الصلاة ، وتفصيل القول فيه . وفى أن الصلاة أول
الأعمال . وفى تارك الطائفة . وذلك شئ كثير جداً .

وقواعد فى الكنائس وأحكامها ، وما يجوز هدمه منها وإبقاؤه
وما يجب هدمه . وأجوبة تتعلق بذلك . نحو مجلدين

وقواعد فى رجوع المغرور على من غره . وفى استقرار الضمان .
وفى بيع الغرر ، والشرط فى البيع . والنكاح . وغير ذلك . نحو مجلد
وقاعدة فى فضائل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل إمام من الفضيلة .

» » مقدار الكفارة فى اليمين

» » لفظ الحقيقة والمجاز ، وفى العام إذا خص . هل يكون
حقيقة أو مجازاً ؟ والبحث مع السيف الأمدى فى ذلك وقاعدة كبيرة
فى أن جنس فعل المأمور به أفضل من جنس ترك المنهى عنه

وقاعدة في طهارة بول ما يؤكل لحمه . ذكر فيها نحو ثلاثين حجة
على ذلك

وقاعدة في تطهير العبادات النفس من الفواحش والمنكرات
وقواعد وأجوبة في تحريم نكاح الزانية

وقاعدة في معاهدة الكفار المطلقة والمقيدة
» » مفطرات الصائم

» » فيما شرعه الله تعالى بوصف العموم والاطلاق ، هل
يكون مشروعاً بوصف الخصوص والتقيد ؟

وقاعدة في أن العامي هل يجب عليه تقليد مذهب معين أم لا ؟

» » تعليق العقود والفسوخ بالشرط

» » الجهاد والترغيب فيه

» » ذم الوسواس

» » الأنبذة والمسكرات

» » الحسبة

» » المسألة السريجية

» » حل الدور ، ومسائل الجبر والمقابلة

» » أن كل عمل صالح أصله اتباع النبي صلى الله عليه وسلم

وقاعدة في الأطعمة وما يحل منها وما يحرم . وتحرير الكلام على
الطيبات والخبائث

وقاعدة في اشتراط التسمية على الذبائح والصيد

» » دم الشهداء ومداد العلماء ، تتضمن أى الطائفتين أفضل

» » الانغماس فى العدو ، وهل يباح ؟ .

» » ضمان البساتين ، هل يجوز أم لا ؟

وله قواعد فى النهى ، هل يقتضى فساد المنهى عنه ؟

وقاعدة فى زكاة مال الصبى

وقاعدة فى الايمان المقرون بالاحسان ، وفى الاحسان المقرون

بالاسلام

وقاعدة فى اقتران الايمان بالاحتساب (١)

وقاعدة وأجوبة فى النجوم ، هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة ؟

وفى الكسوف ، هل يقبل قول المنجمين فيه ؟ وفى رؤية الهلال
ونحو ذلك . نحو مجلد

وقاعدة فى الأقراء ، هل هى الحيض ، أو الاطهار ؟ واختار أنها

الحيض

وقاعدة فى السكر وأسبابه وأحكامه

(١) لعله « الاحسان » . من هامش الأصل .

وقاعدة في الاستفتاحات في الصلاة

وقاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي صلى الله عليه وسلم وسلاحه
ودوابه . وهي القرمانيّة

وقاعدة تتعلق بمسائل من التيمم ، والجمع بين الصلاتين . تسمى
« تيسير العبادات لأرباب الضرورات »

وقاعدة في النصيرية ^(١) وحكمهم

وقاعدة في تحريم الشبابة

وقاعدة في العقود اللازمة والجائزة

وله قاعدة جلييلة في وجوب الاعتصام بالرسالة ، وأن كل خير في
العالم فأصله متابعة الرسل ، وكل شر فمن مخالفتهم : إما جهلاً ، أو عمداً
وقاعدة في تحزيب القرآن ، وما يتعلق بذلك ، وما ورد فيه من الآثار

وقاعدة في الكلام على الممكن

وقاعدة في ذبائح أهل الكتاب

وقاعدة في تعليل الأفعال

وقاعدة في الكلام على العدد

(١) هم فرقة من الرافضة يسكنون جبل عامل ن أرض الشام

وله رسائل تشتمل على علوم كثيرة ، منها :

رسالة كتبها إلى الشيخ شمس الدين الدباهي ، تسمى المدنية

ورسالة كتبها إلى الشيخ نصر المنيحي^(١) ، تسمى المصرية

ورسالة كتبها إلى أهل بغداد .

ورسالة كتبها إلى أهل البصرة

ورسالة كتبها إلى القاضي شمس الدين السروجي ، قاضي الحنفية بمصر

ورسائل إلى غيره من القضاة والعلماء

ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ عدي بن مسافر ، تسمى العدوية

ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ جاكير . وأرسل إليهم أجوبة في مجلد

غير الرسالة

ورسالة كتبها إلى ملك قبرص في مصالح المسلمين ، تتضمن

علوما نافعة

وله رسائل إلى البحرين . وإلى ملوك العرب

وإلى ثغور الشام : إلى طرابلس وغيرها بمصالح تتعلق بالأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر

ورسالة لأهل تدمر

(١) كذا بالأصل . ولعلها « المنجي » نسبة إلى « منبج »

ورسالة إلى طبرستان وجيلان

ورسائل للملوك : ملك مصر ، وملك حماة وغيرها

ورسائل إلى الأمراء الكبار

ورسائل كثيرة كتبها الى الصالحاء من إخوانه : من مصر إلى

دمشق ومن دمشق إلى غيرها

ومن السجن شيء كثير يحتوى على مجلدات عدة

وله من الكلام على مسائل العلو والاستواء والصفات الخيرية وما يتعلق بذلك من الرد على الجهمية والتدريية والجبورية وغيرهم من أهل الأهواء والبدع ما يشتمل على مجلدات كثيرة .

وله من الكلام على فروع الفقه والأجوبة المتعلقة بذلك شيء

كثير ، يشق إحصاؤه ويعسر ضبطه

ومن مؤلفاته : الكلام على دعوة ذى النون ، فى مجلد لطيف

وكتاب فيه الكلام على إرادة الرب تعالى وقدرته ، وتحرير

القول فى ذلك على كلام الرازى فى المطالب العالية

ومسألة فى العلو ، أجاب فيها عن شبه المخالفين . وهى مفيدة . وأخرى

فى الصفات ، تسمى المراكشية ، وتشتمل على نقول كثيرة

وقاعدة تتضمن صفات الكمال ، وما الضابط فيها مما يستحقه الرب

تعالى ، تسمى الأكملية ، والاحاطة الكبرى

والاحاطة الصغرى

وعقيدة الفرقة الناجية وتعرف بالواسطية

والجواب عما أورد عليها عند المناظرة بقصر الامارة بدمشق

والكلام على حديث عمران بن حصين الذى فيه «جئنا تسألك

عن أول هذا الأمر» وهو مؤلف مفيد

والكلام على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر، وهل هو ثابت

أم لا؟ وأى ألفاظه هو المحفوظ؟

وكتاب فى نزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، والجواب

عن اختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع

وجواب فى اللقاء وما ورد فى القرآن وغيره

وجواب فى الاستواء والنزول هل هو حقيقة أم لا؟ تسمى الأربلية

وجواب فى الاستواء وإبطال قول من تأوله بالاستيلاء من

نحو عشرين وجها

ومسألة فى المبايعة بين الله وبين خلقه

وله أجوبة أخر فى مبايعة الله لخلقه، وفيمن يقول: إنه سبحانه

على عرشه بذاته، وأقوال السلف فى ذلك

وله مسائل كثيرة فى الأفعال الاختيارية المسماة عند بعض المتكلمين:

بحلول الحوادث

منها كلام مفرد على كلام الرازي في الأربعين
وله مسائل وأجوبة في مسألة القدر ، والرد على القدرية وعلى
الجبرية أكثر من مجلد

وله مسألة في محل الشعر والعلوم وغيرها ، هل هو واحد أو متعدد ؟
وله درس السكرية بالبسملة جزء
ودرس الحنبلية في قوله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة)

جزء حسن

ومسألة فيمن يدعى أن للقرآن باطنا إلى سبعة أبطن
ومسألة في عقل الانسان وروحه
والحلبية في الصفات ، وهل هي زائدة على الذات أم لا ؟
والرد على ابن سينا في رسالته الأصحوية ، نحو مجلد
وجواب في العزم على المعصية ، هل يعاقب عليه العبد ؟
وجواب على حزب الشاذلي وما يشبهه ، مجلد لطيف
وجواب في الكفار من التتر وغيرهم ، وهل لهم خفراء بقلوبهم
لهم تأثير ؟

وله شرح كلام الشيخ عبد القادر في غير موضع نحو مجلد
وقاعدة في قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وقول النبي
صلى الله عليه وسلم « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله »

وله جواب في يزيد بن معاوية ، وهل يجوز سبُّه أم لا ؟

وله قاعدة في فضل معاوية

وجواب في الخضر ، هل مات أو هو حي ؟ واختار أنه مات

وله جواب في أن الذبيح من ولد إبراهيم عليه السلام هو اسمعيل .

واحتج لذلك بأدلة كثيرة

وجواب في زيارة القدس يوم عرفة للتعريف به

وله أجوبة كثيرة في هذا المعنى

وجواب في احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة

وجواب فيمن عزم على فعل محرم ثم تاب

وجواب في الذوق والوجد الذي يذكره الصوفية .

وجواب في قوله صلى الله عليه وسلم «من قال أنا خير من يونس

ابن متى فقد كذب»

وجواب في التشاغل بكلام الله وأسمائه وذكره ، أي ذلك أفضل ؟

وجواب في غض البصر وحفظ الفرج

وجواب في المعية وأحكامها

وله في مسائل الروح ، وهل تعذب في القبر مع الجسد ؟ وهل

تفارق البدن بالموت ؟ وهل تتصور بصورة وتعقل بعد الموت ؟ ونحو

ذلك مجلد

وله جواب : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة نبيا ؟

وهل يسمى من صحبه إذ ذاك صحابيا ؟

وجواب : هل كان النبي صل الله عليه وسلم قبل الوحي متعبدا بشرع

من قبله من الأنبياء ؟

وله جواب فى كفر فرعون ، والرد على من لم يكفره

وجواب فى ذى الفقار هل كان سيفا لعللى رضى الله عنه ؟

وله قواعد وأجوبة فى الايمان ، هل يزيد وينقص ؟ وما يتبع ذلك .

محو مجلد

وله جواب فى عقيدة الأشعرية ، وعقيدة الماتريدى وغيره من

الحنفية ، تسمى الماتريدية

وله عقيدة تسمى الخوفية

وله أجوبة فى العرش والعالم ، هل هو كرى الشكل أم لا ؟

وفى قصد القلوب العلوى ، ماسببه ؟

وله فى الكلام على توحيد الفلاسفة على نظم ابن سينا

مجلد لطيف

وله جواب محي الدين الأصهبانى فى عدة كراريس

وله جواب فى الفرق بين ما يتأول من النصوص وما لا يتأول

ومسألة في قوله « أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم »
هل هو كلامه صلى الله عليه وسلم ؟ .

وقاعدة في الرد على أهل الاتحاد

وله مؤلف في الرد على ابن عربي

وجواب على حال الخلاج ورفع ما وقع فيه من اللجاج

وله مسائل وقواعد في الاستغاثة ، غير ما تقدم ذكره

وجواب في الرضا على كلام أبي سليمان الداراني

وجواب في رؤية النساء ربهم في الجنة ، سأله عنه الشيخ ابراهيم

الرقى رحمه الله

وجواب في العباس وبلال رضي الله عنهما : أيهما أفضل ؟

» في الكتاب الذي هم به النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه

» فيمن يقول : إن بعض المشايخ أحيى ميتا

وله أجوبة في مسائل وردت من أصبهان

وجواب عن مسائل وردت من الأندلس

» عن سؤال ورد من الرحبة

» عن سؤال ورد من ماردين

وجواب عن سؤال ورد من أزرع

وأجوبة كثيرة عن مسائل وردت من الصَّلَت
وجواب في أرض الموات إذا أحيّاها الرجل ، ثم عادت مواتا :
هل تملك بالاحياء مرة أخرى ؟

وله وصايا عدة يسئل عنها ؟
وكتب منها : وصية لابن المهاجرى فى كرارىس
ووصية كتبها للتَّجِيبِ
وله إجازات . منها :

إجازة لأهل سبّته ذكر فيها مسموعاته
وإجازة كتبها لبعض أهل توريز
» لأهل غرناطة
» اصبيان »

وله قواعد وأجوبة فى الفقه كثيرة جدا . منها :
قاعدة فى الجمعة ؛ هل يشترط لها الاستيطان ؟
وقاعدة فى المسح على الخفين ، وهل يجوز على المقطوع ؟
وقاعدة فى حلق الرأس ، هل يجوز فى غير النسك لغير عذر ؟
وقواعد فى الاستجار ، وفى الأرض ، هل تطهر بالشمس والريح ؟
وقواعد فى نواقض الوضوء ، وفى المحرمات فى النكاح

وقاعدة في الجدِّ ، هل يُجبر البكر على النكاح ؟ وفي الاستئذان
من الأب ، هل يجب ؟

وجواب في المظالم المشتركة وأحكامها

وجواب عن أهل البدع ، هل يصلى خلفهم ؟

ومسائل وأجوبتها في قتال التتار الذين قدموا مع قازان وغيره وفي
قتال أهل البيعات من النصارى ، ونصارى ملطية ، وقتال الأحلاف
والحاربيين ، نحو مجلد

وقاعدة في قوله صلى الله عليه وسلم « استحلّتم فروجهن
بكلمة الله »

وقاعدة في العينة والتورق ، ونحوها من البيعات

وقاعدة في القراءة خلف الإمام

وقاعدة في قوله صلى الله عليه وسلم « من بكرّ وابتكر ، وغسّل
واغتسل »

وأجوبة في الصلوات المبتدعة ، كصلاة الرغائب ، ونصف شعبان
ونحو ذلك

وأجوبة في النهي عن أعياد النصارى ، وعما يفعل من البدع يوم
عاشوراء ، نحو مجلد

وله مسألة في أن الجُد يُسقط الأخوة ؟

وقاعدة في توريث ذوى الأرحام

ومسألة في بيع المسلم فيه قبل قبضه ، هل يجوز ؟

وله أجوبة في رؤية هلال ذى الحجة إذارآه بعض الناس ، ما حكمهم

في الأضحية ؟ وفي قوله « صومكم يوم تصومون » وفيما إذا نُغمَّ هلال

رمضان ليلة الثلاثين ، هل يجب الصوم أم لا ؟

وجواب في الاجارة ، هل المَعقود عليه تهيؤ العين وصلاحيتهما لنفع

المستأجر ؟ وهل ما يحدث في العين على ملكه ؟ وهل هي على وفق

القياس ؟

وله قاعدة في أن ما كان داعياً إلى الفرقة والاختلاف يجب

النهي عنه .

وجواب في التسمية على الوضوء

وقواعد في سباق الخيل ورمى النشاب

وقواعد وأجوبة في النية في الصلاة ، وغير ذلك من العبادات

وأجوبة في صلاة بعض أصحاب المذاهب خلف بعض ، وأنه جائز

وجواب فيمن تَقَفَّه على مذهب ثم يجد حديثاً صحيحاً بخلاف مذهبه

وجواب فيمن يقول : أنا مذهبي غير موافق للأربعة

وجواب فيمن يقول : من لا شيخ له فشيخه الشيطان

وجواب في المخلوقة من ماء الزاني ، هل له أن يتزوج بها ؟

وجواب في صلاة الركعتين جالسا بعد الوتر

وجواب في القنوت في الصبح والوتر

وجواب عن المرازقة^(١) وما يفعلونه من أعمال ؛ والرد عليهم فيما

أخطأوا فيه

وقاعدة في الحمام والاعتسال

وقاعدة في الصلاة بين الأذانين يوم الجمعة

وجواب في قوله « خير القرون الدوارس »

وجواب في نصرانية ماتت وفي بطنها ولد من مسلم

وجواب في امرأة مسلمة ماتت ، وفي بطنها إذ ذاك ولد

حتى متحرك .

وجواب مبسوط في السجادة التي تُفرش في المسجد ، قبل الجمعة ،

قبل مجيء المصلي

وجواب في ساعة الجمعة ، هل هي مقدرة بالدرج ؟

وله أجوبة في الوقف في مُنقطع الوسط وغيره

(١) طائفة من أهل الطرق الصوفية

وله مسألة تسمى الواسطة

وله إبطال الكيمياء

ومسألة الشفاعة ، ومسألة الشهادة بالاستفاضة .

ومسألة في الاجازة على كتاب « المصاييح » للبعوى

وأخرى على كتاب « المصاييح » أيضا

وله في الأحاديث وشرحها شيء كثير جدا . منها ما بيّض ، ومنها

مالم يبيّض ، ولو بيّض لبلغ مجلدات عديدة

وكتب كثيرا من مسند الأمام أحمد وغيره على أبواب الفقه

وله مختصر في السكّيم الطيّب . جمع فيه الأذكار المستعملة

طرّفي النهار ، وغير ذلك

وشرح حديث أبي ذرّ ، الذي أوله « يا عبادي إني حرّمتُ الظلمَ

على نفسي »

وحديث « الأعمال بالنيّات »

وحديث « بدأ الإسلامُ غريبا »

وحديث « لا يرثُ المسلم الكافر »

وحديث الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر

« الصديق » اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا »

وحديث جبريل في الايمان والاسلام ، غير كتاب الايمان المتقدم ،
في مجلد لطيف

وحديث « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » شرحه مرات
عديدة .

وحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » شرحه غير مرة .

وحديث النزول ، شرحه مرات .

وحديث الأولياء الذي رواه البخاري منفردا به « من عادى لي
وليًّا فقد بارزني بالمحاربة » شرحه مرات ، تارة يستل عن مجموعه
وتارة يستل عن التردد المذكور فيه ^(١) .

وحديث حكيم بن حزام « أسلمت على ما أسلفت من خير »

وحديث ابن مسعود في درء الهم ^(٢) .

(١) هو قوله صلى الله عليه وسلم فيه عن الله « وما ترددت في شيء
أنا فاعله ترددى في قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته »
(٢) روى أحمد وابن حبان والبخاري عن ابن مسعود أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « ما قال عبد أصابه هم أو حزن : اللهم انى عبدك وابن
أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك . أسألك بكل اسم
هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك
أو استأثرت به فى علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن نور صدري وريعي

وحديث معاذ وقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تدعن دُبُرَ كل صلاة »

وحديث بَريرة وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة « اشترطى لهم الولاء » .

وحديث « فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى » شرحه مرات .
 وحديث « لَا يُضْرَبُ فَوْقَ عَشْرَةِ أَسْوَاطٍ إِلَّا فِي حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ »
 وحديث « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ »

وشرح أحاديث كثيرة غير ما ذكر
 وشرح ماروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال « نعم العبد صهيَّبٌ
 لو لم يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَعِصْهُ » وتسكلم على « لو »
 وشرح قول على رضى الله عنه « لا يرجونَّ عبدًا إِلَّا رَبَّهُ ،
 وَلَا يَخَافُنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ »

وله أجوبة كثيرة فى أحاديث يسئل عنها من صحيح يشرحه ،
 وضعيف يُبَيِّنُ ضعفه ، وباطل يُنَبِّهْ عَلَى بطلانه

قلبي وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى : إِنْ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَسْكَانَ
 حَزَنِهِ فَرِحًا »

وله من الأجوبة والقواعد شيء كثير ، غير ما تقدم ذكره ، يشق ضبطه وإحصاؤه ، ويعسر حصره واستقصاؤه

وسأجتهد إن شاء الله تعالى في ضبط ما يمكنني من ضبط مؤلفاته في موضع آخر غير هذا

وأبين ما صنّفه منها بمصر ، وما ألّفه منها بدمشق ، وما جمعه وهو في السجن ، وأرتبه ترتيباً حسناً غير هذا الترتيب ، بعون الله تعالى وقوته ومشيئته .

قال الشيخ أبو عبد الله ^(١) : لو أراد الشيخ تقي الدين رحمه الله أو غيره . حصرها — يعني مؤلفات الشيخ — لما قدروا . لأنه مازال يكتب . وقد منّ الله عليه بسرعة الكتابة ، ويكتب من حفظه من غير نقل .

وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلداً لطيفاً في يوم ، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة وأكثر ، وأحصيت ما كتبه ويضه في يوم فكان ثمان كراريس في مسألة من أشكال المسائل ، وكان يكتب على السؤال الواحد مجلداً .

(١) هو أخو شيخ الاسلام ابن تيمية

وأما جواب يكتب فيه خمسين ورقة ، وستين ، وأربعين ،
وعشرين ، فكثير .

وكان يكتب الجواب . فان حضر من يبيّضه ، وإلا أخذ السائل
خطه . وذهب .

ويكتب قواعد كثيرة في فنون من العلم : في الأصول ، والفروع ،
والتفسير ، وغير ذلك ، فان وجد من نقله من خطه ، وإلا لم يشتهر ، ولم
يعرف ، وربما أخذه بعض أصحابه ، فلا يُقدّر على نقله ، ولا يرده
إليه ، فيذهب .

وكان كثيراً ما يقول : قد كتبت في كذا ، وفي كذا
ويسأل عن الشيء فيقول : قد كتبت في هذا . فلا يدري أين
هو ؟ فيلتفت إلى أصحابه ، ويقول : ردوا خطي وأظهروه ، لينقل . فمن
حرصهم عليه لا يردونه . ومن عجزهم لا ينقلونه ، فيذهب ، ولا يعرف اسمه .

فلهذه الأسباب وغيرها تعذر إحصاء ما كتبه وما صنفه .
وما كفى هذا إلا أنه لما حُسّ تفرّق أتباعه ، وتفرقت كتبه ،
وخوّفوا أصحابه من أن يظهر واكتبه . ذهب كل أحد بما عنده وأخفاه ،
ولم يظهر واكتبه . فبقى هذا يهرب بما عنده ، وهذا يبيعه ، أو يهبه .
وهذا يخفيه ويودعه ، حتى إن منهم من تسرق كتبه أو تُتجحد ،
(٥ — العقود الدرية)

فلا يستطيع أن يطلبها ، ولا يقدر على تخليصها . فبدون هذا تتمزق الكتب والتصانيف . ولولا أن الله تعالى لطف وأعان ومنّ وأنعم ، وجرت العادة في حفظ أعيان كتبه وتصانيفه ، لما أمكن لأحد أن يجمعها .

وقد رأيت من خرق العادة في حفظ كتبه وجمعها ، وإصلاح ما فسد منها ، وردّ مذهب منها : ما لودّ كرتة لكان عجبا ، يعلم به كل منصف أن الله عناية به وبكلامه ، لأنه يدبُّ عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين . وتأويل الجاهلين .

قلت : ومن مؤلفاته أيضا :

قاعدة في تقرير النبوات بالعقل والنقل

وقاعدة في تبديل السيئات حسنات

» » إبطال المجردات

» » المتشابهات

» » إثبات الرؤية ، والرد على نُقَلَّها

» » وجوب تقديم محبة الله تعالى ورسوله على النفس

والمال والأهل

وقاعدة في لفظ « الجسم » واختلاف الناس واصطلاحاتهم في

هذا الاسم

وقاعدة في تحريم الخشيشة ، وبيان حكم آكلها ، وماذا
يجب عليه ؟

وقاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار
وله الحموية الكبرى — والحموية الصغرى

فأما الحموية الكبرى فأملأها بين الظهر والعصر ، وهى جواب
عن سؤال ورد من حماة ، سنة ثمان وتسعين وستمائة ^(١) ، وجرى بسبب
تأليفها أمور ومحن ، وتكلم الشيخ فيها على آيات الصفات والأحاديث
الواردة في ذلك . وقال في مقدمتها ، وهى عظيمة جدا : —

« قولنا فيها : ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون ، من المهاجرين
والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، وما قاله أئمة الهدى من بعد هؤلاء
الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم ، وهذا هو الواجب على جميع
الخلق في هذا الباب وفي غيره

فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين
الحق ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط
العزیز الحمید ، وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً ، وأمره
أن يقول (هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) ^(٢)

(١) والسؤال عن آيات الصفات ، كقوله تعالى (الرحمن على العرش
استوى) وغيرها من الآيات وأحاديث الصفات
(٢) في سورة يوسف (آية ١٨٠)

فمن المحال في العقل والدين : أن يكون السراج المير ، الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وأنزل معه الكتاب بالحق لِيَحْكُمَ بين الناس فيما اختلفوا فيه . وأمر الناس أن يَرُدُّوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بُعث به : من الكتاب والحكمة ، وهو يدعو إلى الله ، وإلى سبيله بإذنه على بصيرة ، وقد أخبر الله أنه أكمل له ولأمته ، دينهم ، وأتمَّ عليهم نعمته —

محال مع هذا وغيره — أن يكون قد ترك باب الايمان بالله ، والعلم به مُلتبساً مُشْتَبِهاً ، ولم يُمَيِّزْ ما يجب لله ^(١) من الأسماء الحسنى ، والصفات العُلَى ، وما يجوز عليه ، وما يمتنع عليه . فان معرفة هذا أصل الدين ، وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب ، وحصلته النفوس ، وأدر كته العقول

فكيف يكون ذلك الكتاب ، وذلك الرسول ، وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يُحْكَمُوا هذا الباب اعتقاداً وقولاً ؟ !!
ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علَّم أمته كل شيء ، حتى الخِزَاءُ ^(٢)

(١) في المطبوعة بمكة « ولم يبين ما يجب الله » وهو خطأ

(٢) روى مسلم وأبوداود والترمذى عن عبد الرحمن بن يزيد قال « قيل : اسلمان : عليكم نيكم كل شيء حتى الخِزَاءُ ؟ فقال سلمان :

وقال « تركتكم على الحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها
بعدي إلا هالك ^(١) » .

وقال فيما صح عنه أيضا « ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه
أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم »
وقال أبو ذر « لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر
يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما »

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقاما فذكر بدء الخلق ، حتى دخل أهل الجنة منازلهم ،
وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه » رواه
البخارى

محال مع هذا ، ومع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين ، وإن
دق : أن يترك تعليمهم ما يقولونه بالسنتهم ، ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم
ومعبودهم ، رب العالمين ، الذى معرفته غاية المعارف ، وعبادته أشرف
المقاصد ، والوصول إليه غاية المطالب ، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية ،

أجل . نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، وأن نستنجى باليمنى ، أو
أن يستنجى أحدا بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن يستنجى برجيع أو بعظم
(١) أخرجه ابن ماجه

وزُبدة الرسالة الالهية . فكيف يتوَّهم من في قلبه أدنى مُسْكَة من
إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية
التمام ؟ !

ثم إذا كان قد وقع ذلك منه ، فمن المحال أن يكون خَيْرُ أُمَّتِهِ ،
وأفضل قرونها قَصَّروا في هذا الباب . زائدين فيه ، أو ناقصين عنه
ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة : القرن الذي بُعث
فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم
كانوا غير عالمين به ، وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين ؛ لأن
ضدَّ ذلك ، إما عدم العلم والقول ، وإما اعتقاد تقيض الحق ، وقول
خلاف الصدق . وكلاهما ممتنع

أما الأول ، فلأن مَنْ في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم ، وَهَمَّةٌ
في العبادة يكون البحثُ عن هذا الباب ، والسؤال عنه ، ومعرفة الحق
فيه : أكبر مقاصده . وأعظم مطالبه ^(١) . وليست النفوس الصحيحة
إلى شيء أشوقَ منها إلى معرفة هذا الأمر . وهذا أمر معلوم بالفطرة
الوجدية ^(٢) .

(١) بالمطبوعة المسكية زيادة « أعني بيان ما ينبغي اعتقاده ، لا معرفة
كيفية الرب وصفاته » وأغلب الظن : أن هذا من تعليق بعض القارئین
وتفسيره

(٢) وفي نسخة « الوجدانية » اه من هامش الأصل

فكيف يتصور — مع قيام هذا المقتضى ، الذى هو من أقوى
المقتضيات — أن يتخلف عنه مقتضاه لأولئك السادة فى مجموع عصرهم ؟؟
هذا لا يكاد يقع فى أبلىد الخلق ، وأشدهم إعراضاً عن الله . وأعظمهم
إكباباً على طلب الدنيا ، والغفلة عن ذكر الله ، فكيف يقع فى أولئك ؟
وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائلية . فهذا لا يعتقده

مسلم ولا عاقل عرف حال القوم

ثم الكلام فى هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن أن يُسَطَّرَ
فى هذه الفتيا أو أضعافها . يعرف ذلك من طلبه وتتبعه .

ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السائقين ، كما قد يقوله
بعض الأغبياء ، ممن لم يقدر قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله
والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها : من أن طريقة السلف أسلم ،
وطريقة الخلف أعلم ، وأحكم ^(١) .

فان هؤلاء المبتدعة الذين يُفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ، ومن
حذاقهم على طريقة السلف إما أثوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف
هى مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث ، من غير فقه لذلك ، بمنزلة

(١) فى المطبوعة المسكية زيادة « وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت
من بعض العلماء قد يعنى بها معنى صحيحاً » وغالب الظن أنها ليست
من كلام شيخ الاسلام

الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيً) ^(١) وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات ، وغرائب اللغات .
فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر .

وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم . وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف .

وسبب ذلك : اعتقادهم أنه ليس لله في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص ، بالشبهات الفاسدة ، التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين .

فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر ، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى ، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ ، وتقويض المعنى ، وهي التي يسمونها « طريقة السلف » — وبين صرف اللفظ إلى معانٍ أخرى بنوع تَكَلُّفٍ ، وهي التي يسمونها « طريقة الخلف » فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل ، والكفر بالسمع .

فان النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ، ظنوها بَيِّنَات ، وهى شُبُهَات ، والسمعُ حَرَفُوا فيه السَّكَمَ عن مواضعه .

فلما ابتغى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين الكفريتين ، كانت النتيجة استجهاال السابقين الأولين واستبلاهم ، واعتقاد أنهم كانوا أُمِّيِّين ، بمنزلة الصالحين من العامة ، لم يتبحروا فى حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقيق العلم بالآلهى ، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق فى هذا كله .

وهذا القول إذا تدبره الانسان وجده فى غاية الجهالة ، بل فى غاية الضلالة . كيف يكون هؤلاء المتأخرون — لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر فى الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم ^(١) ، حيث يقول ^(٢) :

لعمرى ، لقد طُفَّتُ المعاهد كلها * وسيرت طرْفى بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعا كفَّ حائر * على ذقن ، أو قارعا سِنَّ نادم
وأقروا على أنفسهم بما قالوه ، متمثلين به أو منشئين له ، فيما صنفوه

(١) فى المطبوعة المسكية « أمرهم »

(٢) هو الشهرستانى ، كما ذكره شيخ الاسلام فى كتاب موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول المطبوع بهامش منهاج السنة صفحة (١٨٩)

من كتبهم ، كقول بعض رؤسائهم ^(١) :

« نهاية إقدام العقول عقال * وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وخشة من جسامنا * وحاصل دُنْيَانَا أَذَى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فمرايتها تشفى
عليلا ، ولا تُروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق : طريقة القرآن .
أقرأ في الاثبات (إليه يصعدُ الكلم الطيب) (الرحمن على العرش
استوى) — وأقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) (ولا يحيطون به علما)
قال : ومن جَرَّبَ مثل تجربتي عرف مثل معرفتي . »

ويقول الآخر منهم ^(٢) : لقد خُضْتُ البحر الحِضَمَّ ، وتركت أهل
الاسلام وعلومهم ، وخُضْتُ في الذي نَهَوْنِي عنه . والآن إن لم
يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان . وهأنا أموت على عقيدة أُمِّي «
ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكاً عند الموت : أصحاب
الكلام .

(١) هو الرازي في كتابه أقسام اللذات الذي صنفه في آخر عمره

ذكر ذلك ابن القيم في اجتماع الجيوش الاسلامية (ص ١٢١)

(٢) هو أبو المعالي الجويني إمام الحرمين . ذكر ذلك شيخ الاسلام

في التسعينية (ص ٢٥١)

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُتِّق الأمر عليهم لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله ، وخالص المعرفة به خبر ، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر .

كيف يكون هؤلاء المحجوبون ، المتقوصون ، المسبوقون المفضولون الحيارى المتبهو كُون أعلم بالله واسمائه وصفاته ، وأحكم في باب ذاته وآياته ، من السابقين الأولين : من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، من ورثة الأنبياء ، وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب ، وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء ، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، وأحاطوا من حقائق المعارف ، وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليها لاستحى من يطلب المقابلة ؟ ! .

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أقص في العلم والحكمة ، لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته ، من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟ ! أم كيف يكون أفراخ الفلاسفة ، وأتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركين ، وضلل اليهود والنصارى ، والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء ، وأهل القرآن والايمان ؟ ! وإنما قدّمت هذه المقدمة لأن من استقرّت عنده هذه المقدمة

علم طريق الهدى ، أين هو في هذا الباب وغيره ؟ وعلم أن الضلال والتهوؤك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم ، وإعراضهم عما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم : من البيّنات والهدى ، وترَكهم البحث عن طريق السابقين والتابعين ، ولتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بأقراره على نفسه ، وبشهادة الأمة على ذلك ، وبدلالات كثيرة .

وليس غرضي واحداً معيناً ، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء . وإذا كان كذلك ، فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أولها إلى آخرها . ثم عامة كلام الصحابة والتابعين . ثم كلام سائر الأئمة : مملوء بما هو — إما نص ، وإما ظاهر — في أن الله سبحانه وتعالى هو العليُّ الأعلى ، وهو فوق كل شيء ، وهو عال على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء مثل قوله (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ^(١)) (إني متوَفِّيكَ ورافعك إليَّ ^(٢)) (أأمنتم من في السماء أن يخسفَ بكم الأرض فاذا هي تمورُ . أم أمنتم من في السماء أن يُرسلَ عليكم حاصبا ^(٣)) (بل رفعه الله إليه ^(٤)) (تعرج الملائكة والروح

(١) سورة فاطر (آية ١٠) . (٢) سورة آل عمران (آية ٥٥)

(٣) سورة الملك (آيتي ١٦ و ١٧) . (٤) سورة آل عمران (آية ١٥٨)

إليه ^(١)) (يُدَبِّرُ الأمر من السماء إلى الأرض ثم يَعْرِجُ إليه ^(٢))
 (يخافون ربهم من فوقهم ^(٣)) (ثم استوى على العرش) في ستة
 مواضع ^(٤) (الرحمن على العرش استوى ^(٥)) (يا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا
 لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّاعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي
 لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ^(٦)) (تَنْزِيلُ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ^(٧)) (مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ ^(٨))
 إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يُحصى إلا بكلفة .

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بكلفة ، مثل
 قصة معراج الرسول إلى ربه ، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها
 إليه ، وقوله في الملائكة « الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ، فيعرج
 الذين باتوا فيكم إلى ربهم ، فيسألهم وهو أعلم بهم »
 وفي الصحيح من حديث الخوارج « أَلَا تَأْمَنُونَ وَأَنَا أَمِينٌ مِنْ فِي
 السَّمَاءِ ؟ يَا تَنِي خَبِرِ السَّمَاءَ صَبَاحًا وَمَسَاءً »

وفي حديث الرُّقَيْصَةِ الذي رواه أبو داود وغيره « رَبَّنَا الَّذِي فِي
 السَّمَاءِ ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، كَمَا رَحِمْتَكَ فِي السَّمَاءِ ،

(١) سورة المعارج (آية ٤) . (٢) سورة السجدة (آية ٥) .

(٣) سورة النحل (آية ٥٠) . (٤) منها في سورة الفرقان (آية ٥٩)

(٥) سورة طه (آية ٥) . (٦) سورة غافر (آيتي ٢٦ و ٢٧)

(٧) سورة فصلت (آية ٤٢) . (٨) سورة الأنعام (آية ١٤)

اجعل رحمتك في الأرض اغفر لناحونا^(١) وخطايانا، أنت رب الطيبين ،
أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع » قال صلى
الله عليه وسلم « إذا اشتكى أحد منكم ، أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا
الذي في السماء » وذكره .

وفي حديث الأوعال « والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه ، وهو
يعلم ما أنتم عليه » رواه أحمد وأبو داود وغيرهما
وقوله في الحديث الصحيح للجارية « أين الله ؟ قالت : في السماء ،
قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله : قال : أعتقها فإنها مؤمنة »
وقوله في الحديث الصحيح « إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب
فهو موضوع عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي »
وقوله في حديث قبض الروح « حتى يعرج بها إلى السماء التي
فيها الله عز وجل »

وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده للنبي صلى الله عليه وسلم
وأقره عليه :

(١) الحوب : الذنب والخطيئة . والحديث رواه أبو داود عن زياد
ابن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء .
قال المنذرى : وأخرجه النسائي . وأخرجه من حديث محمد بن كعب
القرظي عن أبي الدرداء . ولم يذكر فضالة بن عبيد . وفي إسناده زياد بن
محمد الانصاري . قال أبو حاتم الرازي : هو منكر الحديث . وقال ابن

شهدت بأن وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرين
وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمين
وقول أمية بن أبي الصلت ، الذي أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم
هو وغيره من شعره ، فاستحسنه وقال « آمن شعره وكفر قلبه » - :
مَجْدُوا اللَّهَ ، فهو للمجد أهل * رُبْنَا فِي السَّمَاءِ أُمْسَى كَبِيرَا
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسُ ، وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرَا
شَرَجَعَا مَا يَنَالُهُ بَصَرُ الْبَصِيرِينَ ، تُرَى دُونَهُ الْمَلَائِكُ صُورَا ^(١)
وقوله في الحديث الذي في السنن ^(٢) « إِنْ اللَّهَ حَيَّ كَرِيمٍ يَسْتَحْيِي
مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا »

وقوله في الحديث « يَمْدُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَارَبُّ ، يَارَبُّ »
إلى أمثال ذلك مما لا يحصىه إلا الله ، مما هو من أبلغ التواترات
اللفظية والمعنوية ، التي تورث علماً يقينياً من أبلغ العلوم الضرورية :
أن الرسول المبلغ عن الله أتقن إلى أمته المدعوين : أن الله سبحانه على
العرش ، وأنه فوق السماء ، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم : مبرهم

حبان : منكر الحديث جدا يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك .
وقال ابن عدى : لا أعرف له الا مقدار حديثين . روى عنه الليث وابن
لهيعة . ومقدار ماله لا يتابع عليه . اهـ

- (١) جمع أصور . وهو المائل العنق ، لثقل حمله .
(٢) في المسكية وبهامش الأصل نسخة : « في المسند »

وعجمهم في الجاهلية والاسلام ، إلا من احتالته الشياطين عن فطرته .
ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لوجع ببلغ مئين وألوف .
ثم ليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ولا عن أحد من سلف الأمة : لا من الصحابة ، ولا من التابعين لهم
بإحسان ، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف : —
حرف واحد يخالف ذلك ، لانصاً ولا ظاهراً . ولم يقل أحد منهم قط :
إن الله ليس في السماء ، ولا أنه ليس على العرش ، ولا أنه بذاته في
كل مكان . ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ، ولأنه لا داخل العالم
ولا خارجه ، ولا متصل ولا منفصل ، ولا أنه لا تجوز إليه الإشارة
الحسية ، الأصابع ونحوها .

بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله « أن النبي صلى
الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة ، يوم عرفات ، في أعظم مجمع
حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم — جعل يقول : أأهل بلّغت ؟
فيقولون : نعم . فيرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ، ويقول : اللهم
اشهد » غير مرة . وأمثال ذلك كثير .

فإن كان الحق ما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة
بالكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها ، دون ما يفهم من الكتاب
والسنة ، إما نصاً وإما ظاهراً ، فكيف يجوز على الله تعالى ، ثم على

رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم على خير الأمة : أنهم يتكلمون دائماً بما هو إما نص أو ظاهر في خلاف الحق ؟! ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يباحون به قط ، ولا يدلون عليه ، لانصا ولا ظاهراً ، حتى تجيء أنباط الفرس والروم ، وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يُبينون للأمة العقيدة الصحيحة ، التي يجب على كل مكلف ، أو كل فاضل أن يعتقدها؟! لأن كان الحق ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكفون وهو الاعتقاد الواجب . وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم ، وأن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً . لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع ، على هذا التقدير .

بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين

فإن حقيقة الأمر — على ما يقوله هؤلاء — : إنكم يامعشر العباد لا تطلبوا معرفة الله وما يستحقه من الصفات : نفيًا وإثباتًا ، لا من الكتاب ، ولا من السنة ، ولا من طريق ساف الأمة . ولكن انظروا أنتم ، فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات ، فصفوه به . سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن . وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به .

ثم هم ههنا فريقان : أكثرهم يقولون : ما لم تثبته عقولكم فاتفوه ، ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه ، وما نقاه قياس عقولكم الذي أنتم

(٦ — العقود البرية)

فيه مختلفون ومضطربون - اختلافاً أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض - فانقوه ، وإليه عند التنازع فارجعوا ، فانه الحق الذي تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا ، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم ، فاعلموا أني امتحنتكم بتنزيله ، لا لتأخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الألفاظ ، وغرائب الكلام ، وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله ، مع نفي دلالة على شيء من الصفات .

هذا حقيقة الأمر — على رأى هؤلاء المتكلمين .

وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم

لجماعتهم لزوما لا محيد عنه .

ومضمونه : أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله ، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية ، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء ، كإبراهيم والفلاسفة . وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين ، وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به ، إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم ، وقد أمروا أن يكفروا بهم !! .

وما أشبه حال هؤلاء المتكفين بقوله سبحانه (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا إلى الطَّاغوتِ وقد أمروا أن يكفروا به . ويريد الشيطان أن يضلَّهم ضالًّا لا بعيداً . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدُّون عنك صدوداً . فكيف إذا أصابتهم مُصيبة بما قدَّمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً)^(١) فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول — والدعاء إليه بعد وفاته : هو الدعاء إلى سنته — أعرضوا عن ذلك وهم يقولون : إنا قصدنا الإحسان علماً وعملاً ، بهذه الطريق التي سلكنها ، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية .

ثم عامة هذه الشهات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين والصائبين ، أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم : مثل فلان وفلان ، أو عن قال كقولهم في تشابه قلوبهم (فلا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ، حتى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيتَ ويسلموا تسليماً)^(٢) (كان الناس أمةً واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم

(١) سورة النساء الآيات (٦٠ - ٦٢)

(٢) سورة النساء آية (٦٥)

الكتاب بالحق لِيَحْكُمَ بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البَيِّنَاتُ بَغْيًا بينهم . فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ^(١) .

ولازم هذه المقالة : أن لا يكون الكتاب هُدًى للناس ولا بيانًا ، ولا شفاء لما في الصدور ، ولا نورًا ، ولا مَرَدًّا عند التمازع . لأننا نعلم بالاضطرار أن ما يقول هؤلاء المتكلفون : إنه الحق الذي يجب اعتقاده ، لم يدل عليه الكتاب ، ولا السنة ، لانصا ولا ظاهراً . وإنما غاية المتحذلق منهم أن يستنتج هذا من قوله تعالى : (لم يكن له كُفُوًا أحد) ^(٢) (هل تعلم له سَمِيًّا ؟) ^(٣)

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أنه من دلَّ الخلق على أن الله ليس فوق العرش ولا فوق السموات ، ونحو ذلك بقوله (هل تعلم له سَمِيًّا) لقد أبعد النَّجَّة . وهو إما مُلَغِزٌ ، وإما مُدَّاسٌ ، لم يخاطبهم بلسان عربي مبين ولازم هذه المقالة : أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في أصل دينهم ، لأن مَرَدَّهم قبل الرسالة وبعدها واحد . وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالاً .

(١) سورة البقرة آية (٢١٣)

(٢) سورة قل هو الله أحد

(٣) سورة مريم آية (٦٥)

يا سبحان الله!! كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ، ولا أحد من سلف الأمة : هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ، لكن اعتقدوا الذى تقتضيه مقاييسكم ؛ واعتقدوا كذا وكذا ، فإنه الحق ، وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره ، وانظروا فيها . فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه ، وما لا ، فتوقفوا فيه وانقوه ؟

ثم الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة ، فقد علم ما سيكون . ثم قال « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله » . وروى عنه أنه قال فى صفة الفرقة الناجية « هى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى » .

فهلأ قال : من تمسك بالقرآن ، أو بدلالة القرآن ، أو بفهم القرآن ، أو بظاهر القرآن فى باب الاعتقاد فهو ضال ، وإنما الهدى فى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم ، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة ؟!

وإن كان نبيغ أصل هذه المقالة فى أواخر عصر التابعين .

ثم أصل هذه المقالة — مقالة التعطيل للصفات — إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين ، وضلال الصابئين .

فأول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة فى الإسلام : هو الجعدي

ابن درهم ، فأخذها عنه الجهم بن صفوان ^(١) ، وأظهرها ، فنسبت مقالة الجهمية إليه .

وقد قيل : إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سَمعان ، وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم ، وأخذها طالوت من لبيد ابن الأعصم اليهودي الساحر ، الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم . ثم أطلال الشيخ رحمه الله الكلام إلى أن قال :

« والفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب ، وإنما أشير إشارة إلى مبادئ الأمور . والعامل يسير فينظر ، وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة ، لا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلا منه » إلى أن قال :

« وإذا كان أصل هذه المقالة — مقالة التعطيل والتأويل — مأخوذ عن تلامذة المشركون والصابئين واليهود ، فكيف تطيب نفس مؤمن ، بل نفس عاقل ، أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم »

(١) قال الذهبي : الجعد بن درهم ، مبتدع ضال . زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما . فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر والقصة مشهورة . والجهم : الضال المبتدع . رأس الجهمية . هلك في زمان صغار التابعين . وما علمته روى شيئا . لكنه زرع شرا عظيما .

والضالين ، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين
والشهداء والصالحين ؟ !»

قال : « ثم القول الشامل في جميع هذا الباب : أن يوصف الله بما
وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، أو بما وصفه به السابقون الأولون
لا يتجاوز القرآن والحديث »

قال الامام أحمد رضى الله عنه « لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ،
أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث »^(١)
ومذهب السلف : أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما
وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف
ولا تمثيل .

ثم ذكر الشيخ رحمه الله جملاً نافعة ، وأصولاً جامعة في إثبات
الصفات والرد على الجهمية ، وذكر من النقول عن سلف الأمة
وأئمتها في إثبات علو وغيره ما يضيق هذا الموضع عن ذكره
ثم قال في آخر كلامه :

« وجماع الأمر : أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها

(١) هذا الجملة : « قال الامام احمد الخ » . موجودة بهامش الاصل

سنة أقسام ، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة ، قسمان يقولون :
يُجْرَى على ظواهرها . وقسمان يقولون : هي على خلاف ظاهرها .
وقسمان يسكتون .

أما الأولون فقسمان :

أحدهما : من يجريها على ظاهرها ، ويجعل ظاهرها من جنس
صفات المخلوقين . فهو لاء هم المشبهة . ومذهبهم باطل أنكره السلف ،
وإليهم توجه الرد بالحق

والثاني : من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجري
اسم «العليم» و «القدير» و «الرب» و «الاله» و «الموجود» و «الذات»
ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى . فان ظواهر هذه الصفات
في حق المخلوقين إما جوهر مُحدَث ، وإما عرض قائم به . فالعلم والكلام
والقدرة ، والمشيئة ، والرحمة ، والرضا ، ونحو ذلك في حق العبد : أعراض
والوجه ، واليد ، والعين في حقه أجسام . فإذا كان الله موصوفا عند عامة
أهل الإثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشئة ، وإن لم تكن أعراضا
يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ، جاز أن يكون وجه الله ويده
ليست أجساما يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين . وهذا هو المذهب
الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف . وعليه يدل كلام جمهورهم
وكلام الباقيين لا يخالفه . وهو أمر واضح

فإن الصفات كالذات ، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة ، من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين

فمن قال : لا أعقل علما ويدا إلا من جنس العلم واليد المعهودين قيل له : فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين ؟ . ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته . وتلائم حقيقته . فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شئ إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل فى عقله ودينه .

وما أحسن ما قال بعضهم : إذا قال لك الجهمى : كيف استوى ؟ وكيف ينزل إلى سماء الدنيا ؟ وكيف يداه ؟ ونحو ذلك .

فقل له : كيف هو فى نفسه ؟

فاذا قال : لا يعلم ماهو إلا هو ، وكُنْه البارى غير معلوم للبشر .

فقل له : فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف . فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيةته ؟ وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة ، على الوجه الذى ينبغى لك

بل هذه المخلوقات فى الجنة قد ثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء » وقد أخبر الله تعالى أنه

(لا تعلم نفسٌ ما أُخْفِيَ لَهُم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ ^(١)) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ^(٢) »

فاذا كان نعيم الجنة — وهو خلق من خلق الله — كذلك ، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى؟!

وهذه الروح التي في بنى آدم ، قد علم العاقل اضطراب الناس فيها ، وإمساك النصوص عن بيان كيفيةها . أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى ؟ مع أنا نقطع أن الروح في البدن ، وأنها تخرج منه وتخرج إلى السماء ، وأنها تُسَلُّ منه وقت النزاع ، كما نطقنا بذلك النصوص الصحيحة . لأننا في تجريدنا غلو المتفلسفة ومن وافقهم ، حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه ، وتخبطوا فيها ، حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته . فعدم مماثلتها للبدن لا ينفى أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها ، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص ، فيكونوا قد أخطأوا في اللفظ . وأنى لهم بذلك؟! .

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرهما — أعني الذين يقولون : ليس

(١) سورة السجدة آية (١٧)

(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة

لها في الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط ، وأن الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته إما سلب وإما إضافة ، وإما مركبة منهما . أو يثبتون بعض الصفات : وهي السبعة ، أو الثمانية ، أو الخمسة عشر ، أو يثبتون الأحوال دون الصفات ، على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين - فهؤلاء قسمان قسم يتأولونها ويعينون المراد ، مثل قولهم : استوى ، بمعنى : استولى ، أو بمعنى علو المسكينة والقدرة ، أو بمعنى : ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه . إلى غير ذلك من معاني المتكلمين وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها ، لكن نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه .

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون : يجوز أن يكون المراد ظاهرها اللائق بالله ، ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله ، ونحو ذلك وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم

وقسم يسكون عن هذا كله ، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث ، معرضين بقلوبهم وأسمعتهم عن هذه التقديرات فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها : القطع بالطريقة الثانية كآيات والأحاديث الدالة على أنه سبحانه فوق عرشه ، ويعلم طريق الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والاجماع على

ذلك دلالة لا تحتل النقيض ، وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك ، مع احتمال النقيض . وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والايان (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره ، فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يصلى يقول : اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق يا ذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » وفي رواية لأبي داود « أنه كان يكبر في صلاته ، ثم يقول ذلك »

فاذا افتقر العبد إلى الله تعالى ودعاه ، وأدمن النظر في كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى .

ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب ، وعرف غالب ما يزعمونه برهاناً ، وهو شبهة . ورأى أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها ، أو شبهة مركبة من قياس فاسد ، أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية ، أو دعوى إجماع لا حقيقة له ، والتثيل في المذهب ، والدليل بالألفاظ المشتركة .

ثم إن ذلك إذا ركب بالفاظ كثيرة طويلة غريبة عن من لم يعرف اصطلاحهم أو همّت الغرّة ما يوحى به السراب للعطشان — : ازداد إيماننا وعلمنا بما جاء به الكتاب والسنة . فإن الضد يُظهر حسنه الضدّ . وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً ، وبقدرة أعرف .

فأما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه . وعلى من قد أنهاه نهايته . فإن من لم يدخل فيه هو في عافية . ومن أنهاه فقد عرف الغاية . فما بقي يُخاف عليه من شيء آخر . فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله ، وأما المتوسط فتوهم بما يلقاه من المقالات المأخوذة ، تقليداً لمعظمه وتهويلاً .

وقد قال الناس : أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ، ونصف متفقه ، ونصف متطبب ، ونصف نحوى . هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان .

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في قولٍ مختلف ، يُؤفكُ عنه من أفك . يعلم الذكي منهم العاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة ، وأن حجته ليست ببيّنة ، وإنما هي كما قيل فيها :

حجج تهافت كالزجاج ، تخالها * حقاً . وكلّ كاسر مكسور

ويعلم البصير العالم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رضي الله عنه حيث قال : « حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجرید والنعال ، ويُطافَ بهم فى القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام » .

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر - والحيرةُ مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم - رحمتهم ورفقت عليهم ، أوتوا ذكاءً ، وما أوتوا زكاءً^(١) ، وأعطوا فهوماً ، وما أعطوا علوماً ، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدةً (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) .

ومن كان عالماً بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف ، وعلمهم ، وخبرتهم ، حيث حذروا عن الكلام ، ونهوا عنه ، وذموا أهله ، وعابوهم ، وعلم أن من ابتغى الهدى من غير الكتاب والسنة لم يزد إلا بعداً . فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

(١) أن تزكية لقلوبهم وصفاء لها وطهارة

هذا آخر الحموية الكبرى ، وهى ست كراريس بقطع نصف
البلدى ^(١) .

آلفها الشيخ رحمه الله قبل سنة سبعائة . وعمره إذ ذاك دون
الأربعين سنة .

ثم انفتح له بعد ذلك من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل
الأهواء والبدع ، ما لا يوصف ولا يعبر عنه ، وجرى له من المناظرات
العجيبة والمباحثات الدقيقة ، فى كتبه وغير كتبه ، مع أقرانه وغيرهم ،
فى سائر أنواع العلوم ما تضيق العبارة عنه
وقد ذكرنا عن ابن الزملى - فيما تقدم - أنه قال : ولا يُعرف
ناظر أحداً فانقطع معه

وقد رأيت بخط بعض أصحابه ما صورته :

تلخيص مبحث

جرى بين شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية

رحمه الله وبين ابن المرحل ^(١)

كان الكلام فى الحمد والشكر ، وأن الشكر يكون بالقلب واللسان
والجوارح ، والحمد لا يكون إلا باللسان .

(١) وقد طبعت مراراً . آخرها بمكة سنة ١٣٥١

(٢) ابن المرحل هو صدر الدين بن الوكيل

فقال ابن المرحل : قد تقل بعض المصنفين — وسماه — : أن مذهب أهل السنة والجماعة : أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد . ومذهب الخوارج : أنه يكون بالاعتقاد ، والقول ، والعمل ، وبنواً على هذا : أن من ترك الأعمال يكون كافراً . لأن الكفر تقيض الشكر ، فإذا لم يكن شاكراً كان كافراً

قال الشيخ تقي الدين : هذا المذهب المحكى عن أهل السنة خطأ والنقل عن أهل السنة خطأ . فإن مذهب أهل السنة : أن الشكر يكون بالاعتقاد ، والقول ، والعمل . قال الله تعالى (اعملوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا)^(١) وقام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ، فقيل له : « أتفعل هذا ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً »^(٢)

قال ابن المرحل : أنا لا أتكلم في الدليل ، وأسلم ضعف هذا القول ، لكن أنا أقول أنه مذهب أهل السنة

قال الشيخ تقي الدين : نسبة هذا إلى أهل السنة خطأ ، فإن القول إذا ثبت ضعفه ، كيف ينسب إلى أهل الحق ؟

ثم قد صرح من شاء الله من العلماء المعروفين بالسنة أن الشكر

(١) سورة سبأ آية (١٣)

(٢) رواه البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها

يكون بالاعتقاد ، والقول ، والعمل ، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة .

قلت : وباب سجود الشكر فى الفقه أشهر من أن يذكر ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم عن سجدة سورة (ص) « سجدها داود توبة ، ونحن نسجدها شكراً ^(١) » ثم من الذى قال من أئمة السنة : إن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد ؟

قال ابن المرحل : — هذا قد نقل ، والنقل لا يمنع ، لكن يستشكل . ويقال : هذا مذهب مشكل .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : النقل نوعان . أحدهما : أن ينقل ما سمع أو رأى . والثانى : ما ينقل باجتهاد واستنباط . وقول القائل : مذهب فلان كذا ، أو مذهب أهل السنة كذا ، قد يكون نسبه إليه لاعتقاده أن هذا مقتضى أصوله ، وإن لم يكن فلان قال ذلك . ومثل هذا يدخله الخطأ كثيراً . ألا ترى أن كثيراً من المصنفين يقولون : مذهب الشافعى أو غيره كذا ، ويكون منصوصه بخلافه ؟ وعذرهم فى ذلك : أنهم رأوا أن أصوله تقتضى ذلك القول ، فنسبوه إلى مذهبه ،

(١) رواه أحمد وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

من جهة الاستنباط ، لا من جهة النص ؟ . وكذلك هذا ، لما كان أهل السنة لا يكفرون بالمعاصي ، والخوارج يكفرون بالمعاصي . ثم رأى المصنف الكفر ضد الشكر - : اعتقد أنا إذا جعلنا الأعمال شكراً لزم انتفاء الشكر بانتفائها ، ومتى انتفى الشكر خلفه الكفر ، ولهذا قال : إنهم بنوا على ذلك : التكفير بالذنوب . فلهذا عَزَى إلى أهل السنة إخراج الأعمال عن الشكر .

قلت : كما أن كثيراً من المتكلمين أخرج الأعمال عن الإيمان

لهذه العلة

قال : وهذا خطأ ، لأن التكفير نوعان : أحدهما : كفر النعمة . والثاني : الكفر بالله . والكفر الذي هو ضد الشكر : إنما هو كفر النعمة لا الكفر بالله . فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة ، لا الكفر بالله فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة ، لا الفكر بالله

قلت : على أنه لو كان ضد الكفر بالله ، فمن ترك الأعمال شاكراً بقلبه ولسانه فقد أتى ببعض الشكر وأصله . والكفر إنما يثبت إذا عُدِمَ الشكر بالكلية . كما قال أهل السنة : إن من ترك فروع الإيمان لا يكون كافراً ، حتى يترك أصل الإيمان . وهو الاعتقاد . ولا يلزم من زوال فروع الحقيقة — التي هي ذات شُعَبَ وأجزاء — زوال اسمها ، كالإنسان ، إذا قطعت يده ، أو الشجرة ، إذا قطع بعض فروعها .

قال الصدر ابن المرحل : فان أصحابك قد خالفوا الحسن البصرى ^(١) في تسمية الفاسق كافر النعمة ، كما خالفوا الخوارج في جعله كافرا بالله . قال الشيخ تقي الدين : أصحابي لم يخالفوا الحسن في هذا ، فعَمَّن تنقل من أصحابي هذا ؟ بل يجوز عندهم أن يسمى الفاسق كافر النعمة ، حيث أطلقته الشريعة .

قال ابن المرحل : إني أنا ظننت أن أصحابك قد قالوا هذا ، لكن أصحابي قد خالفوا الحسن في هذا .

(١) روى البخارى في خوف المؤمن من أن يحيط عمله ، من كتاب الايمان . قال : ويذكر عن الحسن « ما خافه - أى النفاق - الا مؤمن ولا آمنه إلا منافق » وقد وصل كلام الحسن هذا : الامام جعفر الفرياني في كتاب صفة المنافق ، له من طرق متعددة بألفاظ مختلفة . منها (ص ٦٣) حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن المعل بن زياد سمعت الحسن يحلف في هذا المسجد « بالله الذى لا إله إلا هو ماضى مؤمن قط ولا بقى إلا وهو من النفاق مشفق ولا قضى منافق قط ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن » وكان يقول « من لم يخف النفاق فهو منافق »

وكتاب صفة المنافق طبعناه في مجموعة (من دفائن الكنوز) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (ج ١ ص ٨٢) قال الامام أحمد في كتاب الايمان : حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام سمعت الحسن يقول « والله ماضى مؤمن ولا بقى إلا وهو يخاف النفاق وما آمنه إلا منافق »

قال الشيخ تقي الدين : — ولا أصحابك خالفوه . فإن أصحابك قد تأولوا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي أطلق فيها الكفر على بعض الفسوق — مثل ترك الصلاة ^(١) . وقتال المسلمين ^(٢) — : على أن المراد به كفر النعمة . فعلم أنهم يطلقون على المماصي في الجملة أنها كفر النعمة . فعلم أنهم موافقو الحسن ، لا مخالفوه .

ثم عاد ابن المرحل ، فقال : أنا أثقل هذا عن المصنف . والنقل ما يمنع ، لكن يستشكل .

قال الشيخ تقي الدين : إذا دار الأمر بين أن ينسب إلى أهل السنة مذهب باطل ، أو ينسب الناقل عنهم إلى تصرفه في النقل . كان نسبة الناقل إلى التصرف أولى من نسبة الباطل إلى طائفة أهل الحق ، مع أنهم صرحوا في غير موضع : أن الشكر يكون بالقول ، والعمل ، والاعتقاد . وهذا أظهر من أن ينقل عن واحد بعينه .

ثم إنا نعلم بالاضطرار أنه ليس من أصول أهل الحق : إخراج الأعمال أن تكون شكراً لله . بل قد نصَّ الفقهاء على أن الزكاة شكر نعمة المال . وشواهد هذا أكثر من أن تحتاج إلى نقل .

وتفسير الشكر بأنه يكون بالقول والعمل في الكتب التي يتكلم فيها على لفظ « الحمد » « والشكر » مثل كتب التفسير ^(١) ، واللغة ؛

(١) كابن جرير وغيره في تفسير سورة الفاتحة .

وشروح الحديث ، يعرفه آحاد الناس . والكتاب والسنة قد دلّا على ذلك .

فخرج ابن المرحل إلى شىء غير هذا ، فقال : — الحسن البصرى يسمى الفاسق منافقا ، وأصحابك لا يسمونه منافقا .

قال الشيخ تقي الدين له : بل يسمّى منافقا النفاق الأصغر ، لا النفاق الأكبر . والنفاق يطلق على النفاق الأكبر ، الذى هو إضرار الكفر ، وعلى النفاق الأصغر ، الذى هو اختلاف السر والعلانية فى الواجبات .

قال له ابن المراحل : — ومن أين قلت : إن الاسم يطلق على هذا وعلى هذا ؟

قال الشيخ تقي الدين : — هذا مشهور عند العلماء . وبذلك فسروا قول النبي صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ^(١) » وقد ذكر ذلك الترمذى وغيره . وحكوه عن العلماء

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة . وزاد مسلم فى رواية « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » وروى الترمذى عن ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أربع من كن فيه كان منافقا . وإن كانت

وقال غير واحد من السلف « كفرٌ دون كفر ، ونفاق دون نفاق ، وشركٌ دون شرك ^(١) »

وإذا كان النفاق جنسا تحته نوعان ، فالفاسق داخل في أحد نوعيه .

قال ابن المرحّل : كيف تجعل النفاق اسم جنس ، وقد جعلته لفظا مشتركا ، وإذا كان اسم جنس كان متواطئا ، والأسماء المتواطئة غير المشتركة . فكيف تجعله مشتركا متواطئا ؟

قال الشيخ تقي الدين : أنا لم أذكر أنه مشترك . وإنما قلت : يطلق على هذا وعلى هذا ، والاطلاق أعم .

ثم لو قلت : إنه مشترك لكان الكلام صحيحا . فإن اللفظ الواحد قد يطلق على شيئين بطريق التواطؤ ، وبطريق الاشتراك . فأطلقت

فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف . وإذا خاصم فجر . وإذا عاهد غدر » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وإنما معنى هذا عند أهل العلم : نفاق العمل . دائما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . هكذا روى عن الحسن البصري شيء من هذا .

(١) قال البخاري : باب كفران العشير ، وكفر دون كفر

لفظ النفاق على إبطان الكفر ، وإبطان المعصية ، تارة بطريق الاشتراك وتارة بطريق التواطؤ ، كما أن لفظ الوجود يطلق على الواجب والممكن ، عند قوم باعتبار الاشتراك ، وعند قوم باعتبار التواطؤ . ولهذا سمي مشككا .

قال ابن المرحل : — كيف يكون هذا ؟ وأخذ في كلام لا يحسن ذكره .

قال له الشيخ تقي الدين : — المعاني الدقيقة تحتاج إلى إصغاء واستماع وتدبر . وذلك أن الماهيتين إذا كان بينهما قدر مشترك وقدر مميز ، واللفظ يطلق على كل منهما ، فقد يطلق عليهما باعتبار ما به تمتاز كل ماهية عن الأخرى . فيكون مشتركا كالاشتراك اللفظي . وقد يكون مطلقا باعتبار القدر المشترك بين الماهيتين . فيكون لفظا متواطئا

قلت : ثم إنه في اللغة يكون موضوعا للقدر المشترك ، ثم يغلب عرف الاستعمال على استعماله : في هذا تارة ، وفي هذا تارة . فيبقى دالا بعرف الاستعمال على ما به الاشتراك والامتياز . وقد يكون قرينة ، مثل لام التعريف ، أو الإضافة ، تكون هي الدالة على ما به الامتياز

مثال ذلك : اسم الجنس إذا غلب في العرف على بعض أنواعه ، كلفظ الدابة ، إذا غلب على الفرس ، قد نطقه على الفرس باعتبار القدر المشترك بينها وبين سائر الدواب . فيكون متواطئاً . وقد نطقه باعتبار خصوصية الفرس ، فيكون مشتركاً بين خصوص الفرس وعموم سائر الدواب ، ويصير استعماله في الفرس : تارة بطريق التواطؤ ، وتارة بطريق الاشتراك . وهكذا اسم الجنس إذا غلب على بعض الأشخاص وصار علماً بالغلبة . مثل ابن عمر ، والنجم ، فقد نطقه عليه باعتبار القدر المشترك بينه وبين سائر النجوم وسائر بني عمر . فيكون إطلاقه عليه بطريق التواطؤ . وقد نطقه عليه باعتبار ما به يمتاز عن غيره من النجوم ، ومن بني عمر . فيكون بطريق الاشتراك بين هذا المعنى الشخصي وبين المعنى النوعي . وهكذا كل اسم عام غلب على بعض أفرادهِ ، يصح استعماله في ذلك الفرد بالوضع الأول العام ، فيكون بطريق التواطؤ بالوضع الثاني ، فيصير بطريق الاشتراك .

ولفظ « النفاق » من هذا الباب . فانه في الشرع إظهار الدين وإبطان خلافه . وهذا المعنى الشرعي أخص من مسمى النفاق في اللغة ، فانه في اللغة أعم من إظهار الدين .

ثم إبطان ما يخالف الدين ، إما أن يكون كفراً أو فسقاً . فإذا أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب ، فهذا هو النفاق الأكبر الذي

أُوعد صاحبه بأنه في الدرك الأسفل من النار . وإن أظهر أنه صادق أو مُؤفٍ ، أو أمين ، وأبطن الكذب والغدر والخيانة ، ونحو ذلك . فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقا .

فإطلاق النفاق عليهما في الأصل بطريق التواطؤ

وعلى هذا ، فالنفاق اسم جنس تحته نوعان . ثم إنه قد يراد به النفاق في أصل الدين ، مثل قوله (إن المنافقين في الدرك الأسفل) و (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) والمنافق هنا : الكافر .

وقد يراد به النفاق في فروعه ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث » وقوله « أربع من كنَّ فيه كان منافقا خالصا » وقول ابن عمر : فيمن يتحدث عند الأمراء بحديث ، ثم يخرج فيقول بخلافه « كُنَّا نَعُدُّ هذا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم نفاقا »

فإذا أردت به أحد النوعين ، فاما أن يكون تخصيصه لقريظة لفظية ، مثل لام العهد ، والأضافة . فهذا لا يخرج به عن أن يكون متواطئا ، كما إذا قال الرجل : جاء القاضي ، وعنى به قاضى بلده ، لكون اللام للعهد . كما قال سبحانه (فعصى فرعونُ الرسولا) إن اللام هي أوجبت قصر الرسول على موسى ، لا نفس لفظ « رسول » .

وإما أن يكون لغلبة الاستعمال عليه ، فيصير مشتركا بين اللفظ العام والمعنى الخاص . فكذلك قوله (إذا جاءك المنافقون) فإن تخصيص هذا اللفظ بالكافر إما أن يكون لدخول اللام التي تفيد العهد . والمنافق المعهود : هو الكافر ، أو تكون لغلبة هذا الأسم في الشرع على نفاق الكفر . وقوله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كنّ فيه كان منافقا » يعنى به منافقا بالمعنى العام ، وهو إظهاره من الدين خلاف ما يبطن .

فإطلاق لفظ « النفاق » على الكافر وعلى الفاسق إن أطلقته باعتبار ما يمتاز به عن الفاسق . كان إطلاقه عليه وعلى الفاسق باعتبار الاشتراك . وكذلك يجوز أن يراد به الكافر خاصة . ويكون متواطئا إذا كان الدال على الخصوصية غير لفظ « منافق » ، بل لام التعريف .

وهذا البحث الشريف جار في كل لفظ عام استعمال في بعض أنواعه ، إما لغلبة الاستعمال ، أو لدلالة لفظية خصته بذلك النوع . مثل تعريف الإضافة ، أو تعريف اللام . فإن كان لغلبة الاستعمال صحّ أن يقال : إن اللفظ مشترك . وإن كان لدلالة لفظية كان اللفظ باقيا على موافاته .

فهذا صحّ أن يقال « النفاق » اسم جنس تحته نوعان . لكون اللفظ في الأصل عاما متواطئا .

وصح أن يقال : هو مشترك بين النفاق في أصل الدين ، وبين مطلق النفاق في الدين ، لكونه في عرف الاستعمال الشرعي غلب على نفاق الكفر .

بحث ثان جري

إن الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص .

فالحمد أعم من جهة أسبابه التي يقع عليها ، فانه يكون على جميع الصفات ، والشكر لا يكون إلا على الاحسان . والشكر أعم من جهة ما به يقع ، فانه يكون بالاعتقاد ، والقول ، والفعل . والحمد يكون بالفعل أو بالقول ، أو بالاعتقاد .

أورد الشيخ الامام زين الدين ابن المنجى الحنبلي : أن هذا الفرق إنما هو من جهة متعلق الحمد والشكر ، لأن كونه يقع على كذا ويقع بكذا خارج عن ذاته . فلا يكون فرقا في الحقيقة . والحدود إنما يتعرض فيها لصفات الذات ، لا لما خرج عنها .

فقال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية : —

المعاني على قسمين : مفردة ، ومضافة . فالمعاني المفردة : حدودها لا توجد فيها بتعلقاتها . وأما المعاني الاضافية فلا بد أن يوجد في حدودها تلك الاضافات . فانها داخلة في حقيقتها . ولا يمكن تصورها إلا بتصور تلك المتعلقةات ، فتكون المتعلقةات جزءا من حقيقتها . فتعين ذكرها في الحدود .

والحمد والشكر معينان ^(١) بالحمود عليه والشكور عليه . فلا يتم
حقيقتهما ذكر إلا بذكر متعلقهما . فيكون متعلقهما داخلا في حقيقتهما .
فاعترض الصدر ابن المرحّل : بأنه ليس للمتعلق من المتعلق صفة
ثبوتية . فلا يكون للحمد والشكر من متعلقهما صفة ثبوتية . فان المتعلق ^(٢)
صفة نسبية . والنسب أمور عدمية . وإذا لم تكن صفة ثبوتية لم تكن
داخلة في الحقيقة . لأن العدم لا يكون جزءا من الوجود .
فقال الشيخ تقي الدين : قولك : ليس للمتعلق من المتعلق صفة
ثبوتية . ليس على العموم . بل قد يكون للمتعلق من المتعلق صفة
ثبوتية ، وقد لا يكون . وإنما الذي يقوله أكثر المتكلمين : ليس لمتعلق
القول من القول صفة ثبوتية .

ثم الصفات المتعلقة نوعان : أحدهما : إضافة محضة . مثل الأبوّة
والبنوة ، والفوقية ، والتحتية ، ونحوها . فهذه الصفة هي التي يقال فيها :
هي مجرد نسبة وإضافة . والنسب أمور عدمية . والثاني صفة ثبوتية
مضافة إلى غيرها ، كالحب والبغض ، والإرادة والكراهة ، والقدرة ، وغير
ذلك من الصفات ، فان الحب صفة ثبوتية متعلقة بالحجوب . فالحب

(١) بهامش الأصل : لعله « متعلقان »

(٢) بهامش الأصل : لعله « التعلق »

معروض للإضافة ، بمعنى أن الإضافة صفة عرضت له . لا أن نفس الحب هو الإضافة . ففرق بين ما هو إضافة وبين ما هو صفة مضافة . فالإضافة يقال فيها : إنها عدمية . قال : وأما الصفة المضافة فقد تكون ثبوتية ، كالحب .

قال ابن المرحل : الحب أمر عدمي . لأن الحب نسبة . والنسب عدمية .

قال الشيخ تقي الدين : كون الحب والبغض والارادة والكراهة أمراً عدمياً باطل . بالضرورة . وهو خلاف إجماع العقلاء

ثم هو مذهب بعض المعتزلة في إرادة الله . فانه زعم أنها صفة سلبية . بمعنى أنه غير مغلوب ولا مستكره . وأطبق الناس على بطلان هذا القول . وأما إرادة الخلق وحبّه وبُغْضُهُ فلم نعلم أحداً من العقلاء قال : إنه عدمي .

فأصر ابن المرحل ، على أن الحبّ — الذي هو مَيْل القلب إلى المحبوب — أمر عدمي . وقال : المحبة : أمر وجودي .

قال الشيخ تقي الدين : — المحبة هي الحب . فانه يقال : أحبه وحبته حباً ومحبة . ولا فرق . وكلاهما مصدر .

قال ابن المرحل : وأنا أقول : إنهما إذا كانا مصدرين فهما أمر
عدمي .

قال له الشيخ تقي الدين : الكلام إذا انتهى إلى المقدمات
الضرورية فقد انتهى وتم . وكون الحب والبغض أمراً وجودياً معلوم
بالاضطرار . فإن كل أحد يعلم أن الحى إن كان خالياً عن الحب كان
هذا الخلو صفة عدمية . فإذا صار محباً ، فقد تغير الموصوف وصار
له صفة ثبوتية زائدة على ما كان قبل أن يقوم به الحب . ومن يحس
ذلك من نفسه يجده ، كما يجد شهوته ونفرته ورضاه وغضبه ولذته وألمه

ودليل ذلك : أنك تقول : أحب يحب محبة . وتقيض أحب :
لم يحب . ولم يحب : صفة عدمية . وتقيض العدم الاثبات
قال ابن المرحل : هذا ينتقض بقولهم : امتنع يمتنع . فإن تقيض
الامتناع : لا امتناع . وامتناع صفة عدمية .

قال الشيخ تقي الدين : الامتناع أمر اعتبارى عقلى . فإن الممتنع
ليس له وجود خارجى . حتى تقوم به صفة . وإنما هو معلوم بالعقل .
وباعتبار كونه معلوماً له ثبوت علمى . وسلب هذا الثبوت العلمى : عدم
هذا الثبوت : فلم ينتقض هذا قولنا : تقيض العدم ثبوت ، وأما الحب
فانه صفة قائمة بالحب . فإليك تشير إلى عين خارجة ، وتقول : هذا الحى

صار مُحِبًّا بعد أن لم يكن محبا . فتخبر عن الوجود الخارجى . فإذا كان نقيضها عدماً خارجيا ، كانت وجودا خارجيا .

وفى الجملة : فكونُ الحبِّ والبغض صفةً ثبوتيةً وجودية معلوم بالضرورة . فلا يُقبل فيه نزاع ولا يُناظر صاحبه إلا مناظرة السُّوفسطائية .

قلت : وإذا كان الحب والبغض ونحوهما من الصفات المضافة المتعلقة بالغير : صفات وجودية . وظهر الفرق بين الصفات التى هى إضافة ونسبة . وبين الصفات التى هى مضافة منسوبة . فالحمد والشكر من القسم الثانى . فان الحمد أمر وجودى متعلق بالحمود عليه . وكذلك الشكر أمر وجودى متعلق بالشكور عليه . فلا يتم فهم حقيقتهما إلا بفهم الصفة الثبوتية لها التى هى متعلقة بالغير . وتلك الصفة داخلة فى حقيقتهما . فاذا كان متعلق أحدهما أكبر من متعلق الآخر ، وذلك التعلق إنما هو عارض لصفة ثبوتية لها . وجب ذكر تلك الصفة الثبوتية فى ذكر حقيقتهما .

والدليل على هذا : أن من لم يفهم الاحسان امتنع أن يفهم الشكر . فعلم أن تصور متعلق الشكر داخل فى تصور الشكر .

قلت : ولو قيل : إنه ليس هذا إلا أمراً عدميا . فالحقيقة إن

كانت مركبةً من وجود وعدم ، وجب ذكرهما في تعريف الحقيقة .
 كما أن من عرف الأب ، من حيث هو أبٌ . فإن تصوره موقوفٌ على
 تصوّر الأبوة ، التي هي نسبةٌ وإضافة . وإن كان الأبُ أمراً وجودياً
 فالحمد والشكر متعلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه . وإن لم
 يكن هذا المتعلق عارضاً لصفةٍ ثبوتيةٍ . فلا يفهم الحمد والشكر إلا
 بفهم هذا المتعلق . كما لا يفهم معنى الأب إلا بفهم معنى الأبوة ،
 الذي هو التعلق . وكذلك الحمد والشكر أمران متعلقان بالمحمود عليه
 والمشكور عليه .

وهذا التعلق جزء من هذا المسمى . بدليل أن من لم يفهم الصفات
 الجميلة لم يفهم الحمد . ومن لم يفهم الاحسان لم يفهم الشكر .

فاذا كان فهمهما موقوفاً على فهم متعلقهما ، فوقوفه على فهم التعلق
 أولى . فإن التعلق فرع على المتعلق . وتبع له . فاذا توقف فهمهما على
 فهم المتعلق الذي هو أبعد عنهما من التعلق . فتوقفه على فهم التعلق
 أولى . وإن كان التعلقُ أمراً عديمياً . والله أعلم

قال له الشيخ تقي الدين بن تيمية : — قوله : (وأحل الله البيع ^(١))
 قد أتبع بقوله (وحرم الربا) وعامة أنواع الربا يسمى بيعا . والربا — وإن
 كان اسما مجملا — فهو مجهول . واستثناء المجهول من المعلوم يوجب جهالة المستثنى
 فيبقى المراد إحلال البيع الذي ليس بربا . فلم يثبت أن الفرد المعين
 ليس بربا لم يصح إدخاله في البيع الحلال . وهذا يمنع دعوى العموم .
 وإن كان الربا اسما عاما فهو مستثنى من البيع أيضا . فيبقى البيع لفظا
 مخصوصا . فلا يصح ادعاء العموم على الإطلاق .

قال ابن المرحل : — هذا من باب التخصيص . وهنا عمومان
 تعارضا ، وليس من باب الاستثناء . فإن صيغ الاستثناء معلومة .
 وإذا كان هذا تخصيصا لم يمنع ادعاء العموم فيه

قال الشيخ تقي الدين : — هذا كلام متصل بعضه ببعض ، وهو من
 باب التخصيص المتصل . وتسميته الفقهاء استثناء ، كقوله : له هذه الدار
 ولى منها هذا البيت . فإن هذا بمنزلة قوله : إلا هذا البيت . وكذلك لو
 قال : أكرم هؤلاء القوم . ولا تكرم فلانا . وهو منهم . كان بمنزلة
 قوله : إلا فلانا . وإذا كان كذلك صار بمنزلة قوله : أحل الله البيع
 إلا ما كان منه ربا

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

فمن ادعى بعد هذا أنه عام في كل ما يسمى بيعاً فهو مخطئ .
 قال ابن المرحّل : — أنا أُسَلِّمُ أنه إنما هو عام في كل بيع لا يسمى ربا .
 قال له الشيخ تقي الدين : — وهذا كان المقصود . ولكن بطل
 بهذا دعوى عمومته على الإطلاق . فإنَّ دَعْوَى العموم على الإطلاق ينافي
 دعوى العموم في بعض الأنواع دون بعض . وهذا كلامٌ بَيِّنٌ
 وادَّعَى مُدَّعٍ : أن فيه قولين . أحدهما : أنه عام مخصوص .
 والثاني : أنه عموم مراد .

فقال الشيخ تقي الدين : — فإن دعوى أنه عموم مراد : باطل
 قطعاً ، فإننا نعلم أن كثيراً من أفراد البيع حرامٌ .
 فاعترض ابن المرحّل : بأن تلك الأفراد حرِّمَتْ بعد ما أُحِلَّتْ .
 فيكون نسخاً

قال الشيخ تقي الدين : — فيلزم من هذا أن لا يُحرِّمَ شيئاً
 من البيوع بخبر واحدٍ . ولا بقياسٍ . فإن نسخ القرآن لا يجوز بذلك .
 وإنما يجوز تخصيصه به . وقد اتفق الفقهاء على التحريم بهذه الطريقة
 قال ابن المرحّل : — رجعتُ عن هذا السؤال ، لكن أقول هو عموم
 مراد في كل ما يُسَمَّى بيعاً في الشرع . فإن البيع من الأسماء المنقولة إلى كل
 بيع صحيح شرعي .

قال الشيخ تقي الدين : — البيع ليس من الأسماء المنقولة ؛ فان مُسمَّاه في الشرع والعُرف هو المسمى اللغوي ، سكن الشارع اشتراط الحلال وصحته شروطاً . كما قد كان أهل الجاهلية لهم شروط أيضاً بحسب اصطلاحهم . وهكذا سائر أسماء العقود ، مثل الاجارة والرهن ، والهبة ، والقرض ، والنكاح . إذا أريد به العقد وغير ذلك — : هي باقية على مسمياتها . والنقل إنما يُحتاج إليه إذا أحدث الشارع معاني لم تكن العرب تعرفها . مثل الصلاة والزكاة ، والتميم . فحينئذ يحتاج إلى النقل . ومعاني هذه العقود ما زالت معروفة .

قال ابن المرحل : — أصحابي قد قالوا : إنها منقولة .

قال الشيخ تقي الدين : — لو كان لفظ البيع في الآية المراد به البيع الصحيح الشرعي لسكان التقدير : أحل الله البيع الصحيح الشرعي . أو أحل الله البيع الذي هو عنده حلال . وهذا — مع أنه مكرر — فانه يمنع الاستدلال بالآية . فأننا لانعلم دخول بيع من البيوع في الآية حتى نعلم أنه بيع صحيح شرعي . ومتى علمنا ذلك استغنينا عن الاستدلال بالآية .

قال ابن المرحل : — متى ثبت أن هذا الفرد يُسمَّى بيعاً في اللغة قلت : هو بيع في الشرع . لأن الأصل عدم النقل . وإذا كان بيعاً في الشرع دخل في الآية .

قال الشيخ تقي الدين : — هذا إنما يصح لو لم يثبت أن الاسم منقول
أما إذا ثبت أنه منقول . لم يصح إدخال فرد فيه . حتى يثبت أن الاسم
المنقول واقع عليه . وإلا فيلزم من هذا أن كل ما سُمي في اللغة صلاة ،
وزكاة ، وتيمم ، وصوما ، وبيعاً ، وإجارة ، ورهنًا . أنه يجوز إدخاله
في المسمى الشرعي ، بهذا الاعتبار . وعلى هذا التقدير : فلا يبقى فرق
بين الأسماء المنقولة وغيرها . وإنما يقال : الأصل عدم النقل ، إذا لم
يثبت . بل متى ثبت النقل فالأصل عدم دخول هذا الفرد في الاسم
المنقول ، حتى يثبت أنه داخل فيه بعد النقل .

فلتأمل هذه الأبحاث الثلاثة وكل ما فيها

قلت : فانه من كلام الشيخ تقي الدين قرره بعد المناظرة .

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي ، في أثناء كلامه في ترجمة الشيخ
رحمه الله : —

وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين . وقل أن يتكلم
في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة . وقد خالف الأربعة في
مسائل معروفة . وصنّف فيها . واحتج لها بالكتاب والسنة

ولما كان مُعْتَقَلًا بالاسكندرية التمس منه صاحب سببته أن يحيز له مروياته ، وَيُنَصَّ عَلَى أَسْمَاءِ جَمَلَةٍ مِنْهَا . فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدھا من حفظه ، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر مُجَدِّث .

وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب مُعَيَّن ، بل بما قام عليه الدليل عنده .

ولقد نصر السنة المحضة . والطريقة السلفية . واحتج لها ببراھين ، ومقدمات ، وأمور لم يُسَبِّق إليها .

وأطلق عبارات أحجَم عنها الأولون والآخرون . وهابوا ، وجسروا ، عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام ، قياما لا مزيد عليه ، وبدَّعوه . وناظروه ، وكابروه ، وهو ثابت لا يُدَاهِن ولا يُحَايى ، بل يقول الحقَّ المرَّ الذى أدَّاه إليه اجتهداه ، وحِدَّةُ ذِھْنه ، وَسَعَةُ دائرته فى السنن والأقوال

مع ما اشتهر عنه من الورع ، وكمال الفكرة ، وسُرعة الادراك ، والخوف من الله ، والتعظيم لحرَمَاتِ الله

فجرى بينه وبينهم سَحَلَاتٌ حَرِيَّةٌ ، ووقائع شامية ومِصْرِيَّة .
وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فيُنَجِّيهِ الله

فانه دائم الابتهاال ، كثير الاستغاثة ، قوى التوكل ، ثابت الجأش .
 له أورا د وأذ كار يُدْمِنُهَا بِكَيْفِيَّةٍ وَجَعِيَّةٍ
 وله من الطرف الآخر محبوبون من العلماء والصلحاء . ومن الجند
 والأمراء ، ومن التجار والكبراء . وسائر العامة تحبه ، لأنه منتصب
 لنفعهم ليلا ونهارا بلسانه وقلمه .
 وأما شجاعته فيها تُضْرَبُ الأمثال . وبيعضا يتشبه أ كابر
 الأبطال .

فلقد أقامه الله في نوبة غازان . والتقى أعباء الأمر بنفسه . وقام
 وقعد وطلع وخرج . واجتمع بالملك مرتين ، وبقطلو شاه ، وبيولاي .
 وكان قَبْجَق يتعجب من إقدامه وجراته على المغول .
 وله حدة قوية تعتريه في البحث ، حتى كأنه ليث حرب .
 وهو أكبر من أن ينبه مثلى على نعوته . فلو حلفت بين الزكن
 والمقام لحلفت أنى ما رأيت بعينى مثله ، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه
 في العلم .

قلت : ما فعله الشيخ رحمه الله في نوبة غازان من جميع أنواع
 الجهاد ، وسائر أنواع الخير : من إنفاق الأموال ، وإطعام الطعام ، ودفن
 الموتى ، وغير ذلك : معروف مشهور .

ثم بعد ذلك بعام ، سنة سبعمائة لما قدم التتار إلى أطراف البلاد ،
 وبقي الخلق في شدّة عظيمة ، وغلب على ظنهم أن عسكر مصر قد
 تخلّوا عن الشام ، ركب الشيخ ، وسار على البريد إلى الجيش المصرى
 في سبعة أيام . ودخل القاهرة في اليوم الثامن : يوم الاثنين حادى
 عشر جمادى الأولى ، وأطّاب^(١) المصريين داخله . وقد دخل السلطان
 الملك الناصر . فاجتمع بآركان الدولة ، واستصرّخ بهم وحضّهم على
 الجهاد . وتلا عليهم الآيات والأحاديث . وأخبرهم بما أعدّ الله
 للمجاهدين من الثواب . فاستفاقوا ، وقويت هممهم . وأبدؤا له العذر
 في رجوعهم ، مما قاسوا من المطر والبرد منذ عشرين . ونودى بالغزاة .
 وقوى العزم . وعظّموه . وأكرموه . وتردد الأعيان إلى زيارته .

واجتمع به في هذه السنة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد . وسمع
 كلامه . وذكّر أنهم سألوه بعد انقضاء المجلس فقال : هو رجل حَفْظَةٌ .
 قيل له : فهَلَّا تكلمت معه ؟ فقال : هذا رجل يحب الكلام .
 وأنا أحب السكوت .

ولقد أخبرنى الذهبي عن الشيخ رحمه الله أنه أخبره أن ابن دقيق
 العيد قال له بعد سماع كلامه : ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك .

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى المذكور وصل الشيخ
إلى دمشق على البريد .

وكتب في هذه الحادثة كتاباً . وصورته هذا :

صورة كتاب

كتبه شيخ الاسلام ، علامة الزمان ، تقي الدين ، أبو العباس :
أحمد بن تيمية ، رحمه الله ورضي عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين .

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ، فانا نحمد إياكم الله الذي
لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ، ونسأله أن
يصلى على صفوته من خليقته ، وخيرته من بريته ، محمد عبده ورسوله ،
صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

أما بعد : فقد صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم
الأحزاب وحده ، (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى
الله للمؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً ^(١)) والله تعالى يحقق لنا تمام

الكلام بقوله : (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ، وأورثكم أرضهم وديارهم ، وأموالهم ، وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديراً)^(١).

فان هذه الفتنة التي ابتلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد ، الخارج عن شريعة الاسلام . قد جرى فيها شبيهه ماجرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه ، وابتلي بها نبيه والمؤمنين : ماهو أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً إلى يوم القيامة ، فان نصوص الكتاب والسنة ، اللذين هما دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي ، أو بالعموم المعنوي . وعهود الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الامة ، كما نالت أولها . وإنا قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم ، لتكون عبرة لنا . فنشبه حالنا بحالهم ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها . فيكون المؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين . ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان

للكافر والمنافق من المتقدمين . كما قال تعالى لما قَصَّ قصة يوسف مُفَصَّلَةً ، وأَجْمَلَ ذكر قصص الأنبياء . ثم قال : (لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولى الألباب . ما كان حديثاً يُفْتَرَى ^(١)) أى هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يُفْتَرَى من القصص المكذوبة ، كمنحو ما يذكر في الحروب ، وفي السَّير المكذوبة .

وقال تعالى ، لما ذكر قصة فرعون : (فأخذَه الله نَكَالَ الآخِرَةِ والأولى . إن في ذلكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ^(٢))

وقال في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أعدائه ببدر وغيرها (قد كان لكم آيةٌ في فِئْتَيْنِ التَّمَقَّتَا : فِئَةٌ تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ^(٣))

وقال تعالى في محاصرته لبني النَّضِيرِ (هو الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ

(٢) سورة يوسف آية : (١١١)

(٢) سورة النازعات آية (٢٥ ، ٢٦)

(٣) سورة آل عمران آية (١٣)

يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي
الْمُؤْمِنِينَ . فَاَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (١)

فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة ، ومن قبلها
من الأمم

وذكر في غير موضع : أن سنته في ذلك سنة مطردة ، وعادته

مستمرة

فقال تعالى : (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا .
مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا نَقْتِيلًا . سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
مَنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) (٢)

وقال تعالى (وَلَوْ قَاتَلَ كُفُّوا أَوْلُوا الْأَذْهَابِ لَمْ يَجِدُوا
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا) (٣)

وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين كدأب

(١) سورة الحشر آية (٢)

(٢) سورة الاحزاب الآيات (٦٠، ٦١، ٦٢)

(٣) سورة الفتح آية (٢٣، ٢٢)

السكاقرين من المستقدمين (١)

فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده . ودأب الأمم وعاداتهم ، لاسيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها ، واستطار في جميع ديار الاسلام شررها ، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه ، وكشرف فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه ، وكاد فيه عمود الكتاب أن يُجَثَّ وَيُخْتَرَمَ . وحبل الايمان أن يَنْقَطِعَ وَيُضْطَلَمَ . وعُقْرُ دار المؤمنين أن يَحُلَّ بها البوار . وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار . وظنَّ المنافقون والذين في قلوبهم مرضُ أنَّ ما وعدهم الله ورسوله إلا غرورا . وأنَّ لَنْ يَنْقَلِبَ حَرْبُ الله ورسوله إلى أهلهم أبدا وزُيِّنَ ذلك في قلوبهم وظنُّوا ظَنَّ السَّوءِ وكانوا قوماً بوراً . ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران . وأنزلت الرجلَ الصاحي منزلة السكران . وترك الرجل اللبيب لكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان . وتناكرت فيها قلوب المعارف والاخوان ، حتى بقى للرجل بنفسه شغل عن أن يُغيثَ اللَّهُمَّانَ . وميز الله فيها أهل البصائر والايقان . من الذين في قلوبهم مرضُ أو نفاق وضعف إيمان . ورفع بها أقواماً إلى الدرجات

(١) فقال في سورة آل عمران آية (١١) والافات آية (٥٤) (كدأب

آل فرعون والذين من قبلهم)

العالية . كما خفض بها أقواماً إلى المنازل الهاوية . وكفر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة . وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامه مختصرة من القيامة الكبرى .

فان الناس تفرقوا فيها ما بين شقي وسعيد . كما يفرقون كذلك في اليوم الموعود . وفرّ الرجل فيها من أخيه وأمه وأبيه . إذ كان لكل امرئ منهم شأن يغنيه . وكان من الناس من أقصى همته النجاة بنفسه ، لا يلوى على ماله ولا ولده ولا عرسه . كما أن منهم من فيه قوة على تخليص أهل والمال . وآخر فيه زيادة معونة لمن هو منه ببال . وآخر منزلته منزلة الشفيع المطاع . وهم درجات عند الله في المنفعة والدفاع . ولم تنفع المنفعة الخالصة من الشكوى إلا الإيمان والعمل الصالح . والبر والتقوى . وبُليّت فيها السرائر . وظهرت الخبايا التي كانت تسكتها الضمائر . وتبيّن أن البهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المسأل . وذمّ سادته وكبراءه من أطاعهم فأضأوه السبيل . كما حمد ربه من صدق في إيمانه فأستخضع الرسول سبيلا . وبان صدق ما جاءت به الآثار النبوية ، من الأخبار بما يكون . وواطأتها قلوب الذين هم في هذه الأمة مُحَدَّثُونَ . كما تواطأت عليه المبشرات التي

أُرِيَهَا الْمُؤْمِنُونَ . وَتَبَيَّنَ فِيهَا الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الظَّاهِرَةُ عَلَى الدِّينِ .
الَّذِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مِنْ خَذَلَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
حَيْثُ نَحَزَبَ النَّاسَ ثَلَاثَةُ أَحْزَابٍ : حِزْبٌ مُجْتَهِدٌ فِي نَصْرِ الدِّينِ .
وَأَخَرٌ خَاذِلٌ لَهُ ، وَأَخَرٌ خَارِجٌ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ .

وَانْقَسَمَ النَّاسُ مَا بَيْنَ مَا جُورَ وَمَعْدُورٍ . وَأَخَرٌ قَدْ غَرَّهَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ
وَكَانَ هَذَا الْامْتِحَانُ تَمْيِيزًا مِنَ اللَّهِ وَتَقْسِيمًا . لِيَجْزِيَ الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ
وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا .
وَوَجْهَ الْإِعْتِبَارِ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ الْعَظِيمَةِ : أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . وَشَرَعَ لَهُ الْجِهَادَ
لِإِبَاحَةِ لَهُ أَوَّلًا ، ثُمَّ إِيْجَابًا لَهُ ثَانِيًا . لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَصَارَ لَهُ فِيهَا
أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَغَزَا بِنَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَدَّةَ مُقَامِهِ
بِدَارِ الْهَجْرَةِ ، وَهُوَ نَحْوُ عَشْرِ سِنِينَ : بَعْضًا وَعَشْرِينَ غَزْوَةً . أَوَّلُهَا بَدْرٌ
وَأَخْرَاهَا تَبُوكَ . أَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَوَّلِ مَغَازِيهِ سُورَةَ الْأَنْفَالِ ؛ وَفِي آخِرِهَا
سُورَةَ بَرَاءةٍ . وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَصْحُفِ ، لِتَشَابُهِ أَوَّلِ الْأَمْرِ وَآخِرِهِ . كَمَا
قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانُ — لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْقِرَانِ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ مِنْ
غَيْرِ فَصْلٍ بِالْبَسْمَلَةِ .

وكان القتال منها في تسع غزوات .

فأول غزوات القتال : بدر ، وآخرها حنين : والطائف . وأنزل الله فيها ملائكته كما أخبر به القرآن ^(١) . ولهذا صار الناس يجمعون بينهما في القول ، وإن تباعد ما بين الغزوتين مكاناً وزماناً .

فإن بدرًا كانت في رمضان ، في السنة الثانية من الهجرة ، ما بين المدينة، ومكة ، شامئ مكة . وغزوة حنين في آخر شوال من السنة الثامنة . وحنين وادٍ قريب من الطائف ، شرقي مكة

ثم قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائمها بالجعرانة واعتمر عمره الجعرانة .

ثم حاصر الطائف فلم يقاتله أهل الطائف زحفًا وصفوفًا وإنما قاتلوه من وراء جدار

فآخر غزوة كان فيها القتال زحفًا واصطفافًا : هي غزوة حنين

(١) قال تعالى في سورة التوبة (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا ذلك جزاء الكافرين) آيتي (٢٥، ٢٦)

وكانت غزوة بدر أول غزوة ظهر فيها المسلمون على صناديد الكفار . وقتل الله وأسر رؤوسهم ، مع قلة المسلمين وضعفهم . فانهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ، ليس معهم إلا فرسان . وكان يعتقب الاثنان والثلاثة على البعير الواحد ^(١) . وكان عدوهم بقدرهم أكثر من ثلاث مرات ، في قوة وعدة وهيئة وخيلاء .

فلما كان من العام المقبل غزا الكفار المدينة ^(٢) . وفيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في نحو من ربيع الكفار . وتركوا عيالهم بالمدينة ، لم ينقلوهم إلى موضع آخر . وكانت أولاً الكثرة للمسلمين عليهم ، ثم صارت للكفار . فانهمز عامة عسكر المسلمين إلا نفرًا قليلًا حول النبي صلى الله عليه وسلم . منهم من قُتل ، ومنهم من جرح . وحرصوا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى كسروا رباعيته ، وشجّوا جبينه ، وهشموا البيضة على رأسه . وأنزل الله فيها نحوًا من شطر سورة آل عمران ، من قوله (وإذ غدوت من أهلك

(١) اعتقبوا البعير : أي ركب كل واحد منهم طائفة من الطريق فاذا

أخذ حظه من الراحة نزل عنه . وركبه الآخر وهكذا

(٢) وهي غزوة أحد

تَبَوَّيْهُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ (قَالَ فِيهَا) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (وَقَالَ فِيهَا) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (وَقَالَ فِيهَا) أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وكان الشيطان قد نَفَقَ في الناس (١) أن محمداً قد قُتِلَ . فمنهم من تَزَلُّزَلَ لذلك ، فهرب . ومنهم من ثَبَتَ ، فقاتل ، فقال الله تعالى (وما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)

(١) « نفق في الناس » أى أشاع وروج

وكان هذا مثل حال المسلمين لما انكسروا في العام الماضي .
 وكانت هزيمة المسلمين في العام الماضي ^(١) بذنوب ظاهرة، وخطايا واضحة :
 من فساد النيات ، والفخر والخيلاء ، والظلم ، والفواحش والإعراض
 عن حكم الكتاب والسنة ، وعن المحافظة على فرائض الله ، والبغى
 على كثير من المسلمين الذين بأرض الجزيرة والرؤوم
 وكان عدوهم في أول الأمر راضيا منهم بالموادعة والمسالمة ، شارعا
 في الدخول في الاسلام . وكان مبتدئا في الايمان والأمان ، وكانوا هم قد
 أعرضوا عن كثير من أحكام الايمان

فكان من حكمة الله ورحمته بالمؤمنين أن ابتلاهم بما ابتلاهم به
 لِيُمَحِّصَ الله الذين آمنوا ، وَيُنَبِّئُوا إِلَى رَبِّهِمْ ، وليظهر من عدوهم ما ظهر
 منه من البغى والمكر ، والنكث ، والخروج عن شرائع الاسلام ،
 فيقوم بهم ما يستوجبون به النصر ، وبعدهم ما يستوجب به الانتقام
 فقد كان في نفوس كثير من مقاتلة المسلمين ورعيتهم من الشر

(١) أى وكانت هزيمة المسلمين يوم أحد ، إذ خالفوا أمر رسول الله
 صلى الله عليهم وسلم للرماة أن يلزموا مكانهم مهما كانت الحال مثل هزيمة
 المسلمين أمام التتار في عهد شيخ الاسلام ابن تيمية من العام الماضي قبل
 كتابة هذه الرسالة

الكبير ما لو يقتن به ظفرٌ بعدوهم — الذى هو على الحال المذكورة —
لاوجب لهم ذلك من فساد الدين والدنيا ما لا يوصف .

كما أن نصر الله المسلمين يوم بدر كان رحمةً ونعمةً ، وهزيمتهم
يوم أُحُدٍ كان نعمةً ورحمةً على المؤمنين

فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا
كان خيراً له . وليس ذلك لاحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرّاء فشكر
الله كان خيراً له . وإن أصابته ضرّاء فصبر كان خيراً له ^(١) »

فلما كانت حادثة المسلمين عام أول شبيهةً بأحُدٍ . وكان بعد أحد
بأكثر من سنة — وقيل بسنتين — قد ابتلى المسلمون بغزوة الخندقِ .
كذلك فى هذا العام ابتلى المؤمنون بعدوهم ، كنعحو ما ابتلى المسلمون
مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الخندقِ ، وهى غزوة الأحزاب التى
أنزل الله فيها سورة الأحزاب . وهى سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة ،
التي نصر الله فيها عبده صلى الله عليه وسلم ، وأعزّ فيها جنده المؤمنين ، وهزَمَ
الأحزاب الذين تحزّبوا عليه وحده ، بغير قتالٍ ، بل بثبات المؤمنين بأزاء

(١) رواه مسلم فى الزهد عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير . وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ،
إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له . وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً
له » ورواه أيضاً الامام أحمد

عدوهم .

ذكر فيها خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحقوقه ،
وحرمة ماله ، وحرمة أهل بيته ، لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها
بغير قتال . كما كان ذلك في غزوتنا هذه ، سواء . وظهر فيها سرُّ تأييد
الدين ، كما ظهر في غزوة الخندق . وانقسم الناس فيها كاتقسامهم
عام الخندق

وذلك أن الله تعالى منذ بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وأعزّه بالهجرة
والنصرة صار الناس ثلاثة أقسام :

قسماً مؤمنين ، وهم الذين آمنوا به ظاهراً وباطناً

وقسماً كفاراً ، وهم الذين أظهروا الكفر به .

وقسماً منافقين ، وهم الذين آمنوا ظاهراً ، لا باطناً

ولهذا افتتح سورة البقرة بأربع آيات في صفة المؤمنين ، وآيتين في

صفة الكافرين . وثلاث عشر آية في صفة المنافقين .

وكل واحد من الإيمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب . كما

دلّت عليه دلائل الكتاب والسنة . وكما فسره أمير المؤمنين على بن أبي

طالب رضى الله عنه في الحديث المأثور عنه في الإيمان ودعائمه وشعبه .

فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من

النار ، كنفاق عبد الله بن أبيّ وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول ، أو

حَجُودَ بعضٍ ما جاء به ، أو بُغْضَهُ ، أو عدمَ اعتقاد وجوب اتِّباعه ،
أو المسرَّةَ بانخفاض دينه ، أو المساءة بظهور دينه . ونحو ذلك : مما
لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله .

وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وما زال بعده بل هو بعده أكثر منه على عهده ، لكون موجبات
الإيمان على عهده أقوى . فإذا كانت مع قوَّتها كان النفاقُ موجوداً
فوجوده فيما دون ذلك أولى .

وكما أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم بعض المنافقين ، ولا يعلم
بعضهم . كما بيَّنه قوله (وَمِنْ حَوَالِكُمْ مِنْ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ
وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ^(١))
كذلك خلفاؤه بعده . وورثته قد يعلمون بعض المنافقين ولا يعلمون
بعضهم

وفي المنتسبين إلى الاسلام من عامَّة الطوائفُ منافقون كثيرون ،
في الخاصة والعامة . ويُسمَّون الزنادقة .

وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر ، لكون ذلك
لا يُعلم ، إذ هم دائماً يُظهرون الإسلام

(١) سورة التوبة آية (١٠١)

وهؤلاء يكثرون في المتفلسفة ، من المنجيين ، ونحوهم ، ثم في الأطباء . ثم في الكتّاب أقل من ذلك ويوجدون في المتصوفة والمتفقهة ، وفي المقاتلة والأمراء ، وفي العامة أيضاً .

ولكن يوجدون كثيراً في نحل أهل البدع ، لاسيما الرافضة . فقيهم من الزنادقة والمناقين مالم يس في أحد من أهل النحل . ولهذا كانت الحرّمية^(١) ، والباطنية ، والقرامطة ، والاسماعيلية ، والنصيرية ، ونحوهم من المناقين الزنادقة منتسبة إلى الرافضة .

وهؤلاء المناقون في هذه الأوقات لكثير منهم ميل إلى دولة هؤلاء التتار ، لكونهم لا يلزمونهم شريعة الإسلام . بل يتركبونهم وما هم عليه وبعضهم إنما ينفرون عن التتار لفساد سيرتهم في الدنيا ، واستيلائهم على الأموال ، واجترائهم على الدماء ، والسبي ، لأجل الدين فهذا ضرب النفاق الأكبر .

وأما النفاق الأصغر : فهو النفاق في الأعمال ونحوها . مثل أن يكذب إذا حدث ، ويخلف إذا وعد ، ويخون إذا ائتمن ، أو يفجر إذا خاصم . ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق إذا

(١) منسوبون إلى بابك الخرمي ، نسبة إلى خرمه ، بوزن سكرة .

ثلاث : إذا حَدَّثَ كَذِبَ . وإذا وعد أخلفَ وإذا ائْتَمَنَ خان «
وفي رواية صحيحة « وإن صلى ، وصام . وزعم أنه مسلم »

وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « أربيعَ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالصًا . وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ
مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ ، حَتَّى يَدَعَهَا : إذا حَدَّثَ كَذِبًا ،
وإذا وعد أخلفَ . وإذا عاهد غدرَ . وإذا خاصم فجرَ »

ومن هذا الباب : الإعراضُ عن الجهاد . فإنه من خصال المنافقين
قال النبي صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يَغْزُ ولم يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ
مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ » رواه مسلم .

وقد أنزل الله سورة براءة ، التي تسمى الفاضحة . لأنها فَضَحَتْ
المنافقين . أخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس ، قال : « هي الفاضحة .
ما زالت تنزلُ (ومنهم ، ومنهم) حتى ظنوا أن لا يبقى أحدٌ إلا ذكر فيها »
وعن المقداد بن الأسود قال « هي سورة البُحُورِ . لأنها بَحِثَتْ
عن سرائر المنافقين »

وعن قتادة قال « هي المِثِيرَةُ . لأنها أثارت مَخَازِيِ المنافقين »
وعن ابن عباس قال « هي المَبْعَثَةُ » والبَعَثَةُ والإثارة متقاربان
وعن ابن عمر « أنها المَقْشَقَشَةُ » لأنها تَبْرِيءُ من مرض النفاق
يُقَالُ : تَقَشَّقَشَ الْمَرِيضُ إِذَا بَرَأَ .

وقال الأصمعي : وكان يقال لسورتي الأَخْلَاصُ ^(١) : المَشْقِشَتَانِ .
لأنهما يبرئان من النفاق .

وهذه السورة نزلت في آخر مغازي النبي صلى الله عليه وسلم : غزوة
تَبُوكَ ، عام تسع من الهجرة . وقد عزَّزَ الاسلامَ ، وظهر . فكشف الله
فيها أحوال المنافقين ، ووصفهم فيها بِالْجُنُبِ ، وترك الجهاد . ووصفهم
بالبُخْلِ عن النِّفَقَةِ في سبيل الله ، والشُّحِّ على المال . وهذان داءان
عظيمان : الْجُبْنُ والبُخْلُ .

قال النبي صلى الله عليه وسلم « شَرُّ مَا فِي الْمَرْءِ شُحُّ هَالِعٌ ، وَجُبْنٌ
خَالِعٌ » حديث صحيح ^(٢) ولهذا قد يكونان من الكبائر الموجبة للنار .
كما دلَّ عليه قوله (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ^(٣)) وقال تعالى (وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا

(١) هما : قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد . لأن الأولى
أخلصت توحيد الالهية . والثانية أخلصت توحيد الأسماء والصفات .
(٢) رواه الامام أحمد عن أبي داود عن أبي هريرة رضى الله عنه :
ذكره ابن كثير في قوله تعالى (إن الانسان خلق هلوعا - الآية) من
سورة المعارج .

(٣) سورة آل عمران آية (١٨٠)

لِقِتَالِ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ^(١)

وأما وصفهم بالجبن والفرع . فقال تعالى (وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ
لِمَنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ . لَوْ يَحْدُونِ مَلَجًا أَوْ
مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَحْجُمُونَ ^(٢))

فأخبر سبحانه أنهم ، وإن حلفوا أنهم من المؤمنين ، فها هم منهم .
ولكن يفرعون من العدو . فلو يحدون مَلَجًا يلجأون إليه من المعقل
والحصون التي يفرُّ إليها من يترك الجهاد ، أو مغارات — وهي تجمع
مغارة ، ومغارات . سُمِّيَتْ بذلك لأن الداخل يغور فيها ، أي يستتر .
كما يغور الماء —

أو مُدْخَلًا . وهو الذي يُتَكَلَّفُ الدخول إليه ، إما الضيق بابه ،
أو لغير ذلك . أي مكانا يدخلون إليه . ولو كان الدخول بكلفة
ومشقة ، لَوَلَّوْا عن الجهاد إليه . وهم يحجمون . أي يسرعون إسراعًا
لا يرُدُّهم شيء ، كالفرس الجُمُوح الذي إذا حمل لا يرده اللجام .

(١) سورة الأنفال آية (١٦)

(٢) سورة برآة آيتي . (٥٦ ، ٥٧)

وهذا وصف منطبق على أقوام كثيرين في حادثتنا . وفيما قبلها
من الحوادث . وبعدها .

وكذلك قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم (فإذا أنزلت
سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
قُبُورٌ لَّهُمْ) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ . فإذا عَزَمَ الْأَمْرُ صَلَّى صَلَّى اللَّهُ
لَكَ خَيْرًا لَهُمْ ^(١)) وقال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
مُحْسِنِينَ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ
الصَّادِقُونَ ^(٢)) فخصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد .

وقال تعالى (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ
يَتَرَدَّدُونَ ^(٣))

فهذا إخبار من الله بأن المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد ،

(١) آتَى (٢١ و ٢٠)

(٢) سورة الحجرات آية (١٥)

(٣) سورة براءة آتَى (٤٤ و ٤٥)

وإنما يستأذنه الذي لا يؤمن ، فكيف بالتارك من غير استئذان ؟ !

ومن تدبر القرآن وجد نظائر هذا مُتضافرةً على هذا المعنى .

وقال في وصفهم بالشُّحِّ (وما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ^(١))

فهذه حال من أنفق كارها ، فكيف بمن ترك النفقة رأساً ؟ !

وقال (ومنهم مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْتَخْطُونَ ^(٢))

وقال (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ^(٣)) .

وقال في السورة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ

(١) سورة براءة آية (٥٤)

(٢) سورة براءة آية (٥٨)

(٣) سورة براءة آيتي (٧٥ ، ٧٦)

اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَبِشْرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا
جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَفْقَهُونَ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْتِزُونَ (١).

فانتظمت هذه الآية حال من أخذ المال بغير حقه ، أو منعه عن
مستحقه من جميع الناس . فإن الأبحار هم العلماء ، والرهبان هم العبَّاد .
وقد أخبر أن كثيرا منهم يأكلون أموال الناس بالباطل ،
وَيَصُدُّونَ — أى يعرضون ويمنعون .

يُقال : صدَّ عن الحق ، صدوداً . وصدَّ غيره .
وهذا يندرج فيه ما يؤكل بالباطل : من وقف ، أو عطية على
الدين . كالصلاة ، والنذور التي تنذر لأهل الدين ، ومن الأموال
المشتركة . كأموال بيت المال ، ونحو ذلك .

فهذا فيمن يأكل المال بالباطل بشبهة دين .
ثم قال : (وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ) فهذا يندرج فيه من كثر المال عن النفقة الواجبة في
سبيل الله . والجهاد أحق الأعمال باسم سبيل الله ، سواء كان ملكاً
أو مُقَدَّماً ، أو غنياً ، أو غير ذلك .

وإذا دخل في هذا ما كُنز من المال الموروث والمكسوب . فما كُنز
من الأموال المشتركة التي يستحقها عموم الأمة — ومستحقها :
مصالحهم — أولى وأحرى .

فصل

فإذا تبين بعض معنى المؤمن والمنافق . فإذا قرأ الانسان سورة
الأحزاب . وعرف من المنقولات في الحديث ، والتفسير ، والفقه ،
والمغازي كيف كانت صفة الواقعة التي نزل بها القرآن . ثم اعتبر هذه
الحادثة بتلك : وجد مصداق ما ذكرنا . وأن الناس انقسموا في هذه
الحادثة إلى الأقسام الثلاثة . كما انقسموا في تلك . وتبين له كثير من
المتشابهات .

افتتح الله السورة^(١) بقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ
الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) وذكر في أثنائها قوله (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ
لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا . وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) ثم
قال : (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا . وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) .

فأمره باتباع ما أوحى إليه من الكتاب والحكمة — التي هي
سنته — وبأن يتوكل على الله

(١) أي سورة الأحزاب

فبالأولى تحقق قوله : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)

وبالثانية تحقق قوله : (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) .

ومثل ذلك قوله : (فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ^(١)) وقوله : (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) ^(٢) .

وهذا وإن كان مأمورا به في جميع الدين . فإن ذلك في الجهاد أو كد . لأنه يحتاج إلى أن يُجاهد الكفار والمنافقين . وذلك لا يتم إلا بتأييد قوى من الله . ولهذا كان الجهاد سنام العمل ^(٣) وانتظم سنام جميع الأحوال الشريفة .

(١) سورة هود آية (١٢٣)

(٢) سورة هود آية (٨٨)

(٣) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر . فاصبحت يوما قريبا منه . ونحس نسير . فقلت : يا رسول الله . أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار . قال : لقد سألت عن عظيم ، وأنه ليسير على من يسر الله عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئا . وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار . وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقاهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قره أعين جزاء بما كانوا

ففيه سنام المحبة . كما في قوله : (فَسَوْفَ يَأْتِ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) (١) .

وفيه سنام التوكل وسنام الصبر . فان المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل . ولهذا قال تعالى (والذين هاجروا في الله مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (٢) وقال موسى لقومه اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (٣) .

يعملون) ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : رأس الأمر الاسلام . وعموده الصلاة . وذروة سنامه الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : كيف عليك هذا — وأشار إلى لسانه . قلت : يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : تكلتك أملك . وهل يكب الناس في النار على وجوههم ، أو قال على مناخرهم — إلا حصائد ألسنتهم ؟ »

رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه . وقال الترمذي : حسن صحيح ، وقد تكلم الحافظ المنذرى على سند الحديث في باب الصمت من الترغيب والترهيب (١) سورة المائدة آية (٥٤)

(٢) سورة النحل آيتي (٤٢، ٤١) (٣) سورة الأعراف آية (١٢٨)

ولهذا كان الصبرُ واليقينُ — اللذين هما أصلُ التوكل — يُوجبان الإمامة في الدين، كما دلَّ عليه قوله تعالى : (وجعلناهم أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)^(١) .

ولهذا كان الجهاد موجباً للهداية التي هي مُحِيطَةٌ بأبواب العلم . كما دلَّ عليه قوله تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)^(٢)

وفي الجهاد أيضا : حقيقة الزهد في الحياة الدنيا ، وفي الدار الدنيا وفيه أيضا : حقيقة الاخلاص . فانَّ الكلامَ فيمن جاهد في سبيل الله ، لا في سبيل لراياسة ، ولا في سبيل المال ، ولا في سبيل الحمية ، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله ، ولتكون كلمة الله هي العليا .

وأعظم مراتب الاخلاص : تسليمُ النفس والمال للعبود ، كما قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ)^(٣)

والجنةُ اسمٌ للدار التي حَوَتْ كلَّ نعيم . أعلاه النظرُ إلى الله ، إلى ما دون ذلك مما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين ، مما قد نعرفه

(١) سورة الم السجدة آية (٢٤)

(٢) سورة العنكبوت آية (٦٨)

(٣) سورة براءة آية (١١١)

وقد لانعرفه . كما قال الله تعالى فيما رواه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم
 « أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر
 على قلب بشر »

فقد تبين بعض أسباب افتتاح هذه السورة بهذا
 ثم إنه تعالى قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُورُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)

وكان مختصر القصة :

أن المسلمين تحزَّبَ عندهم عامَّةُ المشركين الذين حولهم ، وجاءوا
 بمجموعهم إلى المدينة لِيَسْتَأْصِلُوا الْمُؤْمِنِينَ .

فاجتمعت قريش وحلفاؤها من بني أسد ، وأشجع ، وفزارة ،
 وغيرهم من قبائل نجد

واجتمعت أيضا اليهود من قُرَيْظَةَ ، والنضير . فان بنى النضير
 كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أجلاهم قَبْلَ ذَلِكَ ، كما ذكره الله تعالى
 في سورة الحشر ^(١) . فجاءوا في الأحزاب إلى قُرَيْظَةَ . وهم معاهدون
 للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومجاورون له ، قريبا من المدينة . فلم يزالوا

(١) (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم
 لأول الحشر - الآيات)

حتى تَقَصَّتْ قُرَيْظَةُ الْعَهْدَ ، ودخلوا في الأحزاب . فاجتمعت هذه الأحزاب العظيمة ، وهم بِقَدَرِ الْمُسْلِمِينَ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ . ^(١) فرفع النبي صلى الله عليه وسلم الذَّرِّيَّةَ مِنَ النِّسَاءِ . والصبيان في أطام المدينة . وهى مثل الجواسيق ، ولم ينقلهم إلى مواضع أُخَرَ ، وجعل ظهرهم إلى سَلْعٍ — وهو الجبل القريب من المدينة ، من ناحية الغرب والشَّام — وجعل بينه وبين العدو خَنْدَقًا . والعدو قد أحاط بهم من العالِيَةِ وَالسَّافِلَةِ . وكان عدوًّا شديدَ العداوة ، لو تَمَكَّنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَانَتْ نِكَايَتُهُ فِيهِمْ أَعْظَمَ النِّكَايَاتِ

وفي هذه الحادثة تَحَزَّبَ هَذَا الْعَدُوُّ مِنْ مُغْلٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الثَّرَكِ ، وَمِنْ فُرْسٍ وَمُسْتَعَرِبَةٍ ، وَنَحْوِهِمْ مِنْ أَجْنَاسِ الْمُرَقَّدَةِ ، وَمِنْ

(١) كانت قريظة - وهم طائفة من اليهود لهم - حصن شرقي المدينة . ولهم عهد من النبي صلى الله عليه وسلم وذمة . وهم قريب من ثمانمائة مقاتل . فذهب إليهم حيي بن أخطب النضري . فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ومالتوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان معه من المسلمين نحو من ثلاثة آلاف . والأحزاب ، وعلى رأسهم أبو سفيان صخر بن حرب ، قريب من عشرة آلاف . وكان الذي حزب الأحزاب من قريش وغيرها على رسول الله : سلام بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع ، من بني النضير الذين كان أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى خير

نصارى ، من الأرمن وغيرهم . ونزل هذا العدو بجانب ديار المسلمين ، وهو بين الإقدام والاحجام ، مع قِلَّةٍ مَنْ يَإِزَاهِمُ من المسلمين . ومقصودهم الاستيلاء على الدار ، واصطِلام أهلها . كما نزل أولئك بنواحي المدينة بازاء المسلمين

ودام الحصار على المسلمين عامَ الخَنْدَقِ — على ما قيل — بضْعاً وعشرين ليلة . وقيل : عشرين ليلة .

وهذا العدو عَبَرَ الْفَرَاتَ سَابِعَ عَشَرَ ربيع الآخر . وكان أول انصرافه راجعاً عن حَلَبَ ، لما رجع مُقَدِّمُهُمُ الْكَبِيرُ قَازَانُ بِنِ مَعَهُ : يوم الاثنين حادى ، أو ثانى عشر ، جمادى الأولى ، يوم دخل العسكرُ المسلمين إلى مصر المحروسة . واجتمع بهم الداعى ، رُخَاطِهِمُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ . وكان الله سبحانه وتعالى لما ألقى في قلوب المؤمنين ما ألقى من الاهتمام والعزم : ألقى في قلوب عدوهم الرُّوعَ والانصراف

وكان عام الخندق بَرْدٌ شَدِيدٌ ، وَرِيحٌ شَدِيدَةٌ مُنْكَرَةٌ ، بِهَا صَرَفَ اللَّهُ الْأَحْزَابَ عَنِ الْمَدِينَةِ . كما قال تعالى : (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا)

وهكذا هذا العام أكثر الله فيه التَّلَجَّ والمطر والبرَدَ ، على خلاف

أكثر العادات . حتى كره أكثر الناس ذلك . وكُنَّا نقول لهم :
لاتكرهوا ذلك ؛ فإن الله فيه حكمة ورحمة .

وكان ذلك من أعظم الأسباب التي صرف الله به العدو . فإنه
كثر عليهم الثلج والمطر والبرد ، حتى هلك من خيَلهم ما شاء الله .
وهلك أيضا منهم من شاء الله . وظهر فيهم وفي بَقِيَّة خيَلهم من الضعف
والعجز بسبب البرد والجوع مارأوا أنهم لاطاقة لهم معه بقتال . حتى
بلغنى عن بعض كبار المقدَّمين فى أرض الشام أنه قال : لا يَبِضُّ الله
وجوهنا . عدونا فى الثلج إلى شعره ، ونحن قعود لاناخذهم ؟

وحتى علموا أنهم كانوا صيدا للمسلمين ، لويصطادونهم . لكن
فى تأخير الله اصطيادهم حكمة عظيمة .

وقال الله فى شأن الأحزاب : (إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ
بِاللهِ الظَّنُّونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا)

وهكذا هذا العام . جاء العدو من ناحيتى علو الشام ، وهو شمال
الفرات . وهو قبلى الفرات . فزاغت الأبصار زيفاً عظيماً . وبلغت
القلوب الحناجر ، لعظم البلاء ، لاسيما لما استفاض الخبر بانصراف

العسكر إلى مصر ، وتقرَّب العدو ، وتوجَّه إلى دمشق . وظن الناس بالله الظنوننا .

هذا يظن أنه لا يقف قدامهم أحد من جُنْد الشام ، حتى يصطلموا أهل الشام .

وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكسروهم كسرَةً ، وأحاطوا بهم إحاطة الهالة بالقمر .

وهذا يظن أن أرض الشام ما بقيت تسكن ، ولا بقيت تسكون تحت مملكة الاسلام .

وهذا يظن أنهم يأخذونها ، ثم يذهبون إلى مصر فيستولون عليها ، فلا يقف قدامهم أحد ، فيحدث نفسه بالقرار إلى الين . ونحوها وهذا — إذا أحسن ظنه — قال : إنهم يملكونها العام ، كما ملكوها عام هولاكو ، سنة سبع وخمسين . ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم ، كما خرج ذلك العام . وهذا ظن خيارهم .

وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية ، وأهل التحديث والمبشرات أمانيٌ كاذبة ، وخرافات لاغية .

وهذا قد استولى عليه الرعب والفرع ، حتى يمر الظن بفؤاده مرَّ السحاب ، ليس له عقل يتفهم ، ولا لسان يتكلم .

وهذا قد تعارضت عنده الأمارات ، وتقابلت عنده الارادات ،
لا سيما وهو لا يفرق من المبشرات بين الصادق والكاذب . ولا يميز
في التحديث بين الخطي ، والصائب . ولا يعرف النصوص الأثرية
معرفة العلماء ، بل إما أن يكون جاهلا بها وقد سمعها سماع العبر ، ثم قد
لا يتفطن لوجوه دلالتها الخفية . ولا يهتدى لدفع ما يتخيل أنه معارض
لها في بادية الرؤية .

فلذلك استولت الحيرة على من كان متسما بالاهتداء ، وتراجعت
به الآراء تراجم الصبيان بالخصباء . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا
شديدا . ابتلاهم الله بهذا الابتلاء ، الذي يُكفِّرُ به خطيئاتهم ، ويرفع
به درجاتهم ، وزلزلوا بما يحصل لهم من الرِّجَفات ، ما استوجبوا به أعلى
الدرجات .

قال الله تعالى : (وإذ يقولُ المنافقونَ والذِّينَ في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا)

وهكذا قالوا في هذه الفتنة فيما وعدهم أهل الوراثة النبوية ،
والخلافة الرسالية ، وحزب الله المحدثون عنه . حتى حصل لهؤلاء الناس
برسول الله صلى الله عليه وسلم . كما قال الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي
رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

فأما المنافقون فقد مضى التنبيه عليهم .

وأما الذين في قلوبهم مرض فقد تكرر ذكرهم في هذه السورة .
خذكروا هنا . وفي قوله : (لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) وفي قوله : (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ
مَرَضٌ) .

وذكر الله مرض القلب في مواضع . فقال تعالى : (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ) .

والمرض في القلب كالمرض في الجسد . فكما أن هذا هو إحالة عن
الصحة والاعتدال ، من غير موت ، فكذلك قد يكون في القلب مرض
يحيله عن الصحة والاعتدال ، من غير أن يموت القلب ، سواء أفسد
إحساس القلب وإدراكه ، أو أفسد عمله وحرركته .

وذلك — كما فسروه — : هو من ضعف الإيمان ، إما بضعف علم
القلب واعتقاده ، وإما بضعف عمله وحرركته . فيدخل فيه مَنْ ضَعُفَ
تصديقه وَمَنْ غلب عليه الجُبْنُ والفرع . فان أدواء القلب من الشهوة
الحُرْمَةِ والحَسَدِ والجُبْنِ والبُخْلِ وغير ذلك ، كلها أمراض . وكذلك الجهل
والشكوك والشبهات التي فيه .

وعلى هذا قوله : (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) هو إرادة الفجور ،

وشهوة الزنا ، كما فسروه به . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « وأى داء أدوى من البُخل ؟ » ^(١)

وقد جعل الله تعالى كتابه شفاء لما في الصدور
وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إنما شفاء العيِّ السؤال ^(٢) »
وكان يقول في دعائه « اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق
والأهواء والادواء »

ولن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه .
كما ذكروا أن رجلا شكى إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاءة ،
فقال : لو صححت لم تخف أحداً . أى خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك .
ولهذا أوجب الله على عباده أن لا يخافوا حزب الشيطان ، بل لا
يخافون غيره تعالى . فقال : (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا
تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ) أى يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ
وقال إماموم بنى إسرائيل تنبيهنا لنا (وإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) ^(٣)

(١) قال في النهاية : أى أى عيب أقبح منه ؟ والصواب « أدواء » بالهمز
ولكن هكذا يروى ، إلا أن يجعل من باب « دوى ، يدوى ، دوا ، فهو
داو » إذا هلك بمرض باطن

(٢) رواه أبو داود والدارقطني عن جابر « في قصة الذى أصابته الشجة
فاجنب فافتوه بالغسل فاغتسل فمات »

(٣) في سورة البقرة (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم

وقال (فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَخَشَوْنِ ^(١)) وقال (لِمَلَّا يَكُونُ
لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَخَشَوْنِي ^(٢)) وقال
تعالى : (الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَخَشَوْنِ ^(٣))
وقال (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ^(٤)) وقال (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ
وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ^(٥)) وقال : (أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا
أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ ؟
فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ ^(٦)) .

فدلَّت هذه الآية - وهى قوله تعالى : (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) - على أن المرض والنفاق فى القلب يوجب الرَّيْبَ فى
الأنبياء الصادقة التى توجب كفر الانسان : من الخوف ، حتى يظنوا

وأوفوا بعهدي أوف بعهديكم وإياي فارهبون)

(١) سورة المائدة آية (٤٤)

(٢) سورة البقرة آية (١٥٠)

(٣) سورة المائدة آية (٣)

(٤) سورة التوبة آية (١٨)

(٥) سورة الاحزاب آية (٣٩)

(٦) سورة التوبة آية (١٣)

أنها كانت غُروراً^(١) لهم ، كما وقع في حادثتنا هذه سواءا
ثم قال تعالى (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثربِ لامقام لكم
فارجعوا) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عسكرَ بالمسلمين عند سَلْعٍ ،
وجعل الخندقَ بينه وبين العدو . فقالت طائفة منهم : لامقام لكم هنا ،
لكثرة العدو . فارجعوا إلى المدينة

وقيل : لامقام لكم على دين محمد ، فارجعوا إلى دين الشرك

(١) لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم تحزب الأحزاب لغزو المدينة
استشار أصحابه . فأشار عليه سلمان بحفر الخندق . فبينما هم يحفرون قامت
عقبة أعيثهم جميعا . فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم الفاس من سلمان
وضربها فبرقت بركة . فسكبر وكبروا ، ثم الثانية . ثم الثالثة ، ثم سألوا النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك النور . فقال : لقد أضاء لى من الأولى
قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب . وأخبرني جبريل أن
أمتى ظاهرة عليها ، فابشروا . ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء ، كأنها
أنياب الكلاب . وأخبرني جبريل أن أمتى ظاهرة عليها . ومن الثالثة .
أضاءت القصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب . وأخبرني
جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فابشروا . فقال المسلمون : الحمد لله ، موعود
صادق . ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله ورسوله
وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما . وقال المنافقون : يخبركم

وقيل : لا مقام لكم على القتال ، فارجعوا إلى الاستئمان والاستجار بربهم ؛
وهكذا لما قدم هذا العدو كان من المنافقين من قال : ما بقيت
أولة الاسلامية تقوم ، فينبغي الدخول في دولة التتار . وقال بعض الخاصة :
ما بقيت أرض الشام تُسكن ، بل ننقل عنها ، إما إلى الحجاز
واليمن ، وإما إلى مصر . وقال بعضهم : بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء ،
كما قد استسلم لهم أهل العراق ، والدخول تحت حكمهم
فهذه المقالات الثلاث قد قيلت في هذه النازلة . كما قيلت في تلك
وهكذا قال طائفة من المنافقين ، والذين في قلوبهم مرض ، لأهل دِمَشْق
خاصة والشام عامة : لا مقام لكم بهذه الأرض
ونفى المقام بها أبلغ من نفي المقام . وإن كانت قد قرئت بالضم
أيضا . ^(١) فان من لم يقدر أن يقوم بالمكان ، فكيف يُقيم به ؟ .

أنه يبصر من يشرب قصور الخيرة ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم ، وأنتم
تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا . فأنزل الله الآية » و يروى أن معتب
ابن قشير قال : « بعدنا محمد أن تفتح كنوز كسرى وقصور مكة . ونحن لا يقدر
أحدنا أن يذهب إلى الغائط ؟ ما بعدنا إلا غرورا » وفي معتب ونظرائه
نزلت (ولما قالت طائفة منهم - الآية) . وقيل : القائل (لا مقام لكم
فارجعوا) إلى دينكم ؛ هو عبد الله بن أبي ابن سلول

(١) قال أبو حيان في البحر : قرأ السلي والأعرج واليمان وحفص
بضم الميم . فاحتمل أن يكون مكانا ، أى لا مكان إقامة . واحتمل أن يكون

قال الله تعالى (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ^(١) النَّبِيَّ . يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ . وما هي بَعُورَةٌ إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا)

كان قومٌ من هؤلاء المذمومين يقولون - والناسُ مع النبي صلى الله عليه وسلم عند سَلْعٍ دَاخِلِ الْخَنْدَقِ ، والنساءُ والصبيان في آطام المدينة - : يا رسول الله ، إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ . أى مكشوفة . فليس بينها وبين العدو حائل وأصل العورة : الخالي ، الذى يحتاج إلى حفظ وستر ، يقال : أعورَ مجاسك إذا ذهب ستره ، أو سقط جداره . ومنه عورة العدو ،

وقال مجاهد والحسن : أى ضائعة يخشى عليها الشَّرَاق . وقال قتادة : قالوا : بيوتنا مما يلي العدو ، فلا نأمن على أهلنا ، فائذن لنا أَنْ نذهب إليها ، لحفظ النساء والصبيان

قال الله تعالى (وما هي بعورة) لأن الله يحفظها (إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) فهم يقصدون الفرار من الجهاد ، ويحتجون بحجة العائلة

وهكذا أصاب كثيرا من الناس في هذه الغزاة . صاروا يفرون من الثغر إلى المعالق والحصون ، وإلى الأماكن البعيدة . كمصر ، ويقولون :

مصدرا ، أى لإقامة . وقرأ أبو جعفر وشيبة وأبو رجاء والحسن و قتادة والنخعي وعبد الله بن مسلم وطلحة وباقي السبعة بفتحها . واحتمل أيضا : أى لا مكان قيام ، واحتمل المصدر أى لا قيام لكم .

(١) قيل : هو أوس بن قبطى . وقيل : هم بنو حارثة . وقد كانوا عاهدوا الله لا يولون الأدبار .

حما مقصودنا لإحفظ العيال ، وما يمكن إرسالهم مع غيرنا . وهم يكذبون .
 فقد كان يمكنهم جعلهم في حصن دِمَشْق ، لودنا العدو . كما فعل المسلمون
 على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كان يمكنهم إرسالهم والمقام
 للجهاد . فكيف بمن فرَّ بعد إرسال عياله ؟

قال الله تعالى : (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا
 وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا) فأخبر أنه لو دُخِلَتْ عليهم المدينة من
 جوانبها ثم طُلِبَتْ منهم الفتنة — وهي الافتتان عن الدين بالكفر ، أو
 النفاق — لأعطوا الفتنة . ولجاءوها من غير توقف

وهذه حال أقوام لو دخل عليهم هذا العدو المتافق الجرم . ثم طاب
 منهم موافقته على ما هو عليه من الخروج عن شريعة الإسلام — وتلك
 فتنة عظيمة — لكانوا معه على ذلك . كما ساعدهم في العام الماضي
 أقوامٌ بأنواع من الفتنة في الدين والدنيا ، ما بين ترك واجبات ، وفعل
 محرمات ، إما في حق الله ، وإما في حق العباد . كترك الصلاة ،
 وشرب الخمر ، وسب السلف ، وسب جنود المسلمين ، والتجسس لهم
 على المسلمين ، ودلاتهم على أموال المسلمين . وحریمهم . وأخذ أموال
 الناس ، وتعذيبهم ، وتقوية دولتهم للمعونة ، وإرجاف قلوب المسلمين
 منهم ، إلى غير ذلك من أنواع الفتنة

ثم قال تعالى (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّبَارَ

وكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) وهذه حال أقوام عاهدوا ثم نكثوا ، قديما وحديثا ، في هذه الغزوة

فان في العام الماضي . وفي هذا العام : في أول الأمر ، كان من أصناف الناس من عاهد على أن يقاتل ولا يفر ، ثم فرَّ منهزما ، لما اشتد الأمر ثم قال الله تعالى (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل . وإذا لا تمتعون إلا قليلا) فأخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت ولا من القتل . فالفرار من الموت كالفرار من الطاعون .

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تاتخرجوا فرارا منه ^(١) » والفرار من القتل كالفرار من الجهاد

وحرف « لن » ينفي الفعل في الزمن المستقبل . والفعل نكرة . والنكرة في سياق النفي تعم جميع أفرادها .

فاقتضى ذلك : أن الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة ^(٢) أبدا . وهذا خبر الله الصادق . فمن اعتقد أن ذلك ينفعه فقد كذب الله في خبره

(١) رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن عوف ، بلفظ « إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه . وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » ورواه البخارى عن أسامة بن زيد أيضا .

(٢) وفي نسخة بهامش الأصل « ينفعه »

والتجربة تدلُّ على مثل ما دلَّ عليه القرآن . فان هؤلاء الذين فرُّوا في هذا العام لم ينفعهم فرارهم ، بل خسروا الدِّينَ والدنيا ، وتفاوتوا في المصائب . والمرابطون الثابتون نفعهم ذلك في الدِّينَ والدنيا حتى الموت الذي فرُّوا منه كثير فيهم . وقلَّ في المقيمين . فمات مع الحرب من شاء الله . والطالبون للعدو والمعاقبون له لم يمتْ منهم أحد ، ولا قتل . بل الموت قلَّ في البلد من حين خرج الفارُّون . وهكذا سنة الله قديماً وحديثاً .

ثم قال تعالى (وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) يقول : لو كان الفرار ينفعكم لم ينفعكم إلا حياة قليلة ، ثم تموتون . فان الموت لا بدَّ منه . وقد حكى عن بعض الحنفيَّ أنه قال : فنحن نريد ذلك القليل . وهذا جهل منه بمعنى الآية . فإن الله لم يقل : إنهم يتمتعون بالفرار قليلاً . لكنه ذكر أنه لا منفعة فيه أبداً .

ثم ذكر جواباً ثانياً . أنه لو كان ينفع لم يكن فيه إلا متاع قليل ثم إنه ذكر جواباً ثالثاً . وهو أن الفارَّ يأتيه ما قضيَ له من المصِّرة ويأتي الثابت ما قضيَ له من المسِّرة . فقال (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً) . ولا يجدون لهم من دونِ الله ولياً ولا نصيراً .

ونظيره : قوله في سياق آيات الجهاد (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ) ^(١) وقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ، أَوْ كَانُوا غُزًّاءَ : لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَمَاطُوا وَمَأْتِلُوا . لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) ^(٢)

فمضمون الأمر : أن المنايا محتومة . فكم من حضر الصفوف فسليم . وكم ممن فرّ من المنية فصادفته . كما قال خالد بن الوليد - لما احتضر - « لقد حَضَرْتُ كَذَا وكَذَا صَفًا . وإن يَدْنِي بضعاً وثمانين ، ما يَبِينَ ضَرْبَةُ بِسِيفٍ وَطَعَنَةُ بِرُمْحٍ ، وَرَمِيَّةُ بِسَهْمٍ . وهانذا أموت عَلَى فَرَأْشِي كما يموت العنز . » ^(٣) فلا قَرَّتْ أَعْيُنُ الْجَبَنَاءِ »

(١) سورة النساء (آية ٧٨)

(٢) سورة آل عمران (آية ١٥٦)

(٣) روى ابن الأثير في أسعد الغابة قال : لما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها . وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية . وها أنا أموت على فراش كما يموت العنز . فلا نامت أعين الجبناء . وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله . وأنا مترس بها » والعنز : الحمار . وروى مثل ذلك ابن عساكر ، ثم قال : وقال رجل من حوله : « والله ليسومني . فقال له : ولكنها سيئة إلى أجل . واستعين

ثم قال تعالى: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا)

قال العلماء: كان من المنافقين من يرجع من الحندق فيدخل المدينة. فاذا جاءهم أحد قالوا له: وَيَحْكُ، اجلس، فلا تخرج. ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر: أن اتُّنونا بالمدينة، فإنَّا ننتظركم، يُبْطِئُونهم عن القتال. وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن لا يجدوا بُدًّا. فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم. فاذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة. فانصرف بعضهم من عند النبي صلى الله عليه وسلم، فوجد أخاه لأبيه وأمه وعنده شواء ونبيذ^(١). فقال: أنت ههنا، ورسول الله صلى الله

بالله على ذلك. وفي رواية: أنه قال: «لقد طلبت الموت في مظانه، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي. وما من عمل شيء أرجى عندي بعد لإله إلا الله من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين، وأنا متمرس والسماء تهمل علي، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار. فعليكم بالجهاد. ثم قال: إذا أنامت فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله.»

(١) وفي تفسير ابن جرير «شواء ورغيف ونبيذ» وفي تفسير أبي حيان «سويق ونبيذ» قال ابن السائب: نزلت في عبد الله بن أبي، ومعتب بن قشير (١١ - العقود الدرية)

عليه وسلم بين الرِّمَاحِ والسيوفِ ؟ فقال : هَلُمَّ إِلَى . فقد أُحِيطَ بِكَ
وَبصاحبِكَ ^(١) .

فوصف المُشَبِّطِينَ عن الجهاد — وهم صِنْفَان — بأنهم إما أن يكونوا
فِي بِلَدِ الغَزَاةِ ، أو فِي غَيْرِهِ . فَإِنْ كَانُوا فِيهِ عَوَّقُوهُمْ عَنِ الجهاد بالقول ،
أو بِالْعَمَلِ ، أو بِهِمَا . وَإِنْ كَانُوا فِي غَيْرِهِ رَاسَلُوهُمْ ، أو كَاتَبُوهُمْ : بَأَن
يَخْرُجُوا إِلَيْهِمْ مِنْ بِلَدِ الغَزَاةِ ، لِيَكُونُوا مَعَهُمْ بِالْحَصُونِ ، أو بِالْبُعْدِ . كما
جَرَى فِي هَذِهِ الغَزَاةِ

فَإِنْ أَقْوَامًا فِي الْعَسْكَرِ وَالْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا صَارُوا يُعَوِّقُونَ مَنْ أَرَادَ الْغَزَاةَ ،
وَأَقْوَامًا بَعَثُوا مِنَ الْمَعَاقِلِ وَالْحَصُونِ أَوْ غَيْرِهَا إِلَى إِخْوَانِهِمْ : هَلُمَّ إِلَيْنَا
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : (وَلَا يَأْتُونَ التَّبَاسُ إِلَّا قَلِيلًا . أُشْحَجَةٌ عَلَيْكُمْ)
أَيُّ بِخَلَاءٍ عَلَيْكُمْ بِالْقِتَالِ مَعَكُمْ ، وَالنَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ : بِخَلَاءٍ
عَلَيْكُمْ بِالْخَيْرِ وَالظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ ^(٢)

وهذه حال من يَخْلُ على الْمُؤْمِنِينَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، أو شَحٍّ عَلَيْهِمْ

(١) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : إِنْ اللَّهُ وَصَفَهُمْ بِالْجُبْنِ
وَالشَّحِّ . وَلَمْ يَخْصُصْ وَصَفَهُمْ مِنْ مَعَانِي الشَّحِّ بِمَعْنَى دُونَ مَعْنَى . فَهَمْ كَمَا
وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ : أُشْحَجَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْغَنِيمَةِ وَالْخَيْرِ ، وَالنَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
عَلَى أَهْلِ مَسْكَنَةِ الْمُسْلِمِينَ .

بفضل الله: من نصره ورزقه الذي يجريه بفعل غيره . فان أقواما يشحون
بمعروفهم ، وأقواما يشحون بمعروف الله وفضله . وهم الحسادُ

ثم قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) من شدة الرُّعب الذي في قلوبهم
يُسْمِهُونَ الْمُغْمَى عَلَيْهِ وَقْتَ النَّزْعِ . فانه يخاف ويذهل عقله ،
ويشخص بصره ، ولا يظرف . فكذلك هؤلاء . لأنهم يخافون القتل:
(فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوا كُفْمُ بِالْأَسِنَّةِ حِدَادِ)

ويقال في اللغة « صلقوكم » وهو رفع الصوت بالكلام المؤذي .
ومنه « الصلابة » وهي التي ترفع صوتها بالمصيبة . يقال : صلقه ،
وسلقه — وقد قرأ طائفة من السلف بها . لكنها خارجة عن المصحف —
إذا خاطبه خطابا شديدا قويا . ويقال : خطيب مسلاق . إذا كان
بليغا في خطبته . لكن الشدة هنا في الشر لا في الخير . كما قال
« بِالْأَسِنَّةِ حِدَادِ » (أشعة على الخير) وهذا السلق بالأسِنَّة الحادة .
وهذا يكون بوجوه . تارة يقول المنافقون للمؤمنين : هذا الذي جرى
علينا بشؤمكم . فانكم أنتم الذين دعوتهم الناس إلى هذا الدين ،
وقاتلتم عليه ، وخالفتموهم فان هذا مقالة المنافقين للمؤمنين من الصحابة
وتارة يقولون : أنتم الذين أشرتم علينا بالمقام هنا ، والثبات بهذا

النَّعْرَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ ، وَإِلَّا فَلَوْ كُنَّا سَافِرِينَ قَبْلَ هَذَا لَمَّا أَصَابَنَا هَذَا
 وَتَارَةً يَقُولُونَ — أَنْتُمْ مَعَ قِلَّتِكُمْ وَضَعْفِكُمْ — تَرِيدُونَ أَنْ تَبْكَسِرُوا
 الْعَدُوَّ ، وَقَدْ غَرَّكُمْ دِينُكُمْ . كَمَا قَالَ تَعَالَى (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
 فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ . وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ
 اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

وتارة يقولون : أَنْتُمْ مَجَانِينُ ، لَا عَقْلَ لَكُمْ ، تَرِيدُونَ أَنْ تُهْلِكُوا
 أَنْفُسَكُمْ وَالنَّاسَ مَعَكُمْ

وتارة يقولون : أَنْوَاعًا مِنَ الْكَلَامِ الْمُؤْذِي الشَّدِيدِ . وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ
 أَشْحَاءُ عَلَى الْخَيْرِ ، أَيْ حِرَاصُ عَلَى الْغَنِيمَةِ وَالْمَالِ الَّذِي قَدْ حَصَلَ لَكُمْ
 قَالَ قَتَادَةُ : إِنْ كَانَ وَقْتُ قِسْمَةِ الْغَنِيمَةِ ، بَسَطُوا أَلْسِنَتَهُمْ فِيكُمْ .
 يَقُولُونَ : أَعْطُونَا ، فَلَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا . فَأَمَّا عِنْدَ الْبَاسِ فَأُجِبَتْ قَوْمٌ
 وَأَخَذَ لَهُمُ الْحَقُّ . وَأَمَّا عِنْدَ الْغَنِيمَةِ فَأَشْخُ قَوْمٌ

وَقِيلَ : أَشْحَاءُ عَلَى الْخَيْرِ ، أَيْ بُخْلَاءُ بِهِ ، لَا يَنْفَعُونَ ، لَا يَنْفُسُهُمْ
 وَلَا بَأَ مَوَالِهِمْ

وَأَصْلُ الشَّخِّ : شِدَّةُ الْحَرِّ صَ الَّذِي يَتَوَلَّدُ عَنْهُ الْبُخْلُ وَالظُّلْمُ :
 مِنْ مَنَعَ الْحَقَّ ، وَأَخَذَ الْبَاطِلَ . كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِيَّاكُمْ
 وَالشَّخَّ . فَإِنَّ الشَّخَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . أَمَرَهُمُ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا .

وَأَمْرُهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا . وَأَمْرُهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا ^(١) »

فَهُؤُلَاءِ أَشْحَاءٌ عَلَى إِخْوَانِهِمْ ، أَيْ بِخِلَافِهِمْ ، وَأَشْحَاءٌ عَلَى الْخَيْرِ أَيْ حِرَاصٌ عَلَيْهِ . فَلَا يَنْفِقُونَهُ . كَمَا قَالَ (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) ثُمَّ قَالَ تَعَالَى (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوَالُوهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) .

فوصفهم بثلاثة أوصاف :

أحدها : أنهم لَفَرَطٍ خَوْفُهُمْ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَنْصَرَفُوا عَنْ الْبَلَدِ . وَهَذِهِ حَالُ الْجَبَانِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ . فَإِنْ قَلْبُهُ يُبَادِرُ إِلَى تَصْدِيقِ الْخَبَرِ الْخَوْفِ ، وَتَكْذِيبِ خَبَرِ الْأَمْنِ .

الوصف الثاني : أَنَّ الْأَحْزَابَ إِذَا جَاءُوا تَمَنَّوْا أَنْ لَا يَكُونُوا بَيْنَكُمْ ، بَلْ يَكُونُونَ فِي الْبَادِيَةِ بَيْنَ الْأَعْرَابِ ، يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ : إِيَّشْ خَبَرُ الْمَدِينَةِ ؟ وَإِيَّشْ جَرَى لِلنَّاسِ ؟ .

والوصف الثالث : أَنَّ الْأَحْزَابَ إِذَا اتَّوَا ، وَهُمْ فِيكُمْ ، لَمْ يَقَاتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا .

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ ، بِلَفْظِ « اتَّقُوا الظُّلْمَ . فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَاتَّقُوا الشَّحَّ . فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ . وَاسْتَحْلَوْا مُحَارِمَهُمْ » وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ بِالْفَاظِ قَرِيبَةً مِنْ هَذَا .

وهذه الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس في هذه الغزوة ، كما يعرفونه من أنفسهم ، ويعرفه منهم من خبرهم .

ثم قال تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) .

فأخبر سبحانه أن الذين يُبْتَغُونَ بالعدوِّ ، كما ابْتُلِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلهم فيه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، حيث أصابهم مثل ما أصابه .

فليَتَأَسَّوْا به في التَّوَكُّلِ والصَّبرِ ، ولا يظنَّوْنَ أن هذه تَقُمُّ لصاحبها ، وإهانة له . فانه لو كان كذلك ما ابْتُلِيَ بها خَيْرُ الْخَلَائِقِ ، بل بها يُنَالُ

الدَّرَجَاتُ الْعَالِيَةُ ، وبها يُكْفَرُ اللَّهُ الْخَطَايَا لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا . وإلا فقد يُبْتَغَى بذلك من ليس كذلك .

فيكون في حقه عذابًا . كالْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ .

ثم قال تعالى (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) .

قال العلماء : كان الله قد أنزل في سورة البقرة (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ

وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ . مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) فَبَيَّنَّ اللَّهُ سبحانه — مُنْكَرًا عَلَى

مَنْ حَسِبَ خِلَافَ ذَلِكَ — أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُبْتَغَوْا

مثل هذه الأمم قبلهم « بالبأساء » ، وهى الحاجة والفاقة . و « الضراء » . وهى الوجع والمرض . و « الزلزال » وهى زلزلة العدو .

فلما جاء الأحزابُ عامُ الخندقِ فرأوهم . قالوا : (هذا ما وعدنا الله ورسوله . وصدق الله ورسوله) وعلموا أن الله قد ابتلاهم بالزلزال . وأتاهم مثلُ الذين خلوا من قبلهم ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً لحكم الله وأمره .

وهذه حال أقوام فى هذه الغزوة . قالوا ذلك .

وكذلك قوله (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) أى عَهْدَهُ الذى عاهد الله عليه . فقاتل حتى قُتِلَ ، أو عاش .

« والنَّحْبُ » النَّذْرُ والعَهْدُ . وأصله من النَّحِيب . وهو الصوت .

ومنه : الانتخاب فى البكاء ، وهو الصوت الذى تسكَّم به فى العهد .

ثم لما كان عهدهم هو نذرهم الصدق فى اللقاء — ومن صدق فى اللقاء فقد يقتل — صار يُفهم من قوله (قَضَىٰ نَحْبَهُ) أنه استشهد ،

لأسيا إذا كان النَّحْبُ : نذر الصدق فى جميع المواطن . فانه لا يقضيه

إلا بالموت . وقضاء النحب هو الوفاء بالعهد . كما قال (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) أى أكمل

الوفاء . وذلك لمن كان عهده مطلقاً : بالموت ، أو القتل .

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قضاءه، إذا كان قد وفى البعض، فهو ينتظر تمام العهد.

وأصل القضاء: الإتمام والإكمال.

(لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وكان الله غفوراً رحيمًا.

بَيَّنَّ اللهُ سبحانه أنه أتى بالأحزاب لِيَجْزِيَ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ، حيث صدقوا في إيمانهم. كما قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ^(١)).

فخصر الإيمان في المؤمنين المجاهدين، وأخبر أنهم هم الصادقون في قولهم: آمناً. لامن قال، كما قالت الأعراب: «آمنا» والإيمان لم يدخل في قلوبهم، بل انقادوا واستسلموا.

وأما المنافقون فهم بين أمرين: إما أن يعذبهم، وإما أن يتوب عليهم.

فهذا حال الناس في الخندق وفي هذه الغزوة

وأيضاً فإن الله تعالى ابتلى الناس بهذه الفتنة، لِيَجْزِيَ الصَّادِقِينَ

بصِدْقِهِمْ، وهم الثابتون الصابرون، لينصروا الله ورسوله، ويعذب

المنافقين إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

ونحن نرجو من الله أن يتوب على خلق كثير من هؤلاء المذمومين ^(١) فإن منهم من ندم . والله سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . وقد « فتح الله للتوبة بابا من قبل المغرب عرضة أربعون سنة . لا يغلقه حتى تطلع الشمس من قبله » ^(٢)

وقد ذكر أهل المغازي - منهم ابن اسحق - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الخندق « الآن نفزؤهم ، ولا يغزونا » فما غزت قريش ولا غطفان ، ولا اليهود المسلمين بعدها . بل غزاهم المسلمون . ففتحوا خيبر ثم فتحوا مكة

كذلك ، إن شاء الله ، هؤلاء الأحزاب من المغل وأصناف الشرك ومن الفرس ، والمستعربة ، والنصارى ، ونحوهم من أصناف الخارجين عن شريعة الاسلام : الآن نفزؤهم ولا يغزونا . ويتوب الله على من شاء من المسلمين ، الذين خالط قلوبهم مَرَضٌ أو نفاق ، بأن يُنِيبوا إلى ربهم

(١) في نسخة : بهامش الأصل « على خلق كثير من هؤلاء المؤمنين »

(٢) روى الترمذى عن صفوان بن عسال عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاما ، أو سبعون سنة ، فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والأرض . فلا يغلقه حتى تطلع الشمس من مغربها »

وَيَحْسَنَ ظَنَّهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، وَتَقْوَى عَزِيمَتَهُمْ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ .

• فَقَدْ أَرَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَبْصَارِ . كَمَا قَالَ (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)

فَإِنَّ اللَّهَ صَرَفَ الْأَحْزَابَ عَامَ الْخَنْدَقِ بِمَا أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ رِيحِ الصَّبَا : رِيحٌ شَدِيدَةٌ بَارِدَةٌ . وَبِمَا فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، حَتَّى شَتَّتْ سَمَلَهُمْ ، وَلَمْ يَنَالُوا خَيْرًا . إِذْ كَانَ هَمُّهُمْ فَتْحَ الْمَدِينَةِ وَالْاِسْتِيلَاءِ عَلَى الرَّسُولِ وَالصَّحَابِ وَالصَّحَابَةِ ، كَمَا كَانَ هَمُّ هَذَا الْعَدُوِّ فَتْحَ الشَّامِ وَالْاِسْتِيلَاءِ عَلَى مَنْ بَهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَردَّ اللَّهُ بِغَيْظِهِمْ ، حَيْثُ أَصَابَهُمْ مِنَ الثَّلَاجِ الْعَظِيمِ ، وَالْبَرْدِ الشَّدِيدِ ، وَالرَّيْحِ الْعَاصِفِ ، وَالْجُوعِ الْمُرْجِعِ ، مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَكْرَهُ تِلْكَ الثَّلُوجَ وَالْأَمْطَارَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي هَذَا الْعَامِ ، حَتَّى طَلَبُوا الْاِسْتِصْحَاءَ غَيْرَ مَرَّةٍ . وَكُنَّا نَقُولُ لَهُمْ : هَذَا فِيهِ خَيْرٌ عَظِيمٌ . وَفِيهِ لَلَّهِ حِكْمَةٌ وَسِرٌّ فَلَا تَسْكُرْهُوهُ . فَكَانَ مِنْ حِكْمَتِهِ : أَنَّهُ فِيمَا قِيلَ : أَصَابَ قَارَانَ وَجُنُودَهُ ، حَتَّى أَهْلَكَهُمْ ، وَهُوَ كَانَ فِيمَا قِيلَ : سَبَبَ رَحِيلِهِمْ . وَابْتُلِيَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ لِيَتَبَيَّنَ مَنْ يَصْبِرُ عَلَى

أمر الله وحكمته ممن يَفِرُّ عن طاعته وجهاد عدوه .

وكان مبدأ رحيل قازان فيمن معه من أرض الشام وأراضى حلب :
يوم الاثنين ، حادى عشر جمادى الأولى ، يومَ دخلتُ مصر عقيب
العسكر ، واجتمعتُ بالسُلطان وأمراء المسلمين ، وألقى الله في قلوبهم من
الاهتمام بالجهاد ما ألقاه . فلما ثبتَّ الله قلوبَ المسلمين صَرَفَ العدوَّ ، جزاء
منه ، وبيانا أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها ، وإن لم يقع
الفعل ، وإن تباعدت الديار

وذكر أن الله فرَّق بين قلوب هؤلاء المغل والسكرج وألقى بينهم
تباغضا وتعاديا ، كما ألقى سبحانه عام الأحزاب بين قريش وعطفان ،
وبين اليهود . كما ذكر ذلك أهل المغازى . فانه لم يتسع هذا المكان
لأن نصفَ فيه قصة الخندق . بل مَنْ طالعها علم صحَّة ذلك ، كما
ذكره أهل المغازى . مثل عروة بن الزبير ، والزُّهري ، وموسى بن
عُقبة ، وسعيد بن يحيى الأموى ، ومحمد بن عائذ ، ومحمد بن اسحق ،
والواقدي ، وغيرهم

ثم تبقى بالشام منهم بقايا ، سار إليهم من عسكر دمشق أكثرهم ،
مضافا إلى عسكر حماة وحلب ، وما هنالك . وثبت المسلمون بازاءهم .
وكانوا أكثر من المسلمين بكثير ، لكن في ضعف شديد . تقرَّبوا إلى حماة .

وَأَذَلَّهُمَّ اللَّهُ تَعَالَى . فَلَمْ يَقْدَمُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَطْ . وَصَارَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ
يُرِيدُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ . فَلَمْ يُوَافِقْهُ غَيْرُهُ ، فَجَرَّتْ مُنَاوَشَاتُ صَغَارٍ ، كَمَا قَدْ
كَانَ يَجْرَى فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ . حَيْثُ قَتَلَ عَلَىُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِّ الْعَامِرِيِّ لَمَّا اقْتَتَحَمَ الْخَنْدَقَ ، هُوَ وَتَقَرَّ قَلِيلٌ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

كَذَلِكَ صَارَ يَتَقَرَّبُ بَعْضُ الْعَدُوِّ فَيَكْسِرُهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، مَعَ
كَوْنِ الْعَدُوِّ الْمُتَقَرِّبِ أَضْعَافَ مَنْ قَدْ سَرَى إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَمِنْ
مَرَّةٍ إِلَّا وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُسْتَظْهِرِينَ عَلَيْهِمْ . وَسَاقَ الْمُسْلِمُونَ خَلْفَهُمْ
فِي آخِرِ النُّوْبَاتِ ، فَلَمْ يَدْرِكُوهُمْ إِلَّا عِنْدَ عُبُورِ الْفُرَاتِ . وَبَعْضُهُمْ فِي
جَزِيرَةٍ فِيهَا . فَرَأَوْا أَوَائِلَ الْمُسْلِمِينَ فَهَرَبُوا مِنْهُمْ ، وَخَالَطُوهُمْ . وَأَصَابَ
الْمُسْلِمُونَ بَعْضَهُمْ . وَقِيلَ : إِنَّهُ غَرِقَ بَعْضُهُمْ .

وَكَانَ عُبُورُهُمْ وَخُلُؤُ الشَّامِ مِنْهُمْ فِي أَوَائِلِ رَجَبٍ ، بَعْدَ أَنْ جَرَى
مَا بَيْنَ عُبُورِ قَازَانَ أَوَّلًا وَهَذَا الْعُبُورِ : رَجُمَاتُ وَوَقَعَاتُ صَغَارٍ ، وَعَزَمْنَا
عَلَى الذَّهَابِ إِلَى حِمَاةٍ غَيْرِ مَرَّةٍ ، لِأَجْلِ الْغَزَاةِ ، أَمَّا بَلَعْنَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَرِيدُونَ
غَزْوَ الَّذِينَ بَقُوا . وَثَبَّتَ بَازَاهُمُ الْمَقْدَّمُ الَّذِي بِحِمَاةٍ ، وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْعَسْكَرِ .
وَمَنْ أَنَاهُ مِنْ دِمَشْقَ ، وَعَزَمُوا عَلَى لِقَائِهِمْ ، وَنَالُوا أَجْرًا عَظِيمًا . وَقَدْ قِيلَ :
إِنَّهُمْ كَانُوا عِدَّةَ لِحَامَاتٍ ، إِمَّا ثَلَاثَةً ، أَوْ أَرْبَعَةً .

وَكَانَ مِنَ الْمَقْدَرِ : أَنَّهُ إِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ وَصَدَّقَ الْمُؤْمِنُونَ اللَّهُ يَلْقَى فِي

قلوب عدوهم الرُّعب فيهربون ، لكن أصابوا من البليّات بالشَّمال مثل « تيزين » و « الفوعة » و « معرّة مصرين »^(١) وغيرها ما لم يكونوا وَطْئوه في العام الماضي .

وقيل : إن كثيرا من تلك البلاد كان فيهم ميلٌ إليهم ، بسبب الرِّفْض . وأن عند بعضهم فرّامين منهم . لكن هؤلاء ظَلَمَة . ومن أعان ظلما بلّى به . والله تعالى يقول : (وكذلك نُؤَيِّي بعضَ الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) .

وقد ظاهرهم على المسلمين : الذين كفروا من أهل الكتاب ، من أهل « سديس » والافرنج . فنحن نرجو من الله أن ينزلهم من صياصيمهم ، وهى الحصون — ويقال للقرون : الصياصى — ويقذف قلوبهم الرعب وقد فتح الله تلك البلاد ويغزوهم إن شاء الله تعالى ، فيفتح أرض العراق وغيرها ، وتعلو كلمةُ الله ويظهر دينه . فان هذه الحادثة كان فيها

(١) « تيزين » بكسر التاء ثم ياء ثم زاي مكسورة وبعدها ياء ساكنة : قرية كبيرة من نواحي حلب . و « الفوعة » بضم الفاء وبعدها واو ثم عين مفتوحة : من قرى حلب . و « معرّة مصرين » بفتح الميم ثم العين . وفتح الميم من « مصرين » جمع « مصر » والمصر بالفتح : حلب الناقّة بأطراف الأصابع . وهى بليدة وكورة بنواحي حلب من أعمالها

أمور عظيمة جازت حدَّ القياس . وخرجت عن سنن العادة . وظهر لكل ذى عقل من تأييد الله لهذا الدين ، وعنايته بهذه الأمة ، وحفظه للأرض التي بارك فيها للعالمين بعد أن كاد الإسلام أن (١) وكرَّ العدو كرة فلم يلو عن ، وخذل الناصرون فلم يلووا على . وتخيَّر السائرون فلم يدروا من ، ولا إلى ، وانقطعت الأسباب الظاهرة . وأهبطت الأحزاب القاهرة ، وانصرفت الفئة الناصرة ، وتخاذلت القلوب المتناصرة ، وثبتت الفئة الناصرة ، وأيقنت بالنصر القلوب الطاهرة واستنجزت من الله وعده العصاة المنصورة الظاهرة ، ففتح الله أبواب سمواته لجنوده القاهرة ، وأظهر على الحق آياته الباهرة ، وأقام عمود الكتاب بعد ميله . وثبت لواء الدين بقوته وحوله ، وأرغم معارِط أهل الكفر والنفاق . وجعل ذلك آية للمؤمنين إلى يوم التلاق .

فإنَّ هذه النعمة بجمع قلوب أهل الإيمان على جهاد أهل الطغيان ، ويجعل هذه المنَّة الجسيمة مبدأ لكل منحة كريمة ، وأساساً لإقامة الدعوة النبوية القويمة ، ويشقى صدور المؤمنين من أعاديهم ، ويمكنهم من

(١) في الأصل بياض بين حرف « أن » ولفظة « وكر » ولعل ما بينهما لفظة « يضعف » ، أو ما في معناها ، قدسها عنها الناسخ والله أعلم . كتبه أبو اسماعيل يوسف حسين عفا الله عنه اه من هامش الأصل

دانيهم وقاصيهم ، والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما

• • •

قال المؤلف رحمه الله :

كتبت أول هذا الكتاب بعد رحيل قازان وجنوده ، لما رجعت
من مصر في جمادى الآخرة ، وأشاعوا أنه لم يبق منهم أحد ، ثم لما
بقيت تلك الطائفة اشتغلنا بالاهتمام بجهادهم ، وقصد الذهاب إلى
إخواننا بحجة ، وتحريض الأمراء على ذلك ، حتى جاءنا الخبر بانصراف
المتبقيين منهم ، فسكرته في رجب . والله أعلم
والحمد لله وحده . وصلى الله على أشرف الخلق محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

• • •

قلت : وفي أول شهر رمضان من سنة اثنتين وسبعائة كانت وقعة
« شقّحب » المشهورة . وحصل للناس شدة عظيمة . وظهر فيها من
كرامات الشيخ وإجابة دعائه ، وعظيم جهاده ، وقوة إيمانه ، وشدة
نصحه للإسلام ، وفرط شجاعته ، ونهاية كرمه ، وغير ذلك من
صفاته : ما يفوق النعت ، ويتجاوز الوصف .
ولقد قرأت بخط بعض أصحابه — وقد ذكر هذه الواقعة ، وكثرة
من حضرها من جيوش المسلمين — قال :

واتفقت كلمة إجماعهم على تعظيم الشيخ تقي الدين ومحبته ، وسماع كلامه ونصيحته ، واتعظوا بمواعظه ، وسأله بعضهم مسائل في أمر الدين . ولم يبق من ملوك الشام تركي ولا عربي إلا واجتمع بالشيخ في تلك المدة ، واعتقد خيره وصلاحه ، ونصحه الله ولرسوله والمؤمنين .

قال : ثم ساق الله سبحانه جيش الاسلام العرمرم المصري ، صحبة أمير المؤمنين والسلطان الملك الناصر ، ووُلاة الأمر ، وزعماء الجيش ، وعظماء المملكة ، والأمراء المصريين عن آخرهم ، بجيوش الاسلام : سوقا حثيثا للقاء التتار الخذولين . فاجتمع الشيخ المذكور بالخليفة والسلطان ، وأر باب الحل والعقد ، وأعيان الأمراء عن آخرهم . وكلهم بمرج الصُفر ^(١) قبلي دمشق الحروسة . وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات مسافة . ودار بين الشيخ المذكور وبينهم مدار بين الشاميين . وبينه . وكان بينهم ومعهم كأحد أعيانهم . واتفق له من اجتماعهم ما لم يتفق لأحد قبله من أبناء جنسه ، حيث اجتمعوا بجملتهم في مكان واحد ، في يوم واحد ، على أمر جامع لهم وله ، مُهمهم عظيم يحتاجون فيه إلى سماع كلامه . هذا توفيق عظيم كان من الله

(١) المرج — بفتح الميم وسكون الراء ثم جيم : الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب . والصفر بضم الصاد ثم تشديد الفاء . وله ذكر في فتوح خالد بن الوليد لدمشق . كان فيه موقعة عظيمة مع الروم

تعالى له ، لم يتفق لمثله .

وبقى الشيخ المذكور — رضى الله عنه — هو وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائما بظهوره وجهاده ولأمة حربه ، يوصى الناس بالثبات وَيَعِدُّهُمْ بالنصر ، وَيُبَشِّرُهُم بالغنيمة ، والفوز بأحدى الحسنيين ، إلى أن صدق الله وعده ، وأعزَّ جنده ، وهزم التتار وحده ، ونصر المؤمنين . وهزَمَ الجمعُ وولوا الدُّبُرَ ، وكانت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الكفار هي السفلى . وقُطِعَ دابرُ القوم الكفار . والحمد لله رب العالمين . ودخل جيش الاسلام المنصور إلى دمشق المحروسة . والشيخ في أصحابه شاكيا في سلاحه ، داخلا معهم ، عالية كلمته ، قائمة حُجَّتِهِ ، ظاهرة ولايته ، مقبولة شفاعته ، بحجابه دعوته ، ملتزمة بركته ، مكرما معظما ، ذا سلطان وكلمة نافذة . وهو مع ذلك يقول للمداحين له : أنا رجل مِلَّةٌ ، لا رجل دَوْلَةٍ .

[شجاعة الشيخ وبأسه عند قتال الكفار]

ولقد أخبرني حاجب من الحجاب الشاميين ، أمير من أمراءهم ، ذو دين متين ، وصدق لهجة معروف في الدولة . قال : قال لى الشيخ — يوم اللقاء ، ونحن بمرج الصُّفَرِّ ، وقد تراءى الجمعان — : يا فلان ، أوقفنى ^(١) موقف الموت

(١) بالأصل «يا فلان ، الدين أوقفنى» والظاهر أن كلمة «الدين» زائدة

قال : فسقته إلى مقابلة العدو ، وهم منحدرون كالسيل ، تلوح أسلحتهم
من تحت الغبار المنعقد عليهم .

ثم قلت له : ياسيدى ، هذا موقف الموت ، وهذا العدو ، قد أقبل
تحت هذه الغبرة المنعقدة . فدونك وما تريد .

قال : فرفع طرفه إلى السماء ، وأشخص بصره ، وحرّك شفّتيه
طويلا . ثم انبعث وأقدم على القتال . وأما أنا فخيل إلى أنه دعا عليهم
وأن دعاءه استجيب منه فى تلك الساعة .

قال : ثم حال القتال بيننا والاتحام ، وما عدت رأيته ، حتى فتح
الله ونصر ، وانحاز التتار إلى جبل صغير ، عصموا نفوسهم به من سيفوف
المسلمين تلك الساعة . وكان آخر النهار .

قال : وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما ، تحرّضا على
القتال ، وتخويفا للناس من الفرار .

فقلت : ياسيدى ، لك البشارة بالنصر . فانه قد فتح الله
ونصر ، وهامم التتار محصورون بهذا السفح . وفى غد ، إن شاء الله تعالى ،
يؤخذون عن آخرهم .

قال : فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ودعا فى ذلك الموطن
دعاء وجدت بركته فى ذلك الوقت وبعده .

هذا كلام الأمير الحاجب

قال : ثم لم يزل الشيخ بعد ذلك على زيادة في الحال والقال والجاء ،
والتحقيق في العلم . والعرفان ، حتى حرك الله سبحانه عزّ مات نفوس
ولاة الأمر لقتال أهل جبل كسروان . وهم الذين بغوا وخرجوا على
الامام ، وأخافوا السُّبُل ، وعارضوا المارّين بهم من الجيش بكل سوء
فقام الشيخ في ذلك أنم قيام . وكتب إلى أطراف الشام في الحثّ
على قتال المذكورين . وأنها غزاة في سبيل الله .

ثم تجهّز هو بمن معه لغزوهم بالجبل ، صحبته وليّ الأمر نائب
المملكة المعظمة ، أعزّ الله نصره . والجيش الشامية المنصورة . وما زال مع
ولي الأمر في حصارهم وقتالهم ، حتى فتح الله الجبل ، وأجلى أهله . وكان
من أصعب الجبال ، وأشقها ساحة . وكانت الملوك المتقدمة لا تُقدّم على
حصاره ، مع علمها بما عليه أهله من البغى والخروج على الامام والعصيان ،
وايس إلا لصعوبة المسلك ، ومَشَقَّة النزول عليهم .

وكذلك لما حاصرهم بيّدرا بالجيش ، رحل عنهم ، ولم ينل منهم
مئالا ، لذلك السبب ، وأغيره . وذلك عقيب فتح قلعة الروم ، ففتح الله
على يديّ وليّ الأمر ، نائب الشام المحروس . أعزّ الله نصره

وكان فتحه أحد المكرمات والكرامات المعدودة للشيخ . لسببين
على ما يقوله الناس :

أحدهما : لكون أهل هذا الجبل بُغاةً رافضة سبَّابةً
تعيَّن قتالهم .

والثاني : لأنَّ جبل الصالحية لما استولت الرافضة عليه - في حال
استيلاء الطاغية قازان - أشار بعض كبرائهم بنهب الجبل ، وسبَّي أهله
وقتلهم ، وتحريق مساكنهم ، انتقاماً منهم لكونهم سنيَّة . وسماهم ذلك
المُشير : نواصب . فكان ما كان من أمر جبل الصالحية بذلك القول ،
وتلك الإشارة .

قالوا : فكوفي الرافضة بمثل ذلك ، بإشارة كبير من كبراء أهل السنة
وزناً يوزن ، جزاءً على يدِ وَلِيٍّ الأمر ، وجيوش الاسلام
والمشير المذكور : هو الشيخ المشار إليه

ولما فتح الجبل ، وصار الجيش بعد الفتح إلى دمشق المحروسة
عكفَ خاصُّ الناس وعامُّهم على الشيخ بالزيارة والتسليم عليه ، والتهنئة
بسلامته ، والمسألة له منهم عن كيفية الحصار للجبل ، وصورة قتال
أهله ، وعمماً وقع بينهم وبين الجيوش من المراسلات وغيرها . فحكي
الشيخ ذلك .

[بحث للشيخ مع أحد الرافضة في عصمة غير الانبياء]

وحكى أيضا أنه تجادل مع كبير من كبراء أهل جبل كسروان ، له اطلاع على مذهب الرافضة .

قال : وكان الجدل والبحث في عصمة الامام وعدم عصمته ، وفي أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه معصوم من الصغائر والكبائر ، في كل قول وفعل . وهذه دعوى الجبلى وأن الشيخ حاجه في أن العصمة لم تثبت إلا للأنبياء عليهم السلام .

قال : وإننى قلت له : إن عليا وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما اختلفا في مسائل وقعت ، وفتاوى أفتى بها كل منهما ، وأن تلك الفتاوى والمسائل عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فصوّب فيها قول ابن مسعود رضى الله عنه .

هذا معنى كلام الشيخ في حديثه عن المجادلة مع الرافضى الجبلى ، وإن اختلفت العبارة . انتهى ما ذكره .

وكان توجه الشيخ تقى الدين رضى الله عنه إلى الكروانيين في مستهل ذى الحجة من سنة أربع وسبعائة . وصحبته الأمير قراقوش . وتوجه نائب السلطنة ، الأمير جمال الدين الأفرم ، بمن تأخر من

عسكر دمشق إليهم ، لغزوهم واستئصالهم في ثلثي شهر المحرم من سنة خمس وسبعمائة . وكان قد توجه قبله العسكر ، طائفة بعد طائفة في ذى الحجة وفي يوم الخميس سابع عشر وصل النائب والعسكر معه إلى دمشق ، بعد أن نصرهم الله تعالى على حزب الضلال من الروافض والنصيرية وأصحاب العقائد الفاسدة ، وأبادهم الله من تلك الأرض . والحمد لله رب العالمين .

[رسالة الشيخ إلى السلطان الملك الناصر]

ثم إن الشيخ رحمه الله - بعد وقعة جبل كسروان - أرسل رسالة إلى السلطان الملك الناصر ، يذكر فيها ما أنعم الله على السلطان وعلى أهل الاسلام ، بسبب فتوح الجبل المذكور . وهى هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الداعى أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين ، ومن أيد الله فى دولته الدين ، أو عز بها عباده المؤمنين ، وقع فيها الكفار والمنافقين والخوراج المارقين ، نصره الله ونصر به الاسلام ، وأصلح له وبه أمور الخاص والعام ، وأحيى به معالم الايمان ، وأقام به شرائع القرآن ، وأذلّ به أهل الكفر والفسوق والعصيان .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فانّا نحمدك إليك الله الذى

لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير . ونسأله أن
يصلى على خاتم النبیین ، وإمام المتقين محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه
وعلى آله وسلم تسليما .

أما بعد . فقد صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعزَّ جنده ، وهزم
الأحزاب وحده . وأنعم الله على السلطان ، وعلى المؤمنين في دولته نعمًا
لم تُعهد في القرون الخالية . وجدَّد الاسلام في أيامه تجديدًا بانت فضيلته
على الدول الماضية . وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدق ، أفضل
الأولين والآخرين ، الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في رءوس المئين
والله تعالى يُوزِعهُ والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين ،
ويُثَمِّها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين .

وذلك : أن السلطان — أثنى الله نعمته — حصل للأمة يُمْنٌ
ولايته وحسن نيَّته ، وصحة إسلامه وعقيدته ، وبركة إيمانه ومعرفته ،
وفضل همته ، وشجاعته ، ومرة تعظيمه للدين وشرعته ، ونتيجة اتباعه
لكتاب الله وحكمته ، ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين
وما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين : من جهاد أعداء الله المارقين
من الدين ، وهم صنفان :

أهل الفجور والطغيان ، وذوو الغيِّ والعدوان ، الخارجون عن

شرائع الايمان ، طلبا للعلو في الأرض والفساد ، وتركوا لسبيل الهدى والرشاد . وهؤلاء هم التتار ، ونحوهم من كل خارج عن شرائع الاسلام وإن تمسك بالشهادتين ، أو ببعض سياسة الاسلام

والصنف الثاني : أهل البدع المارقون ، وذوو الضلال المنافقون ، الخارجون عن السنة والجماعة ، المارقون للشرعة والطاعة . مثل هؤلاء الذين غزوا بأمر السلطان من أهل الجبل ، والجرد ، والكسروان . فإن ما من الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام ، هو من عزائم الأمور التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الاسلام .

وذلك : أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين فإن اعتقادهم : أن أبا بكر وعمر وعثمان ، وأهل بدْر ، وبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ وجمهور المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان ، وأئمة الاسلام وعلماءهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم ، ومشايخ الاسلام وعُبَادَهم ، وملوك المسلمين وأجنادهم ، وعوام المسلمين وأفرادهم . كل هؤلاء عندهم كفَّار مُرتدُّون ، أكفر من اليهود والنصارى . لأنهم مرتدون عندهم والمرتد شرٌّ من الكافر الأصلي . ولهذا السبب يُقَدِّمُون الفَرَنْجِ والتتار على أهل القرآن والايمان .

ولهذا لما قدم التتار إلى البلاد ، وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى

من الفساد ، وأرسلوا إلى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل ، وحملوا راية الصليب ، وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يحصى عدده إلا الله ، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوما يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص ، وفرحوا بمجيء التتار ، هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون ، مثل أهل جزين . وما حوالها . وجبل عامل ونواحيه .

ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية ، ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم . ولما نصر الله الإسلام النشصرة العظمى عند قدوم السلطان ، كان بينهم شبيهه بالعزاء .

كل هذا ، وأعظم منه ، عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج جنكس خان إلى بلاد الإسلام ، وفي استيلاء هؤلاء على بغداد ، وفي قدومه إلى حلب ، وفي نهب الصالحية ، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله .

لان عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مرتد . ومن استحل الفجاء^(١) فهو كافر . ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر . ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر . ومن أحب أبا بكر أو عمر ، أو عثمان ،

(١) في القاموس : « الفجاء » كرمان . هذا الذي يشرب . سمي به لما يرتفع على رأسه من الزبد

أو ترضي عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر . ومن لم يؤمن
بمنتظرهم فهو عندهم كافر .

وهذا المنتظر صبي عمره سنتان أو ثلاث ، أو خمس . يزعمون أنه
دخل السرداب بسامراً من أكثر من أربعائة سنة . وهو يعلم كل
شيء . وهو حجة الله على أهل الأرض . فمن لم يؤمن به فهو عندهم
كافر . وهو شيء لا حقيقة له . ولم يكن هذا في الوجود قط .

وعندهم من قال : إن الله يُرى في الآخرة فهو كافر . ومن قال : إن الله
تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر . ومن قال : إن الله فوق السموات فهو كافر
ومن آمن بالقضاء والقدر وقال : إن الله يهدي من يشاء ويُضِلُّ من
من يشاء ، وأن الله يُقلب قلوب عباده ، وأن الله خالق كل شيء ، فهو
عندهم كافر . وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر
بها في كتابه وعلى لسان رسوله ، فهو عندهم كافر .

هذا هو المذهب الذي تُلَقِّنُهُ لهم أئمتهم . مثل بنى العود . فانهم
شيوخ أهل هذا الجبل . وهم الذين كانوا يأمرؤنهم بقتال المسلمين .
ويفتؤنهم بهذه الأمور .

وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود
وغیره . وفيها هذا وأعظم منه . وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمرؤهم
لكنهم مع هذا يُظهرون التَّقِيَّةَ والنِّفَاقَ . ويتقربون ببذل الأموال إلى

من يقبلها منهم . وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية . فانما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق ، ويبذلونه من البر طيل لمن يقصدهم
والمكان الذى لهم فى غاية الصعوبة . ذكر أهل الخبرة أنهم لم يروا
مثله . ولهذا كثر فسادهم . فقتلوا من النفوس ، وأخذوا من الأموال ،
مالا يعلمه إلا الله .

ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها معهم فى أمر لا يضبط
شره ، كل ليلة تنزل عليهم منهم طائفة ، ويفعلون من الفساد ما لا يحصى
إلا رب العباد . كانوا فى قطع الطرقات وإخافة سكان البيوتات على أقبح
سيرة عرفت من أهل الجنايات ، يرد إليهم النصارى من أهل قبرص
فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين ، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين .
فأما أن يقتلوه أو يسلبوه . وقليل منهم من يقاتل منهم بالحيلة .

فأعان الله ويسر ، بحسن نية السلطان ومهتته ، فى إقامة شرائع الاسلام ،
وعنايته بجهاد المارقين أن غزوا غزوة شرعية ، كما أمر الله ورسوله ، بعد أن
كشفت أحوالهم ، وأزيمت عليهم ، وأزيلت شبهتهم ، وبذل لهم من العدل
والانصاف ما لم يكونوا يطمعون به ، وُيُنَّ لهم أن غزوهم اقتداء بسيرة
أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قتال الحرورية ^(١)

(١) الحرورية : هم الخوارج الذى خرجوا على بن أبى طالب

المارقين ، الذين تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بقتالهم ونعت
 حالهم ، من وجوه متعددة . أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه :
 من حديث علي بن أبي طالب ، وأبي سعيد الخدري . وسهل بن
 حنيف ، وأبي ذر الغفاري . ورافع بن عمرو ، وغيرهم من أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم .

قال فيهم . « يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وصيامه
 مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرأون القرآن لا يُجاوِزُ
 حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ . لئن
 أدركتهم لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ . لو يعلم الذين يُقاتلونهم ماذا لهم على لسان
 محمد صلى الله عليه وسلم لَأَتَّكَبُوا عَنِ الْعَمَلِ . يقتلون أهل الإسلام . ويدعون
 أهل الأوثان . يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، شَرُّ قَتْلَى
 تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ . خَيْرُ قَتْلَى مِنْ قَتْلَوْهُ »

وأول ما خرج هؤلاء ، زمن أمير المؤمنين على رضي الله عنه . وكان
 لهم من الصلاة ، والصيام ، والقراءة ، والعبادة ، والزَّهَادَةِ ما لم يكن
 لعموم الصحابة . لكن كانوا خارجين عن سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه

منسوبون إلى قرية « حروراء » بفتح الحاء وسكون الواو وراء أخرى
 وألف مدودة - قرية بظاهر الكوفة - كان بها أول تحكيمهم واجتماعهم
 حين خالفوا على رضي الله عنه

وسلم ، وعن جماعة المسلمين . وقتلوا من المسلمين رجلا اسمه عبد الله بن خَبَّاب ^(١) وأغاروا على دواب المسلمين .

وهؤلاء القوم كانوا أقلَّ صلاة وصياما . ولم نجد في جبلهم مصحفا ولا فيهم قارئاً للقرآن . وإنما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة . وأباحوا بها دماء المسلمين . وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء وأخذوا من الأموال ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى .

فاذا كان على بن أبي طالب قد أباح عسكره أن يذهبوا ما في عسكر الخوارج ، مع أنه قتلهم جميعهم ، لان هؤلاء أحق بأخذ أموالهم . وليس هؤلاء بمنزلة المتأولين الذين نادى فيهم على بن أبي طالب يوم الجمل « أنه لا يقتل مُدبرهم ولا يُجْزى على جريحهم ، ولا يُغَنَّم لهم مالا ولا يسبى لهم ذرية » لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ . وهؤلاء ليس

(١) هو عبد الله بن خباب بن الارت - بفتح الحاء وتشديد الباء وفتح الهمز والراء المهملة وتشديد التاء . له رؤية ولأبيه صحبة

قال في أسد الغابة : كان طائفة من الخوارج أقبلوا من البصرة إلى إخوانهم من أهل الكوفة ، فلقوا عبد الله بن خباب ومعه امرأته . فقالوا له : أنت ؟ قال أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فأثنى خيرا عليهم ، فذبحوه ، فسال دمه في الماء ، وقتلوا المرأة وهي حامل ممتن منه ، فقالت : أنا امرأة ، ألا تتقون الله ؟ فبقروا بطنها ، وذلك سنة سبع وثلاثين ، وكان من سادات المسلمين

لهم تأويل سائغ . ومثل أولئك إنما يكونون خارجين عن طاعة الامام . وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته . وهم شرُّ من التتار من وجوه متعددة . لكن التتر أكثر وأقوى . فلذلك يظهر كثرة شرهم .

وكثير من فساد التتر هو الخالطة هؤلاء لهم ، كما كان في زمن قازان وهو لاكو ، وغيرها . فانهم أخذوا من أموال المسلمين أضعاف ما أخذوا من أموالهم . وأرضهم في البيت المال

وقد قال كثير من السلف : إن الرافضة لاحق لهم من الفى . لأن الله إنما جعل الفى المهاجرين والأنصار ، (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) فمن لم يكن قلبه سليما لهم ، ولسانه مستغفرا لهم ، لم يكن من هؤلاء

وقطعت أشجارهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما حاصر بنى النضير قطع أصحابه نخيلهم وحرّقه . فقال اليهود : هذا فساد . وأنت يا محمد تنهى عن الفساد . فأنزل الله (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين)

وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر ، وتخريب العمر ، عند الحاجة إليه . فليس ذلك بأولى من قتل النفوس وما أمكن غير ذلك .

فان القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التي اختفوا فيها ، وأيسوا من المقام في الجبل إلا حين قطعت الأشجار . وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم . وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم . لأن التريكان إنما قصدُهم الرَّعى ، وقد صار لهم مرعى ، وسائر الفلاحين لا يتركوا عمارة أرضهم ويجيئون إليه .

فالحمد لله الذي يسّر هذا الفتح في دولة السلطان بهيمته وعزمه وأمره ، وإخلاء الجبل منهم ، وإخراجهم من ديارهم .

وهم يشبهون ما ذكره الله في قوله (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر . ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله . فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب . يُخْرِبُونَ بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يُشاق الله فإن الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ^(١))

وأيضاً فإنه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشأم ومصر والحجاز واليمن والعراق ما يرفع الله به درجات السلطان ، ويعزُّ به أهل الإيمان .

فصل

تمام هذا الفتح وبركته تَقْدُمُ مراسم السلطان بحسب مادة أهل الفساد ، وإقامة الشريعة في البلاد . فإن هؤلاء القوم لهم من المشايخ والإخوان في قرى كثيرة مَنْ يَقْتَدُونَ ، بهم وينتصرون لهم . وفي قلوبهم غِلٌّ عظيم . وإبطان معاداة شديدة ، لا يُؤْمِنُونَ معها على ما يُمكنهم . ولو أنه مباطنة العدو . فإذا أمسك رؤوسهم الذين يُضِلُّونهم — مثل بني العَوْد — زال بذلك من الشر ما لا يعلمه إلا الله .

ويتقدم إلى قرَاهم . وهى قرى متعددة بأعمال دمشق ، وصَفَدَ ، وطرابلس ، وسحمة ، وحمص ، وحلب بأن يُقام فيهم شرائع الاسلام ، والجمعة ، والجماعة ، وقراءة القرآن ، ويكون لهم خطباء ومؤذنون ، كسائر قرى المسلمين ، وتقرأ فيهم الأحاديث النبوية . وتنشر فيهم المعالم الاسلامية ، ويعاقب من عُرف منهم بالبدعة والنفاق بما توجبه شريعة الاسلام .

فإن هؤلاء المحاربين وأمثالهم قالوا : نحن قوم جبال . وهؤلاء كانوا يعلموننا ويقولون لنا : أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين . ومن قُتِلَ منكم فهو شهيد .

وفي هؤلاء خلق كثير لا يَقْرَؤون بصلاة ، ولا صيام ، ولا حج

ولا عمرة ، ولا يُحَرِّمُونَ المِيتَةَ ، والدم ، ولحم الخنزير ، ولا يؤمنون بالجنة والنار . من جنس الاسماعيلية ، والنصيرية والحاكمية ، والباطنية ، وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى باجماع المسلمين .

فتقدم المراسيم السلطانية بإقامة شعائر الاسلام : من الجمعة ، والجماعة ، وقراءة القرآن ، وتبليغ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في قرى هؤلاء من أعظم المصالح الاسلامية . وأبلغ الجهاد في سبيل الله .

وذلك سبب لاتقاع من يُباطن العدو من هؤلاء ، ودخولهم في طاعة الله ورسوله ، وطاعة أولى الأمر من المسلمين

وهو من الأسباب التي يعين الله بها على قمع الأعداء .

فان ما فعلوه بالمسلمين في أرض « سِيس » نوع من غدرهم الذي به ينصر الله المسلمين عليهم . وفي ذلك لله حكمة عظيمة . ونصرة للاسلام جسيمة .

قال ابن عباس « ما تقض قوم العهد إلا أدبل عليهم العدو » . ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوة الايمان ، وللعُدو من الخذلان ، ما ينصر الله به المؤمنين ، ويُذِلُّ به الكفار والمنافقين ، والله هو المسئول أن يُتِمَّ نعمته على سلطان الإسلام خاصة ، وعلى عباده المؤمنين عامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً كثيراً .

عنوان الكتاب ظاهره

سلطان المسلمين . ومن أيد الله في دوائه الدين . وقع الكفار
والمناققين أيد الله به الاسلام . ونشر عدله في الأنام .

[موقف من مواقف الشيخ]

في

[إبطال حيل أهل الطرد الدجالين]

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى من هذه السنة — سنة خمس
وسبعمائة — اجتمع جماعة من الأحمديّة الرفاعيّة عند نائب السلطنة بالقصر .
وحضر الشيخ تقي الدين . وطلبوا أن يسلم إليهم حالهم . وأن الشيخ تقي
الدين لا يعارضهم ولا ينكر عليهم . وأرادوا أن يظهروا شيئاً مما يفعلونه .
فانتدب لهم الشيخ . وتكلم باتباع الشريعة . وأنه لا يسع أحداً الخروج
عنها بقول ولا فعل . وذكر أن لهم حيلة يتحكيون بها في دخول النار ،
وإخراج الزبد من الخلق

وقال لهم : من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام ، ثم

يَدْلِكُهُ بِالْخَلِّ . ثُمَّ يَدْخُلُ . وَلَوْ دَخَلَ لَا يُلْتَفَتُ إِلَى ذَلِكَ . بَلْ هُوَ
نَوْعٌ مِّنْ فَعْلِ الدَّجَالِ عِنْدَنَا
وَكَانُوا جَمْعًا كَثِيرًا

وَقَالَ الشَّيْخُ صَالِحُ الشَّيْخِ الْمُنِيبِيِّع : نَحْنُ أَحْوَالُنَا تَنْفَقُ عِنْدَ التَّتَارِ .
مَا تَنْفَقُ قُدَّامَ الشَّرْعِ .

وَانْفَصَلَ الْمَجْلِسُ عَلَى أَنَّهُمْ يَخْلَعُونَ أَطْوَاقَ الْحَدِيدِ ، وَعَلَى أَنَّ مِنْ
خَرَجَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ ضُرِبَتْ رَقَبَتُهُ

وَحَفِظَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْحَاضِرُونَ مِنَ الْأَمْراءِ ، وَالْأَكْبَرِ ، وَأَعْيَانِ الدَّوْلَةِ
وَكُتِبَ الشَّيْخُ عَقِيبَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ جُزْءًا فِي حَالِ الْأَحْمَدِيَّةِ ،
وَمُبْدِئِهِمْ ، وَأَصْلَ طَرِيقَتِهِمْ . وَذَكَرَ شَيْخُهُمْ . وَمَا فِي طَرِيقَتِهِمْ مِنْ الْخَيْرِ
وَالشَّرِّ ، وَأَوْضَحَ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ

[مَحْنَةُ الشَّيْخِ وَقِيَامُ الْمُبْتَدِعِينَ عَلَيْهِ لِتَأْلِيفِهِ الْحَمَوِيَّةِ]

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ :
وَمَا صَنَفَ الْمَسْأَلَةَ الْحَمَوِيَّةَ فِي الصِّفَاتِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةً
تَحَزَّبُوا لَهُ . وَآلَ بِهِمُ الْأَمْرَ إِلَى أَنَّ طَافُوا بِهِ عَلَى قَصْبَةِ مِنْ جِهَةِ الْقَاضِي
الْحَنْفِيِّ . وَنَوَدَى عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يُسْتَفْتَى
ثُمَّ قَامَ بِنَصْرِهِ طَائِفَةٌ آخَرُونَ . وَسَلَّمُ اللَّهِ

فلما كان سنة خمس وسبعمئة جاء الأمر من مصر بأن يسئل عن معتقده
فجمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم

فقال : أنا كنت سُئِلْتُ عن معتقداهل السنة ، فأجبتُ عنه في جزء
من سنين ، وطلبه من داره ، فأحضر ، وقرأه

فنازعوه في موضعين ، أو ثلاثة منه . وطال المجلس . فقاموا واجتمعوا
مرتين أيضا لتتمة الجزء . وحاققوه

ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفيٌ جيد . وبعضهم قال
ذلك كرها

وكان المصريون قد سعوا في أمر الشيخ وملاؤا الامير ركن
الدين الجاشنكير الذي تسلطن عليه
فطأب إلى مصر على البريد .

فثاني يوم دخوله اجتمع القضاة والفقهاء بقلعة مصر وانتصب ابن
عدَّ لان له خصما . وادَّعى عليه عند ابن مخلوف القاضي المالكي . أن هذا
يقول : إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت ، وأنه تعالى على العرش بذاته ،
وأن الله يشار إليه الاشارة الحسية

وقال : أطلب عقوبته على ذلك

فقال القاضي : ماتقول يا فقيه ؟

فحمد الله وأثنى عليه

فقل له : أسرع ، ما أحضرناك لتخطب

فقال : أوْمنعُ الثناء على الله ؟

فقال القاضى : أجب . فقد حمدت الله

فسكت . فألح عليه

فقال : من الحكم في ؟

فأشار له إلى القاضى ابن مخلوف

فقال : أنت خصمى . كيف تحكم في ؟ وغضب وانزعج ، وأسكت

القاضى

فأقيم الشيخ وأخواه ، وسجنوا بالجب بقاعة الجبل

وجرت أمور طويلة .

وكتب إلى الشام كتاب سلطاني بالخط عليه . فقرأ بالجامع .

وتألم الناس له . ثم بقى سنة ونصفا ، وأخرج ، وكتب لهم ألفاظا اقترحوها

عليه . وهُدِّدَ وتُوعدُّ بالقتل إن لم يكتبها

وأقام بمصر يقرى العلم ويجتمع عنده خاق ، إلى أن تكلم في الاتحادية

القائلين بوحدة الوجود . وهم ابن سبعين وابن عربى والقونوى ، وأشباههم

فتحزَّب عليه صوفية وفقراء . وسعوا فيه . وأنه تكلم في صفوة الأولياء .

فعمل له محفل . ثم أخرجه على البريد

ثم رده على مرحلة من مصر ، ورأوا مصلحتهم في اعتقاله . فسجنوه

في حبس القضاة سنة ونصفا

فجعل أصحابه يدخلون إليه في السر ، ثم تظاهروا . فأخرجته الدولة
على البريد إلى الاسكندرية . وحبس ببرج منها ، وشُنّع بانه قتل . وأنه
غرق ، غير مرة

فلما عاد السلطان — أيده الله تعالى — من الكرك ، وأباد أضداده ،
بادر باستحضار الشيخ إلى القاهرة ، مكرّماً . واجتمع به وحادثه ، وسارّه
بحضرة القضاة والكبار ، وزاد في إكرامه

ثم نزل وسكن في دار . واجتمع بعد ذلك بالسلطان . ولم يكن بعد
السلطان يجتمع به ، فلما قدم السلطان لكشف العدو عن الرّحبة جاء الشيخ
إلى دمشق سنة اثنتي عشرة وسبعمائة . ثم جرت أمور ومحن . انتهى كلامه .

[محنة الشيخ بدمشق]

وقال الشيخ علم الدين : وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان
وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الإمام تقى الدين بن تيمية
وكان الشروع فيها من أول الشهر . وظهرت يوم الخامس منه
واستمرت إلى آخر الشهر

وملخصها : أنه كان كتب جواباً سُئل عنه من حماة في الصفات .
فذكر فيه مذهب السلف ، ورجحه على مذهب المتكلمين ، وكان قبل

ذلك بقليل أنسكر أمر المنجمين . واجتمع بسيف الدين جاجان في ذلك في حال نيابته بدمشق وقيامه ، فقام نائب السلطنة . وامثل أمره . وقبل قوله ، والتمس منه كثرة الاجتماع به

فحصل بسبب ذلك ضيق للجماعة ، مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية الشيخ وتألمهم لظهوره . وذكره الحسن فانضاف شيء إلى أشياء . ولم يجدوا مساعداً إلى الكلام فيه لزهده ، وعدم إقباله على الدنيا ، وترك المزاخرة على المناصب ، وكثرة علمه ، وجوده أجوبة وفتاويه ، وما يظهر فيها من غزارة العلم ، وجوده الفهم فعمدوا إلى الكلام في العقيدة ^(١) لكونهم يرجحون مذهب

(١) سبحانه الله . ما أشبه الليلة بالبارحة : كنا يوماً في دمشق ، في مجلس الباشا . فطلب الذين خرجت عليهم القرعة في النظام . وكان أمر السلطان : أن من كان منهم طالب علم ، يجاب عما يسئل عنه ، يسمح له . فانتبهت النوبة إلى طالب نجيب من الحنابلة ، فسألوه ، فأجاب حالاً فقال متعنت منهم - يقال له محمد المنير - : لانشك في معرفته ، ولكن سلوه عن عقيدته .

فقال له الطالب : سل عما تريد فقال : ما تقول في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقال : أقول : استواء يليق بجلاله فقال الباشا : حسن . وكان من أهل العلم والدين فأبلس ذلك المتعنت ، وانقمع

المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف ، ويعتقدونه الصواب .
فأخذوا الجواب الذي كتبته ، وعملوا عليه أوراقا في ردّه . ثم سعوا
السعي الشديد إلى القضاة والفقهاء ، واحداً واحداً . وأغروا خواطرم ،
وحرّفوا الكلام ، وكذبوا الكذب الفاحش ، وجعلوه يقول بالتجسيم -
حاشاه من ذلك - وأنه قد أوعز ذلك المذهب الى أصحابه . وأن العوام
قد فسدت عقائدهم بذلك . ولم يقع من ذلك شيء . والعياذ بالله
وسعوا في ذلك سعياً شديداً ، في أيام كثيرة المطر والوحل والبرد ،
وسعوا في ذلك سعياً شديداً

فوافقهم جلال الدين الحنفي ، قاضي الحنفية يومئذ ، على ذلك .
ومشى معهم إلى دار الحديث الأشرفية . وطلب حضوره ، وأرسل إليه
فلم يحضر .

وأرسل إليه في الجواب : إن العقائد ليس أمرها إليك ، وإن
السلطان إنما ولّاك لتحكم بين الناس ، وإن إنكار المنكرات ليس مما
يختص به القاضي .

فوصلت إليه هذه الرسالة فأغروا خاطره ، وشوّشوا قلبه ، وقالوا :

لم يحضر . وردّ عليك

والبasha المذكور : هو المرحوم محمد رشدي الشرواني . والطالب
الشيخ عبدالسلام الشطّي . زاده الله توفيقاً وإيماناً . اهـ هكذا وجدت
منقولاً على الحاشية

فأمر بالنداء على بطلان عقيدته في البلدة
 فأجاب إلى ذلك . فنودى في بعض البلد
 ثم بادر سيف الدين جاغان ، وأرسل طائفة . فضرب المنادى وجماعة
 ممن حوله ، وأخرق بهم . فرجعوا مضروبين في غاية الإهانة
 ثم طلب سيف الدين جاغان مَنْ قام في ذلك وسعى فيه ، فدارت
 الرسل والأعوان عليهم في البلد ، فاختفوا ، واحتتمى مُقَدَّمهم بيدالدين
 الأنا بكى ، ودخل عليه في داره . وسأل منه أن يجيره من ذلك . فترقق
 في أمره ، إلى أن سكن غضب سيف الدين جاغان
 ثم إن الشيخ جلس يوم الجمعة على عادته ثالث عشر الشهر . وكان
 تفسيره في قوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ^(١)) وذكر الحلم ، وما
 ينبغي استعماله

وكان ميعاداً جليلاً

ثم إنه اجتمع بالقاضى إمام الدين الشافعى ، وواعده لقراءة جزئه
 الذى أجب فيه . وهو المعروف : بالحوية .

فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر ، من بكرة النهار إلى نحو
 الثالث من ليلة الأحد ، ميعاداً طويلاً مستمرا . وقرئت فيه جميع العقيدة
 وبين مراده من مواضع أشكلت . ولم يحصل إنكار عليه من الحاكم

ولا ممن حضر المجلس ، بحيث انفصل عنهم ، والقاضى يقول : كل من تكلم فى الشيخ يُعَزَّر . وانفصل عنهم عن طيبة .

وخرج والناس ينتظرون ما يسمعون من طيب أخباره .

فوصل إلى داره فى ملا كثير من الناس ، وعندهم استبشار و سرور به . وهو فى ذلك كله ثابت الجأش ، قوى القلب ، واثق بالنصر الإلهى لا يلتفت إلى نصر مخلوق ، ولا يُعوَّل عليه

وكان سعيهم فى حقه أتم السعي ، لم يبقوا ممكنا من الاجتماع بمن يرتجون منه أدنى نصر لهم ، وتكلموا فى حقه بأنواع الأذى ، وبأمور يستحى الانسان من الله سبحانه أن يحكيها ، فضلا عن أن يَحْتَقِهَا ، ويُلقَّهَا . فلا حول ولا قوة إلا بالله

والذين سعوا فيه معروفون عندنا وعند كل أحد ، قد اشتهر عنهم هذا الفعل الفظيع . وكذلك مَنْ ساعدهم بقول ، أو تشجيع ، أو إغراء أو إرسال رسالة ، أو إفتاء ، أو شهادة ، أو أذى لبعض أصحاب الشيخ ومن يلوذ به ، أو شتم ، أو غيبة ، أو تشويش باطن . فانه وقع من ذلك شئ كثير من جماعة كثيرة

ورأى جماعة من الصالحين والاختيار فى هذه الواقعة وعقبيها للشيخ مرأى حسنة جليلة ، لو ضبطت كانت مجلدا تاما . انتهى ما ذكره

[إحصار الشيخ بمجلس نائب السلطنة]

[ومناقشته في العقيدة]

ثم بعد هذه الواقعة بمدة كثيرة - وذلك يوم الاثنين ثامن رجب من سنة خمس وسبعائة - طلب القضاة والفقهاء ، وطلب الشيخ تقي الدين إلى القصر ، إلى مجلس نائب السلطنة الأفرم . فاجتمعوا عنده . وسأل الشيخ تقي الدين وحده عن عقيدته

وقال له : هذا المجلس عقد لك ، وقد ورد مرسوم السلطان : أن أسالك عن اعتقادك

فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية . وقال : هذه كتبتها من نحو سبع سنين ، قبل مجيء التتار إلى الشام .

فقرئت في المجلس ، وبحث فيها ، وبقي مواضع أخرت إلى مجلس آخر .

ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور . وحضر المخالفون ، ومعهم الشيخ صفي الدين الهندي ، واتفقوا على أنه يتولى المناظرة مع الشيخ تقي الدين .

فتكلم معه .

ثم إنهم رجعوا عنه ، واتفقوا على الشيخ كال الدين بن الزملي كاني .
فناظر الشيخ وبحث معه . وطال الكلام ، وخرجوا من هناك والأمر
قد انفصل .

وقد أظهر الله من قيام الحجة ما أعزبه أهل السنة .

وانصرف الشيخ تقي الدين إلى منزله

واختلفت نقول الخالفين للمجلس ، وحرّفوه ، ووضعوا مقالة الشيخ
على غير موضعها ، وشنع ابن الوكيل وأصحابه بأن الشيخ قد رجع عن
عقيدته ، فالله المستعان

والذي حمل نائب السلطنة على هذا الفعل : كتاب ورد عليه من
مصر في هذا المعنى

وكان القائم في ذلك بمصر : القاضي ابن مخلوف المالكي . والشيخ
نصر المنيجي والقروي ، واستعانوا بركن الدين الجاشنكير
ثم بعد ذلك عزّر بعض القضاة بدمشق شخصاً يلود بالشيخ تقي
الدين ، وطلب جماعة ، ثم أطلقوا ، ووقع هرج في البلد . وكان الأمير
نائب السلطنة قد خرج للصيد وغاب نحو جمعة ثم حضر .

وكان الخافظ جمال الدين المزي يقرأ صحيح البخاري ، لأجل
الاستسقاء . فقرأ يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب في أثناء ذلك
فضلاً في الردّ على الجهمية ، وأن الله فوق العرش ، من كتاب أفعال

العباد ، تأليف البخارى ، تحت النذر
فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين ، وقالوا : نحن المقصودون
بهذا ، ورفعوا الأمر إلى قاضى القضاة الشافعى
فطلبه ورسم بحبسه .

فبلغ ذلك الشيخ تقى الدين ، فتألم له ، وأخرجه من الحبس بيده
وخرج إلى القصر إلى ملك الأمراء . وتخاصم هو والقاضى هناك ، وأثنى
على الشيخ جمال الدين . وغضب القاضى . وانزعج
وقال : لئن لم يردّ إلى حبسى عزلت نفسى . فأرضاه ملك الأمراء
بأن أعاد الشيخ جمال الدين إلى حبسه . فاعتقله بالقوصية أياماً .

وذكر الشيخ تقى الدين للنائب ما وقع فى غيبته فى حق بعض
أصحابه من الأذى . فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن النوكيل ، وأمر
فنودى فى البلد : إنه من تكلم فى العقائد حل دمه وماله ، ونُهّب داره
وحانوته . وقصد بذلك تسكين الفتن والشر .

وفى يوم الثلاثاء سابع شعبان عُقد للشيخ تقى الدين مجلس ثالث بالقصر
ورضى الجماعة بالعمدة

وفى هذا اليوم عزل قاضى القضاة نجم الدين بن صحرى نفسه عن
الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين بن الزملى كافى لأحب حكايته

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان إلى
القاضي باعادته إلى الحكم . وفيه :

إنا كنّا رسمنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين . وقد بلغنا ما عقده
من المجالس ، وأنه على مذهب السلف . وما قصدنا بذلك إلا براءة ساحته

[ملخص ما حصل للشيخ في تلك المجالس]

وقد ذكر الشيخ رحمه الله صورة ما جرى في هذه المجالس ملخصا
وعلق في ذلك شيئا مختصرا فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ولا ظهير ولا معين . وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله الذي أرسله إلى الخلق أجمعين . صلى الله عليه وعلى
آله وسلم وعلى سائر عباد الله الصالحين .

أما بعد . فقد سئلتُ غير مرة ، أن أكتب ما حضرني ذكره
مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة ، في أمر الاعتقاد بمقتضى
ما ورد به كتاب السلطان من الديار المصرية إلى نائبه أمير البلاد المسمى
إليه قوم من الجهمية ، والاتحادية ، والرافضة ، وغيرهم : من ذوى

الاحقاد . فأمر الأمير بجمع القضاة الأربعة : قضاة المذاهب الأربعة ، وغيرهم من نوابهم والمفتين ، والمشايخ : ممن له حرمة وبه اعتداد . وهم لا يدرون ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد . وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك عام خمس وسبعائة .

فقال لى : هذا المجلس عقد لك . فقد ورد مرسوم السلطان : أن أسألك عن اعتقادك ، وعما كتبت به إلى الديار المصرية ، من الكتب التى تدعو بها الناس إلى الاعتقاد

وأظنه قال : وأن أجمع القضاة والفقهاء وتباحثون فى ذلك فقلت : أما الاعتقاد فلا يؤخذ عنى ، ولا عنى هو أكبر منى ، بل يؤخذ عن الله ورسوله . وما أجمع عليه سلف الأمة . فما كان فى القرآن وجب اعتقاده . وكذلك ما ثبت فى الأحاديث الصحيحة ، مثل صحيح البخارى ومسلم .

وأما الكتب ، فما كتبت إلى أحد كتابا ابتداء أدعوه به إلى شئ من ذلك . ولكنى كتبت أجوبة أجبت بها من يسألنى من أهل الديار المصرية وغيرهم .

وكان قد بلغنى أنه زور على كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير أستاذ دار السلطان ، يتضمن ذكر عقيدة محرّفة . ولم أعلم بحقيقته . لكن علمت أن هذا مكذوب . وكان يرد على من مصر وغيرها من يسألنى

مسائل في الاعتقاد أو غيره ، فأجيبه بالكتاب والسنة . وما كان عليه سلف الأمة .

فقال : نريد أن تكتب لنا عقيدتك .

فقلت : اكتبوا .

فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب

وكتبت له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات ، والقدر ، ومسائل

الايان ، والوعيد ، والإمامة . والتفضيل

وهو أن اعتقاد أهل السنة والجماعة : الايمان بما وصف الله به نفسه ،

وبما وصفه به رسوله . من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا

تمثيل . وأن القرآن كلام الله ، غير مخلوق . منه بدأ وإليه يعود .

والإيمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها . وأنه ما

شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . وأنه أمر بالطاعة ورضيها وأحبها .

ونهى عن المعصية وكرها . والعبد فاعل حقيقة . والله خالق فعله . وأن

الايان والدين قول وعمل يزيد وينقص . وأن لا نسكفر أحداً من أهل

القبلة بالذنوب . ولا نخلد في النار من أهل الايمان أحداً ، وأن الخلفاء

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي

رضى الله عنهم . وأن مرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في الخلافة . ومن
قدّم عليا على عثمان . فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار .
وذكرت هذا ونحوه . فاني الآن قد بعد عهدي . ولم أحفظ لفظ
ما أملتته إذ ذاك .

ثم قلت للأمر والحاضرين : أنا أعلم أن أقواما يكذبون علىّ ، كما
قد كذبوا علىّ غير مرة . وإن أملت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون :
كتم بعضه ، أو داهن ودّارى . فإنا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع
سنين ، قبل مجيء التتر إلى الشام

قلت ، قبل حضورها كلاما قد بُعد عهدي به . وغضبت غضبا
شديدا ، لكنني أذكر أني قلت :

أنا أعلم أن أقوماً كذبوا علىّ . وقالوا للسلطان أشياء . وتكلمت
بكلام احتجت إليه . مثل أن قلت :

من قام بالإسلام في أوقات الحاجة غيرى ؟ ومن الذي أوضح
دلّاه ، ويدينه ، وجاهد أعداءه ، وأقامه لما مال ، حين تخلى عنه كل
أحد ، فلا أحد ينطق بحجته ، ولا أحد يجاهد عنه ، وقت مظهرها
لحجته ، مجاهداً عنه ، مرغبا فيه ؟

فإذا كان هؤلاء يطعمون في الكلام فيّ ، فكيف يصنعون بغيري ؟

ولو أن يهودياً طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه أن ينصفه
وأنا قد أعفو عن حقى ، وقد لأعفو . بل قد أطلب الانصاف منه .
وأن يُحضر هؤلاء الذين يكذبون ليحاققوا على اقترائهم
وقلت كلاماً أطول من هذا ، من هذا الجنس . لكن بعد
عهدى به .

فأشار الأمير إلى كاتب الدَّرَج : محي الدين ، أن يكتب ذلك .
وقلت أيضاً : كل من خالفنى فى شىء مما كتبتة فأنا أعلم
بمذهبه منه

وما أدرى ، هل قلت هذا قبل حضورها ، أو بعدها ؟
لكننى قلت أيضاً : بعد حضورها وقراءتها : ما ذكرت فيها فصلاً
إلا وفيه مخالف من المنتسبين إلى القبلة . وكل جملة فيها خلاف لطائفة
من الطوائف .

ثم أرسلت من أحضرها ، ومعها كراريس بخطى من المنزل .
فحضرت العقيدة الواسطية .

وقلت لهم : هذه كان سبب كتابتها : أنه قدم من أرض واسط
بعض قضاة نواحيها : شيخ يقال له رضى الدين الواسطى . قدم علينا
حاجباً . وكان من أهل الخير والدين . وشكاً ما الناس فيه بتلك البلاد

وفي دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ، ودروس الدين والعلم . وسألني أن
أكتب له عقيدة تكون عمدة له ، ولأهل بيته

فاستعفيت من ذلك . وقلت : قد كتب الناس عقائد متعددة
نخذ بعض عقائد أئمة السنة

فألح في السؤال . وقال : ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت .

فكتبت له هذه العقيدة . وأنا قاعد بعد العصر

وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق وغيرها

فأشار الأمير بأن لا أقرأها أنا — لرفع الريبة — وأعطاه الكاتبة

الشيخ كمال الدين

فقرأها على الحاضرين حرفا حرفا ، والجماعة الحاضرون يسمعونها .

ويورد المورد منهم ما شاء . ويعارض فيما شاء . والأمير أيضا : يسأل

عن مواضع فيها

وقد علم الناس ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين من الخلاف

والهوى : ما قد علم الناس بعضه . وبعضه سبب الاعتقاد ، وبعضه

بغير ذلك .

ولا يمكن ذكر ما جرى من الكلام والمناظرات في هذه المجالس .

فانه كثير لا ينضبط

لكن أكتب ملخص ما حضرني من ذلك مع بعد العهد بذلك

ومع أنه كان يجري رفع أصوات وَلَفْظٍ لَا يَنْضَبُط . فكان مما
اعترض عليه بعضهم لما ذكر في أولها « ومن الإيمان بالله : الإيمان
بما وصف به نفسه . ووصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : من
غير تحريف ولا تعطيل . ولا تكليف ولا تمثيل »

فقال : ما المراد بالتحريف والتعطيل ؟

ومقصوده : أن هذا ينفي التأويل الذي يثبتته أهل التأويل ، الذي
هو صرف اللفظ عن ظاهره ، إما وجوباً وإما جوازاً .

فقلت : تحريفُ الكَلِمِ عن مواضعه ، كما ذمَّ الله في كتابه ، وهو
إزالة اللفظ عما دلَّ عليه من المعنى . مثل تأويل بعض الجهمية لقوله
تعالى (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) أى جرَّحه بأظاير الحكمة تجريحاً
ومثل تأويلات القرامطة والباطنية وغيرهم : من الجهمية والرافضة
والقدرية ، وغيرهم . فسكت ، وفي نفسه ما فيها .

وذكرت في غير هذا المجلس : أنى عدلت عن لفظ « التأويل »
إلى لفظ « التحريف » لأن التحريف اسم جاء القرآن بدمه . وأنا تحريْتُ
في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة . فنفيتُ ماذمَةَ الله من التحريف ،
ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفى ولا إثبات . لأنه لفظ له عِدَّة معانٍ ،
كما بينته في موضعه من القواعد ^(١) فإن معنى لفظ « التأويل »

(١) قواعد التفسير لشيخ الاسلام ابن تيمية طبعَت بالشام

في كتاب الله غير معنى لفظ « التأويل » في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه ، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف ^(١) . ولأن من المعاني التي قد تسمى تأويلا : ما هو

(١) قال العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله في مختصر الصواعق المرسلة في بيان حقيقة التأويل :

هو تفعيل من آل يؤول إلى كذا ، إذا صار إليه . فالتأويل : التصيير وأولته تأويلا : إذا صيرته إليه . وتأول هو مطاوع أولته . وقال الجوهرى : التأويل : تفسير ما يؤول إليه الشيء . ثم تسمى العاقبة تأويلا . لأن الأمر يصير إليها . قال الله تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا) ، وتسمى حقيقة الشيء المخبر به تأويلا . لأن الأمر ينتهى إليها . ومنه قوله تعالى (هل ينظرون إلا التأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) فجاء تأويله : بجىء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد والجنة والنار . ويسمى تعبير الرؤيا تأويلا باعتبارين . وتسمى العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل تأويلا . لأنها بيان لمقصود الفاعل وغرضه من الفعل الذى لم يعرف الرأى غرضه منه . ومنه قول الخضر لموسى (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) فالتأويل المراد منه في كتاب الله : حقيقة المعنى الذى يؤول اللفظ إليه . وهى الحقيقة الموجودة في الخارج . وتأويل الوعد والوعيد : هو نفس الموعد والمتوعد به . وتأويل ما أخبر الله به من صفاته وأفعاله : هو نفس

صحيح منقول عن بعض السلف . فلم أنف ما تقوم الحجة على صحته
إذ ما قامت الحجة على صحته ، وهو منقول عن السلف ، فليس من التحريف
وقلت له أيضا : ذكرت في النفي « التمثيل » ولم أذكر « التشبيه »

ما هو سبحانه موصوف به من الصفات . وتأويل الأمر : هو نفس
الأفعال المأمور بها . قالت عائشة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في ركوعه وسجوده : سبحانهك اللهم ربنا وبحمدك . يتأول القرآن »
فهذا التأويل هو فعل المأمور به . هذا التأويل في كلام الله ورسوله . وأما
في اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث : فمرادهم به معنى
التفسير والبيان . ومنه قول ابن جرير وغيره : القول في تأويل قوله تعالى
كذا وكذا . ومنه قول الامام أحمد في الرد على الجهمية فيما تأولوه من
القرآن على غير تأويله . فأبطل تلك التأويلات التي ذكروها . وهو تفسير
مرادهم بها ، وهو تأويلها عنده . فهذا التأويل يرجع الى فهم المؤمن ويحصل
في الذهن . والاول يعود إلى وقوع حقيقته في الخارج . وأما المعتزلة
والجهمية وغيرهم من المتكلمين فمرادهم بالتأويل : صرف اللفظ عن ظاهره
وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من الأصوليين والفقهاء . ولذلك
يقولون : التأويل على خلاف الأصل . والتأويل يحتاج إلى دليل . وهذا
التأويل هو الذي صنفوا في تسويغه وإبطاله من الجانبين . فمن صنف
في إبطاله على رأى المتكلمين : القاضي أبو يعلى والشيخ موفق الدين
ابن قدامة . وقد حكى غير واحد اجماع السلف على عدم القول به - إلى
أن قال - : وبالجمله فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت
به السنة : هو التأويل الصحيح . وغيره هو الفاسد . ثم ذكر أنواع
التأويل الباطل في كلام نفيس . فارجع اليه .

لأن « التمثيل » نفاه الله بنص كتابه حيث قال (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وقال (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ مِثْلِيًّا) فكان أحب إلى من لفظ ليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإن كان قد يُعنى بنفيه معنى صحيح ، كما قد يعنى به معنى فاسد

ولما ذكرت «أنهم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يُحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ولا يُأحدون في أسماء الله وآياته » . جعل بعض الحاضرين يمتعض من ذلك ، لاستشعاره ما في ذلك من الرد لما هو عليه ، ولكن لم يتوجه له ما يقوله .

وأراد أن يدور على بالأُسئلة التي أعلمها ، فلم يتمكن لعلمه بالجواب ولما ذكرت آية الكرسي ، أظن سأل الأمير عن قولنا « لا يقربهُ شيطان حتى يُصبح » .

فذكرت له حديث أبي هريرة رضى الله عنه في الذي كان يسرق صدقة الفطر . وذكرت أن البخارى رواه في صحيحه ^(١)

(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال « وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان : فأتانى آت ، فجعل يحثو من الطعام . فأخذه . فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إني محتاج وعلى دين وعيال وفي حاجة شديدة . فغلبت عنه . فأصبحت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم . يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟

وأخذوا يذكرون نفى التشبيه والتجسيم ويُطَنَّبون في هذا
ويُعرَّضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك

فقلت : قولي « من غير تكليف ، ولا تمثيل » ينفي كل باطل
وإنما أخذت هذين الاسمين . لأن « التكليف » مأثور نفيه عن
السلف .. كما قال ربيعة ، ومالك ، وابن عُيَيْنَةَ وغيرهم المقالة التي تلقاها
العلماء بالقبول « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمانُ
به واجب ، والسؤال عنه بدعة »

فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا . فنفيت ذلك ،

قال قلت : يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالا . فرحمته غلّيت سيّله . قال :
أما انه قد كذبتك وسيعود . فعرفت أنه سيعود . لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم : انه سيعود ، فرصدته . فجاء يحشو من الطعام - وذكر الحديث
إلى أن قال : فأخذته يعني في الثالثة . فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وهذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ثم تعود .
قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها . قلت : ما هن ؟ قاله : إذا أويت
إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حتى تختتم
الآية . فانك لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح :
غلّيت سيّله . فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل
أسيرك البارحة ؟ قلت : زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها غلّيت سيّله .
قال ما هي : قال لي إذا أويت إلى فراشك - الحديث - إلى أن قال صلى الله
عليه وسلم : صدقك وهو كذوب »

اتباعاً لسلف الأمة ، وهو أيضاً منقضى بالنص . فان تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته . وهذا من التأويل الذى لا يعلمه إلا الله . كما قد قررت ذلك فى قاعدة مفردة ذكرتها فى التأويل . والمعنى . والفرق بين علمنا بمعنى الكلام . وبين علمنا بتأويله .

وكذلك « التمثيل » يُنفى بالنص والاجماع القديم ، مع دلالة العقل على نفيه . ونفى التكييف . إذ كُنْهُ البارى تعالى غير معلوم للبشر وذكرنا فى ضمن ذلك كلام الخطّابى الذى نقل أنه مذهب السلف . وهو : « إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، مع نفي الكيفية ، والتشبيه عنها ، إذ الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات يُحْتَدَى فيه حذوه ، وَيَتَّبَعُ فيه مثاله . فاذا كان إثبات الذات إثبات وجود ، لا إثبات تكييف . فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف »

فقال أحد كبراء المخالفين : فينئذ يجوز أن يقال : هو جسم ، لا كالأجسام ؟ .

فقلت له ، أنا وبعض الفضلاء الحاضرين : إنما قيل : إنه يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم . وليس فى الكتاب والسنة أن الله جسم ، حتى يازم هذا السؤال وأخذ بعض القضاة الحاضرين والمعروفين بالديانة يريد إظهار أن

ينفى عنا ما يقوله ، فجعل يزيد فى المبالغة فى نفى التشبيه والتجسيم .
فقلت : قد ذكر فيها فى غير موضع « من غير تحريف ، ولا تعطيل .
ومن غير تكييف ولا تمثيل »

وقلت فى صدرها : « ومن الإيمان بالله : الإيمان بما وصف الله
به نفسه فى كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، من
غير تحريف ولا تعطيل . ومن غير تكييف ولا تمثيل »
ثم قلت : « وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التى
تلقيها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك »

إلى أن قلت : « إلى أمثال هذه الأحاديث الصحاح التى يخبر فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يخبر به . فإن الفرقة الناجية أهل السنة
والجماعة يؤمنون بذلك ، كما يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه ، من غير
تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل . بل هم الوسط فى فرق
الأمّة . كما أن الأمّة هى الوسط فى الأمم . فهم وسط فى باب صفات
الله بين أهل التعطيل الجهمية ، وأهل التشيل المشبهة » .

ولما رأى هذا الحاكم العدل تماؤهم وتعصّبهم . ورأى قلة المعاون
منهم والناصر ، وخافهم قال : أنت قد صنفت اعتقاد الإمام أحمد .
فنقول : هذا اعتقاد أحمد ؟

يعنى والرجل يصنف على مذهبه فلا يُعترض عليه . فان هذا
مذهب متبوع .

وغرضه بذلك : قطع مخاصمة الخصوم .

فقلت : ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم ، ليس للإمام
أحمد اختصاص بهذا . والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذى جاء به
النبي صلى الله عليه وسلم . ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يحى به
الرسول صلى الله عليه وسلم لم تقبله . وهذه عقيدة محمد صلى الله عليه
وسلم .

وقلت مرات : قد أمهلت كل من خافنى فى شىء منها ثلاث
سنين . فان جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة التى أثنى عليها
النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : « خير القرون القرن الذى
بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ^(١) » يخالف ما ذكرته
فأنا أرجع عن ذلك . وعلى أن آتى بنقول جميع الطوائف من القرون
الثلاثة توافق ما ذكرته : من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية
والأشعرية ، والصوفية ، وأهل الحديث ، وغيرهم .

(١) رواه الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى عن ابن مسعود بالفظ
« خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم . ثم يحيى اقوام
تسبق شهادة احدهم يمينه . ويمينه شهادته »

وَقُلْتُ أَيْضاً ، فِي غَيْرِ هَذَا الْمَجْلَسِ : الْأَمَامُ أَحْمَدُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
لَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنَ السَّنَةِ وَنُصُوصِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ
مِمَّا انْتَهَى إِلَى غَيْرِهِ ، وَابْتُلِيَ بِالْحَنَّةِ وَالرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ أَكْثَرَ
مِنْ غَيْرِهِ كَانَ كَلَامُهُ وَعَمَلُهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ . فَصَارَ إِمَامًا
فِي السَّنَةِ أَظْهَرَ مِنْ غَيْرِهِ . وَإِلَّا فَالْأَمْرُ كَمَا قَالَهُ بَعْضُ شُيُوخِ الْمَغَارِبَةِ الْعُلَمَاءِ
الصُّلَحَاءِ ، قَالَ : الْمَذْهَبُ لِمَالِكٍ وَالشَّافِعِيُّ ، وَالظُّهْرِيُّ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ
يَعْنِي أَنَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ عَلَيْهِ جَمِيعُ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَإِنْ كَانَ
لِبَعْضِهِمْ مِنْ زِيَادَةِ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ ، وَإِظْهَارِ الْحَقِّ ، وَدَفْعِ الْبِطَالِ
مَا لَيْسَ لِبَعْضٍ

وَلَمَّا جَاءَ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ ،
وَسَعْدُكَ . فَيُنَادِي بِصَوْتٍ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَبْعَثَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ
الْحَدِيثُ » ^(١) .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَجِّ فِي بَابِ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَتَرَى
النَّاسَ سَكَرَى) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدُكَ . فَيُنَادِي
بِصَوْتٍ . إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذَرِيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ . قَالَ : يَا رَبِّ ،
وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أَرَاهُ قَالَ : تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ -
فَيُنْزَلُ تَضَعُ الْحَوَامِلَ حَمْلَهَا . وَيُشَيِّبُ الْوَلِيدَ . وَتَرَى النَّاسَ سَكَرَى وَمَاهِمُ

سألهم الأمير : هل هذا الحديث صحيح ؟

فقلت : نعم ، هو في الصحيحين . ولم يخالفوا في ذلك . واحتاج

المنازع إلى الاقرار به

وطلب الأمير الكلام في مسألة الحرف والصوت . لأن ذلك

طلب منه

فقلت : هذا الذي يحكيه كثير من الناس عن الإمام أحمد

وأصحابه : أن صوت القارئ ومداد المصاحف : قديم أزلي — : كذب

مفتري . لم يقل ذلك أحمد ، ولا أحد من علماء المسلمين

وأخرجت كُرَّاساً كان قد أُحْضِرَ مع العقيدة . وفيه ما ذكره

بسكاري ولكن عذاب الله شديد . فشق ذلك على الناس ، حتى تغيرت وجوههم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من يأجوج ومأجوج : تسعمائة وتسعة

وتسعين ، ومنهم واحد ، ثم أتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور

الابيض ، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود ، وإني لأرجو أن

تكونوا ربع أهل الجنة . فكبرنا ، ثم قال : تلك أهل الجنة . فكبرنا

ثم قال : شطر أهل الجنة فكبرنا » ورواه البخاري أيضا في الرقاق في باب

إن زلزلة الساعة شيء عظيم

الشيخ أبو بكر الخلال في كتاب السُّنة عن الإمام أحمد^(١) . وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي من كلام أحمد ، وكلام أئمة زمانه في : « أن من قال : لفظي بالقرآن مخلوق . فهو جهمي . ومن قال . غير مخلوق . فهو مبتدع »

قلت : فكيف بمن يقول لفظي قديم ؟ فكيف بمن يقول : صوتي غير مخلوق ؟ فكيف بمن يقول : صوتي قديم ؟
وأحضرت جواب مسألة كنت سئلت قديما عنها . فيمن حلف بالطلاق في مسألة الحرف والصوت ، ومسألة الظاهر في العرش^(٢) وقلت :
هذا جوابي

(١) كتاب السنة لعبد الله بن الامام أحمد طبعه جلالة الملك الصالح السلفي عبد العزيز آل سعود في مكة المكرمة . وجعله وقفاً لوجه الله .
نشر المذهب السلف وخدمة الدين ، كما طبع غيره من الكتب النفيسة ،
فجزاه الله خير الجزاء

(٢) في كتاب التسعينية المطبوع في الجزء الخامس من الفتاوى (ص ١٢٣) وقلت في جواب الفتيا الدمشقية . وقد سئلت فيها عن رجل حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت وأن الرحمن على العرش استوى على ما يفيد الظاهر . ويفهمه الناس من ظاهره الخ .
وكتاب التسعينية هذا فيه بسط لتلك الحوادث التي يحكيها الشيخ هنا ورد على المعترضين عليه من آسعين وجها . وهو كتاب قيم جداً

وكانت هذه المسألة قد أرسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة .
 ممن كان بعضهم حاضراً في المجلس . فلما وصل إليهم الجواب أسكتهم .
 وكانوا قد ظنوا أني إن أجبت بما في ظنهم أن أهل السنة تقوله .
 حصل مقصودهم من الشناعة . وإن أجبت بما يقولونه هم . حصل
 مقصودهم من الموافقة

فلما أجيبوا بالفرقان الذي عليه أهل السنة . وليس هو ما يقولونه
 هم ، ولا ما ينقلونه عن أهل السنة ، إذ يقوله بعض الجهال ؛ بهتوا لذلك
 وفيه : « إن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه ، ليس القرآن إسما مجرد
 الحروف ، ولا مجرد المعاني »

ولما جاءت مسألة القرآن ، فقلت : « ومن الإيمان به : الإيمان بأن
 القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود » — نازع بعضهم في
 كونه منه بدأ وإليه يعود . وطلبوا تفسير ذلك

فقلت : أما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف ، مثل ما نقله
 عمرو بن دينار قال : « أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق
 وما سواه مخلوق ، إلا القرآن ، فانه كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه
 يعود » وقد جمع غير واحد ما في ذلك من الآثار عن النبي صلى الله عليه
 وسلم والصحابة والتابعين .

وأما معناه : فإن قوله « منه بدأ » أى هو المتكلم به ، وهو الذى أنزله من لدنه ، ليس هو كما تقولوه الجهمية : إنه خلق فى الهواء أو غيره ، أو بدأ من عند غيره

وأما « إليه يعود » فانه يسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور ، فلا يبقى فى الصدور منه كلمة ، ولا فى المصاحف منه حرف ووافق على ذلك غالب الحاضرين ، وسكت المنازعون .

وخاطبت بعضهم فى غير هذا المجلس ، بأن أريته العقيدة التى جمعها الإمام القادر بالله ، التى فيها . « إن القرآن كلام الله . خرج منه » فتوقف فى هذا اللفظ

فقلت . هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم « وما تقرب العباد إلى الله بمثل ماخرج منه ^(١) » يعنى القرآن

(١) روى الترمذى فى أبواب فضل القرآن قال : حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا أبو النضر أخبرنا بكر بن خنيس عن ليث بن أبي سليم عن زيد ابن أرقطة عن أنى أمانة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أذن الله لعبد فى شيء أفضل من ركعتين يصلحهما . وأن البريلذر على رأس العبد مادام فى صلاته . وما تقرب العباد إلى الله عز وجل بمثل ماخرج منه » قال أبو النضر : يعنى القرآن . هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من

وقال خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ « يَا هَنْتَاهُ . تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ
 فَلَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ » ؟ !
 وقال أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — لَمَّا قُرِئَ عَلَيْهِ قُرْآنُ مُسِيْلَةِ
 الْكَذِّابِ — فَقَالَ « إِنْ هَذَا كَلَامٌ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ إِلٍّ » يَعْنِي رَبِّ .
 وَمِمَّا فِيهَا : « وَمَنِ الْإِيْمَانُ بِهِ : الْإِيْمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مَنْزَلٌ ، غَيْرُ
 مَخْلُوقٍ ، مِنْهُ بَدْءٌ وَإِلَيْهِ يَعُودُ . وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيْقَةٌ . وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
 الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيْقَةٌ ، لَا كَلَامُ
 غَيْرِهِ . وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ ، بَلْ
 إِذَا قُرِئَ النَّاسُ الْقُرْآنَ ، أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ ، لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ
 أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيْقَةٌ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا ،
 لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا ، مُؤَدِّيًا »

فَامْتَعَضَ بَعْضُهُمْ مِنْ كَوْنِهِ إِثْبَاتُ كَلَامِ اللَّهِ حَقِيْقَةٌ ، بَعْدَ تَسْلِيْمِهِ
 أَنَّ اللَّهَ تَسَكَّلَ بِهِ حَقِيْقَةٌ . ثُمَّ إِنَّهُ سَلَّمَ ذَلِكَ لَمَّا بُيِّنَ لَهُ أَنَّ الْجَازَ يَصِحُّ
 نَفِيْهِ ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ نَفِيْهِ . وَلَمَّا بُيِّنَ لَهُ أَنَّ أَقْوَالَ الْمُتَقَدِّمِينَ الْمَأْثُورَةَ
 هَذَا الْوَجْهَ . وَبَكْرُ بْنُ خَنِيْسٍ قَدْ تَسَكَّلَ فِيهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ وَتَرَكَ فِي آخِرِ أَمْرِهِ اهـ .
 وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا . وَفِي سَنَدِهِ : بَكْرُ بْنُ خَنِيْسٍ وَلَيْثُ بْنُ
 أَبِي سَلِيْمٍ . وَكِلَاهُمَا مَطْعُونٌ فِيهِ . وَذَكَرَهُ فِي جَامِعِ الْفَوَائِدِ ، وَقَالَ « قَالَ
 أَبُو النَّضْرِ : يَعْنِي الْقُرْآنَ ، مِنْهُ بَدْءٌ الْأَمْرُ بِهِ وَإِلَيْهِ يَعُودُ الْحُكْمُ فِيهِ »

عنهم ، وشعر الشعراء المضاف إليهم ، هو كلامهم حقيقة . فلا يكون نسبة القرآن إلى الله بأقل من ذلك .

ولما ذكر فيها : « أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً ، لا إلى من قاله مُبَلِّغاً مؤدياً » . استحسنوا هذا الكلام وعظموه . وأخذ أحد كبراء الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام ، وأنه أزال عنه الشبهات ، ويذكر أشياء من هذا النمط .

ولما جاء ذكر ما ذكر من الايمان باليوم الآخر ، وتفصيله ونظمه استحسنوا ذلك وعظموه

وكذلك لما جاء ذكر الايمان بالقدر ، وأنه على درجتين ، إلى غير ذلك مما فيه من القواعد الجليلة

وكذلك لما جاء الكلام في الفاسق المَلِيء ، وفي الايمان

لكن اعترضوا على ذلك بما سأذكره

وكان مجموع ما اعترض به المنازعون المعاندون — بعد انقضاء قراءة

جميعها ، والبحث فيها — أربعة أسئلة :

السؤال الأول : قولنا : « ومن أصول الفرقة الناجية : أن الايمان

والدين : قول ، وعمل ، يزيد وينقص . قولُ القلب واللسان ،

وعملُ القلب واللسان والجوارح . »

قالوا : إذا قيل : إن هذا من أصول الفرقة الناجية ، خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك ، مثل أصحابنا المتكلمين الذين يقولون : إن الإيمان هو التصديق ، ومن يقول : إن الإيمان هو التصديق والاقرار . وإذا لم يكونوا ناجين ، لزم أن يكونوا هالكين .

وأما الأسئلة الثلاثة ، وهى التى كانت عمدتهم ، فأوردوها على قولنا : «وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله : الإيمان بما أخبر الله به فى كتابه ، وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه سلف الأمة : ومن أنه سبحانه فوق سمواته ، وأنه على عرشه ، على كل خلقه . هو معهم أينما كانوا ، يعلم ما هم عاملون ، كما جمع بين ذلك فى قوله : (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)^(١)

«وليس معنى قوله (وهو معكم) أنه مختلط بالخلق . فان هذا لا توجه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته . وهو موضوع فى السماء . وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان . وهو سبحانه فوق

العرش ، رقيب على خلقه ، مُهَيَّمٌ عَلَيْهِمْ ، مُطَّلَعٌ عَلَيْهِمْ . إلى غير ذلك من معاني ربوبيته »

« وكل هذا الكلام الذى ذكره الله : من أنه فوق العرش ، وأنه معنا : حق على حقيقته . لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة »

والسؤال الأول قال بعضهم : نُقِرُّ باللفظ الوارد ، مثل حديث العباس رضى الله عنه ، حديث الأوعال^(١) « والله فوق العرش »

(١) رواه ابوداود فى : باب فى الجهمية : حدثنا محمد بن الصباح البزار حدثنا الوليد بن ابى ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف ابن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال « كنت فى البطحاء فى عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمرت بهم سحابة ، فنظر اليها . فقال : ما تسمون هذه ؟ قالوا : السحاب قال : والمزن . قالوا : والمزن . قال : والعنان قالوا : والعنان . قال ابوداود : لم ألق العنان جيداً . قال : هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض ؟ قالوا : لا ندرى . قال : إن بعد ما بينهما ، إما واحدة ، أو اثنتان ، أو ثلاث وسبعون سنة . ثم السماء فوقها كذلك . حتى عد سبع سموات . ثم فوق السابعة بحر بين سقفه وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء . ثم فوق ذلك ذلك ثمانية . أو عال ، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء . ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء

ولا نقول : فوق السموات ، ولا نقول : على العرش
 وقالوا أيضاً : نقول (الرحمن على العرش استوى) ولا نقول : الله على
 العرش استوى . ولا نقول : مستور
 وأعادوا هذا المعنى مراراً — أى إن اللفظ الذى ورد ، يقال اللفظ بعينه ،
 ولا يبدل بلفظ يرادفه ، ولا يفهم له معنى أصلاً ، ولا يقال : إنه يدل
 على صفة لله أصلاً .
 وانبسط الكلام فى هذا المجلس الثانى ، كما سنذكره إن شاء
 الله تعالى .

والسؤال الثانى ، قالوا : التشبيه بالقمر : فيه تشبيه كون الله فى السماء
 بكون القمر فى السماء .

السؤال الثالث : قالوا : قولك : « حق على حقيقته » الحقيقة هى المعنى
 اللغوى . ولا يفهم من الحقيقة إلا استواء الأجسام وفوقيةها . ولم تضع
 العرب ذلك إلأها ، فإثبات الحقيقة : هو محض التجسيم ، ونفى التجسيم
 مع هذا تناقض ، أو مصانعة ؟

الى سماء ، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك » ثم رواه أبو داود من طريقين
 آخرين . وقال المنذرى : واخرجه الترمذى وابن ماجه . وقال
 الترمذى : حسن غريب . وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك
 فوقه اهـ

قال فى عون المعبود : وفى اسناد الوليد بن أبى ثور ، لا يحتاج بحديثه .

فأجبتهم عن الأسئلة: بأن قولي: «اعتقاد الفرقة الناجية» هي الفرقة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالنجاة، حيث قال: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(١)

فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم ومن اتبعهم: الفرقة الناجية.

فانه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال: «الايمان يزيد وينقص».

وكل ما ذكرته في ذلك فانه مأثور عن الصحابة رضى الله عنهم بالأسانيد الثابتة: لفظه أو معناه، وإذا خالفهم من بعدهم، لم يضرني ذلك.

ثم قلت لهم: وليس كل مخالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا. فان المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا، يغفر الله له خطاه. وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة. وقد يكون له من الحسنات ما يحو الله به سيئاته. وإذا كانت ألقاظ الوعيد المتناولة

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه بلفظ «افترقت بنو اسرائيل على بضع وسبعين فرقة. وستفترق أمتي - الخ»

له لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والتائب، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له وغير ذلك . فهذا أولى . بل موجب هذا الكلام : أن من اعتقد ذلك نجاً في هذا الاعتقاد ، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجياً ، وقد لا يكون ناجياً . كما قال « من صمّت نجاً »^(١)

وأما السؤال الثاني : فأجبتهم ، أولاً : بأن كل لفظ قلته . فهو مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل لفظ « فوق السموات » ولفظ « على العرش » و « فوق العرش » .

وقلت : اكتبوا الجواب . فأخذ السكاتب في كتابته . ثم قال بعض الجماعة : قد طال المجلس اليوم . فيؤخر هذا إلى مجلس آخر فتكتبون أنتم الجواب . وتحضرونه في ذلك المجلس . وأشار بعض الموافقين : بأن يتم الكلام بكتابة الجواب . لئلا تنتشر أسئلتهم واعتراضهم .

وكان الخصوم كان لهم غرض في تأخير كتابة الجواب ، ليستعدوا لأنفسهم ، ويطلبوا ، ويحضروا من غاب من أصحابهم ، ويتأملوا العقيدة فيما بينهم ، ليتمكنوا من الطعن والاعتراض .

(١) رواه الامام احمد والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم . ورمز له السيوطي في الجامع بعلامة الضعيف

فحصل الاتفاق على أن يكون تمام الكلام يوم الجمعة .
وقمنا على ذلك .

وقد أظهر الله من قيام الحجة وبيان الحججة ما أعزَّ الله به السنة
والجماعة ، وأرغم به أهل البدعة والضلالة ، ، وفي نفوس كثير من الناس
أمر لما يحدث في المجلس الثاني .

وأخذوا في تلك الأيام يتأملونها ، ويتأملون ما أجيب به في مسائل
تتعلق بالاعتقاد ، مثل المسئلة المحوية في الاستواء والصفات الخبرية
وغيرها .

فصل

فلما كان في المجلس الثاني ، يوم الجمعة ، بعد الصلاة ، ثاني عشر
رجب — وقد أحضروا أكبر شيوخهم^(١) ممن لم يكن حاضرا ذلك اليوم —
وبحثوا فيما بينهم ، واتفقوا وتواطأوا ، وحضروا بقوة واستعداد ، غير
ما كانوا عليه . لأن المجلس الأول أتاهم بغتة ، وإن كان أيضا بغتة
للمخاطب الذي هو المسئول والمجيب والمناظر .

(١) بهامش الاصل : أظنه الصفي الهندي . كذا في المنقول عنه .

فلما اجتمعنا — وقد أحضرت ما كتبته من الجواب على أسئلتهم المتقدمة التي طلب تأخيرها الى هذا اليوم — حمدت الله بخطبة الحاجة ، خطبة ابن مسعود رضى الله عنه ^(١) .

ثم قلت : إن الله أمرنا بالجماعة والائتلاف ، ونهانا عن الفرقة والاختلاف ، وقال لنا في القرآن (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ^(٢) وقال (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) ^(٣) وقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) ^(٤) (وربنا واحد ، وكتابنا واحد ، ونبينا واحد ، وأصول الدين لا تختلف التفرق والاختلاف . وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين . وهو متفق عليه بين السلف . فان وافق الجماعة فالحمد لله ، وإلا فمن خالفني بعد ذلك ، كشفت له الأسرار ، وهتكت الأستار ، وبيّنت لمذاهب الفاسدة ، التي أفسدت الملل والدول . وأنا أذهب إلى سلطان الوقت على البريد ، وأعرّفه

(١) رواه الترمذى عن ابن مسعود قال « علمنا النبي صلى الله عليه وسلم التشهد في الصلاة ، والتشهد في الحاجة . وذكر تشهد الصلاة قال : والتشهد في الحاجة : إن الحمد لله ونستعينه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا — الحديث » وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢) سورة آل عمران آية (١٠٣)

(٣) سورة الانعام آية (١٥٩)

(٤) سورة آل عمران آية (١٠٥)

من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس . فان للسلام كلاما ، وللحرب كلاما .
وقلت : لا شك أن الناس يتنازعون ، فيقول هذا : أنا حنبلي
ويقول هذا : أنا أشعري ، ويجرى بينهم تفرق واختلاف ، على أمور
لا يعرفون حقيقتها

وأنا قد أحضرت ما بين اتفاق المذاهب فيما ذكرته ، وأحضرت
كتاب تبين كذب المغترى فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري .
تأليف الحافظ أبي القاسم ابن عساكر .
وقلت : لم يصنف في أخبار الأشعري الحمودة كتاب مثل هذا .
وقد ذكر فيه لفظه الذي ذكره في كتاب الإبانة

فلما انتهيت إلى ذكر المعتزلة ، سألت الأمير عن معنى المعتزلة ؟
فقلت : كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملقى .
وهو أول اختلاف حدث في الملة ، هل هو كافر ، أو مؤمن ؟ فقالت
الخوارج : إنه كافر . وقالت الجماعة : إنه مؤمن .

فقالت طائفة : نقول : هو فاسق ، لا كافر ، ولا مؤمن . نُزِّلَهُ
منزلة بين منزلتين ، وُخِّلِدَوه في النار ، واعتزلوا حلقة الحسن البصري
وأصحابه ، فسُمُّوا معتزلة

فقال الشيخ الكبير ، بحبه ورد^(١) : ليس كما قلت ، ولكن

(١) كذا في الأصل ولعله : بحلبة ورد

أول مسألة اختلف فيها المسلمون : مسألة الكلام ، وُسِّمى المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك ، وكان أول من قالها : عمرو بن عبَّيد ، ثم خلفه بعد موته عطاء بن واصل .

هكذا قال : وذكر نحواً من هذا .

فغضبت عليه ، وقلت : أخطأت . وهذا كذب مخالف للاجماع .

وقلت له : لا أدب ولا فضيلة ، لا تأدبت معي في الخطاب ، ولا

أصبت في الجواب .

ثم قلت : الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون ، وبعدها

في أواخر المائة الثانية . وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير ، في زمن

عمرو بن عبَّيد بعد موت الحسن البصري ، في أوائل المائة الثانية . ولم

يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ، ولا تنازعوا فيها . وإنما أول

بدعتهم : تكلمهم في مسائل الأحكام ، والأسماء ، والوعيد .

فقال : هذا ذكره الشهرستاني في كستاب الملل والنحل .

فقلت : الشهرستاني ذكر ذلك في اسم المتكلمين : لم سُمِّوا متكلمين ،

لم يذكره في اسم المعتزلة ، والأمير إنما سأل عن اسم المعتزلة .

وأنكر الحاضرون عليه .

وقال : غلطت

وقلت في ضمن كلامي : أنا أعلم كل بدعة حدثت في الاسلام

وأول من ابتدعها . وما كان سبب ابتداعها .
وأيضاً : فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين .
فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل تنازعهم في مسألة الكلام
وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء : إنه متكلم ، ويصفونه بالكلام
ولم يكن الناس يختلفوا في مسألة الكلام .
وقلت أنا وغيري : إنما هو واصل بن عطاء .
قلت : وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد ، وإنما كان
قريبه .

وقد روى أن واصلًا تكلم مرة بكلام . فقال عمرو بن عبيد : لو
بعث نبي ما كان يتكلم بأحسن من هذا ، وفصاحته مشهورة ، حتى
قيل : أنه كان ألغ ، فكان يحترز عن الرء ، حتى قيل له : أمر الأمير
أن يحفر بئر في قارعة الطريق . فقال : أوعز القائد ، أن يقلب
قليب في الجادة

قال الشيخ المتقدم فيهم : لا ريب أن الإمام أحمد إمام
عظيم القدر ، ومن أكبر أئمة الاسلام ، لكن قد انتسب إليه أناس
ابتدعوا أشياء

فقلت : أما هذا الحق ، وليس هذا من خصائص أحمد ، بل ما من
إمام إلا وقد انتسب إليه أقوام ، هو منهم برى . قد انتسب إلى مالك

أناس ، مالك برىء منهم . وانتسب إلى الشافعى أناس ، هو منهم برىء .
 وانتسب إلى أبى حنيفة أناس ، هو برىء منهم . وقد انتسب إلى
 موسى عليه السلام أناس هو برىء منهم . وانتسب إلى عيسى عليه
 السلام أناس ، هو برىء منهم . وقد انتسب إلى على بن أبى طالب
 رضى الله عنه أناس ، هو برىء منهم . ونبينا صلى الله عليه وسلم قد
 انتسب إليه من القرامطة ، والباطنية وغيرهم ، من أصناف الملحدة
 والمناقضين من هو برىء منهم

وذكر فى كلامه : أنه انتسب إلى أحمد أناس من الحشوية
 والمشبّهة . ونحو هذا الكلام .

فقلت : المشبّهة والمجسّمة فى غير أصحاب أحمد أكثر منهم فيهم ،
 هؤلاء أصناف الأكراد ، وكلهم شافعية ، وفيهم من التشبيه والتجسيم
 ما لا يوجد فى صنف آخر . وأهل جيلان ، فيهم شافعية وحنبلية
 قلت : وأما الحنبلية المحضة . فليس فيهم من ذلك ما فى غيرهم .
 وكان من تمام الجواب : أن الكرامية المجسّمة كلهم حنفية .
 وتكلّمت على لفظ الحشويّة ، ما أدرى جوابا عن سؤال الأمير ، أو
 غيره ، أو عن غير جواب .

فقلت . هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة ؛ فإنهم يسمون الجماعة
والسواد الأعظم : الحشو ، كما تسميهم الرافضة : الجمهور

وحشو الناس : هم عموم الناس وجمهورهم ، وهم غير الأعيان المتميزين
يقولون : هذا من حشو الناس . كما يقال : هذا من جمهورهم

وأول من تكلم بهذا : عمرو بن عبيد ، وقال : كان عبد الله بن عمر
حشويا . فالمعتزلة سمو الجماعة حشوا ، كما تسميهم الرافضة : الجمهور .

وقلت : — لا أدري في المجلس الأول ، أو الثاني — : أول من قال :
إن الله جسم ، هشام بن الحكم الرافضي

وقلت لهذا الشيخ : من في أصحاب الامام أحمد من الأعيان حشويٌّ
بالمعنى الذى تريده ؟ الأثرم ، أبو داود ، المروزى ، الخلال ، أبو بكر بن
عبد العزيز ، أبو الحسن التميمي ، ابن حامد القاضى ، أبو يعلى ،
أبو الخطاب ، ابن عقيل ؟

ورفعت صوتى وقلت : سمَّهم . قل لى : من هم ، من هم ؟
أيكذب ابن الخطيب ^(١) وافترائه على الناس فى مذاهبيهم تبطل
الشرعية ، وتندرس معالم الدين ؟ كما تقل هو وغيره عنهم . أنهم يقولون :
إن القرآن القديم هو أصوات القارئین ، ومداد الكاتبين ، وأن الصوت

(١) هو الفخر الرازى

والمداد قديم أزلى ؟ من قال هذا ؟ وفى أى كتاب وجد هذا عنهم ؟
قل لى .

وكما نقل عنهم : أن الله لا يُرى فى الآخرة ، باللزوم الذى ادَّعاه ،
والمقدمة التى نقلها عنهم ؟

وأخذت أذكر ما يستحقه هذا الشيخ : من أنه كبير الجماعة وشيخهم
وأن فيه من العقل والدين ، ما يستحق أن يعامل بموجبه .
وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه ، فإنه لم يكن حاضرا فى المجلس
الأول ، وإنما أحضره فى الثانى ، انتصارا به .

وحدثنى الثقة عنه بعد خروجه من المجلس ، أنه اجتمع به ، وقال له :
أخبرنى عن هذا المجلس ؟

فقال : ما لفلان ذنب ، ولا لى ، فإن الأمير سأل عن شىء . فأجابه
عنه . فظننته سأل عن شىء آخر .

وقال : قلت لهم : ما لكم على الرجل اعتراض ، فإنه نصرَ ترك التأويل ،
وأنتم تنصرون قول التأويل ، وهما قولان للأشعرى .

وقال : أنا أختار قول ترك التأويل . وأخرج وصيته التى أوصى بها .
وفىها : قول ترك التأويل .

قال الحاكي لى : فقلت له : بلغنى عنك أنك قلت ، فى آخر المجلس ،
لما أشهد الجماعة على أنفسهم بالموافقة : لا تسكتبوا عنى نفيًا ولا إثباتًا .
فلم ذاك ؟

فقال : لوجهين ، أحدهما : أنى لم أحضر قراءة جميع العقيدة فى المجلس
الأول . والثانى : لأن أصحابى طلبونى لينتصروا بى ، فما كان يليق أن
أظهر مخالفتهم ، فسكتُ عن الطائفتين

وأمرتُ غير مرة أن تعاد قراءة العقيدة جميعها على هذا الشيخ ؛
فراى بعض الجماعة أن ذلك يطول ، وأنه لا يُقرأ عليه إلا الموضع الذى
لهم عليه سؤال ، وأعظمه : لفظ « الحقيقة » فقرأوه عليه

وذكر هو بحثًا حسنًا ، يتعلق بدلالة اللفظ ، خُسنته ومدحته عليه
وقلت : لا ريب أن الله حىٌ حقيقةً ، سميع حقيقةً ، بصير حقيقةً
وهذا متفق عليه بين أهل السنة والصفائية ، من جميع الطوائف ، ولو
نازع بعض أهل البدع فى بعض ذلك ، فلا ريب أن الله موجود ،
والخلق موجود . ولفظ « الوجود » سواء كان مقولًا عليهما بطريق
الاشتراك اللفظى فقط ، أو بطريق التواطىء ، المتضمن للاشتراك لفظًا
ومعنى ، أو بالتشكيك ، الذى هو نوع من التواطىء ، فعلى كل قول :
فإن الله موجود حقيقة . والخلق موجود حقيقة . ولا يلزم من إطلاق الاسم

على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذورٌ

ولم أرجح في ذلك المقام قولاً من هذه الثلاثة على الآخر ، لأن
غرضي يحصل على كل مقصود .

وكان مقصودي تقرير ما ذكرته على قول جميع الطوائف ، وأن
أبين اتفاق السلف ومن تبعهم على ما ذكرته وأن أعيان المذاهب
الأربعة ، والأشعري ، وأكابر أصحابه على ما ذكرته

فانه قبل المجلس الثاني ، اجتمع بي من أكابر الشافعية ، والمتسبين
إلى الأشعرية ، والحنفية ، وغيرهم ؛ ممن عظم خوفهم من هذا المجلس ،
وخافوا انتصار الخصوم فيه ، وخافوا على نفوسهم أيضاً من تفرق الكلمة
فلو أظهرت الحجة التي ينتصر بها ما ذكرته ، أولم يكن من أئمة أصحابهم
من يوافقها - : لصارت فرقة ، ولصعب عليهم أن يُظهروا في المجالس العامة
الخروج عن أقوال طوائفهم ، لما في ذلك من تمسك أعدائهم من
أغراضهم . فاذا كان من أئمة مذاهبهم من يقول ذلك ، وقامت الحجة
عليه ، وبأن أنه مذهب السلف ؛ أمكنهم إظهار القول به ، مع ما يعتقدونه
في الباطن من أنه الحق

حتى قال لي بعض الأكابر من الحنفية ، وقد اجتمع بي :

لقلت : هذا مذهب أحمد بن حنبل ، وثبتت على ذلك ؛ لانقطع النزاع .

ومقصوده : أنه يحصل دفع الخصوم عنك بأنه مذهب متبوع ، ويستريح المنتصر والمنازع من إظهار الموافقة .

فقلت : لا والله ، ليس لأحمد بن حنبل بهذا اختصاص ، وإنما هذا اعتقاد سلف الأمة ، وأئمة أهل الحديث .

وقلت أيضا : هذا اعتقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل لفظ ذكرته ، فأنا أذكر به آية أو حديثا ، أو إجماعا سلفيا ، وأذكر من ينقل الإجماع عن السلف ، من جميع طوائف المسلمين : أتباع الفقهاء الأربعة ، والمتكلمين ، وأهل الحديث ، والصوفية .

وقلت لمن خاطبني من أكبر الشافعية : لأبين أن ما ذكرته هو قول السلف ، وقول أئمة أصحاب الشافعي ، وأذكر قول الأشعري ، وأئمة أصحابه التي ترد على هؤلاء الخصوم . ولينتصرون كل شافعي ، وكل من قال بقول الأشعري الموافق لمذهب السلف . وأبين أن القول المحكي عنه في تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له في كلامه ، وإنما هو قول طائفة من أصحابه . فللأشعرية قولان ، ليس للأشعري قولان .

فلما ذكرت في المجلس أن جميع أسماء الله التي يسمى بها المخلوق
كلفظ « الوجود » الذي هو مقولٌ بالحقيقة على الواجب والممكن ، على
الأقوال الثلاثة ، تنازع كبيران : هل هو مقولٌ بالاشتراك ، أو بالتواطىء ؟
فقال أحدهما : هو متواطىء . وقال الآخر : هو مشترك . لثلايلزم
الترتيب .

وقال هذا : قد ذكر في الدين : أن هذا النزاع مبني على أن وجوده .
هل هو عين ماهيته ، أم لا ؟

فمن قال : إن وجود كل شيء عين ماهيته ، قال : إنه مقول
بالاشتراك ، ومن قال : إن وجوده قدر زائد على ماهيته ، قال : إنه
مقولٌ بالتواطىء .

فأخذ الأول يرحج قول من يقول : إن الوجود زائد على أن الماهية .
لينصر أنه مقولٌ بالتواطىء .

فقال الثاني : ليس مذهب الأشعرى وأهل السنة : أن وجوده
عين ماهيته .

فأنكر الأول ذلك

فقلت : أما متكلموا أهل السنة ، فعندهم : أن وجود كل شيء
عين ماهيته . وأما القول الآخر ؛ فهو قول المعتزلة : إن وجود كل شيء

قدر زائد على ماهيته ، وكل منهما أصاب من وجهه ، فإن الصواب .
أن هذه الأسماء مقولة بالتواطىء ، كما قد قررته في غير هذا الموضع

وأجبت عن شبهة التركيب بالجوابين المعروفين

وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته أو ليس
عينها . فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب . فإنا وإن قلنا : إن وجود
الشيء عين ماهيته ، لا يجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى
نظيره الاشتراك اللفظي فقط ، كما في جميع أسماء الأجناس . فإن
اسم « السواد » مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطىء . وليس
عين هذا السواد هو عين هذا السواد ، إذ الاسم دال على القدر المشترك
بينهما ، وهو المطلق الكلي ، لكنه لا يوجد مطلقا كلياً بشرط
الاطلاق إلا في الذهن ، ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين
الأعيان الموجودة في الخارج ، فإنه على ذلك تنتفي الأسماء
المتواطئة ، وهي جمهور الأسماء الموجودة في اللغات . وهي أسماء
الأجناس اللغوية ، وهو الأسم المطلق على الشيء وعلى كل ما أشبهه ،
سواء كان اسم عين ، أو اسم صفة ، جامداً ، أو مشتقا ، وسواء كان
جنساً منطقياً ، أو فقهياً ، أو لم يكن . بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه
الأصناف والأجناس والأنواع ، ونحو ذلك . وكلها أسماء متواطئة ؛ وأعيان

مسمياتها في الخارج متميزة .

وطلب بعضهم إعادة قراءة الأحاديث المذكورة في العقيدة ، ليطعن في بعضها
فعرفت مقصوده .

فقلت: كأنك استعددت للطعن في حديث الأوعال . حديث العباس
ابن عبد المطلب ، وكانوا قد تعنتوا حتى ظفروا بما تكلم به زكي الدين
عبد العظيم ، من قول البخاري في تاريخه : عبد الله بن عميرة ، لا يعرف له
سماع من الأحنف ^(١)

(١) الحديث رواه أبو داود في الباب الثامن عشر من كتاب السنة
قال : حدثنا محمد بن الصباح البزاز ، نا الوليد بن أبي ثور عن سماك بن
حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب
قال : « كنت في البطحاء في عصاة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمرت سحابة - الحديث »

قال في عون المعبود : قال المنذرى : ورواه الترمذى وابن ماجه . وقال
الترمذى : حسن غريب . وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك ، فوقفه . هذا
آخر كلامه . وفي إسناده الوليد بن أبي ثور لا يحتاج بحديثه . اهـ ثم روى
أبو داود عن أحمد بن أبي سريج . انا عبد الرحمن بن عبد الله بن
سعد ومحمد بن سعيد قالوا : أنا عمرو بن أبي قيس عن سماك — بإسناده
ومعناه - حدثنا أحمد بن حفص حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن

فقلت : هذا الحديث — مع أنه رواه أهل السنن . كأبي داود ،
والترمذى ، وابن ماجه ، وغيرهم — فهو مروى من طريقين مشهورين .
فالتدح فى أحدهما لا يقدح فى الآخر .

فقال : أليس مداره على ابن عميرة ، وقد قال البخارى : لا يعرف
له سماع من الأحنف ؟

فقلت : قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة فى كتاب التوحيد الذى
اشتراط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولا إلى
النبي صلى الله عليه وسلم ^(١)

سماك باسناده ومعناه . قال فى عون المعبود : أحمد بن أنى سريج هو أحمد
ابن الصباح بن أنى سريج - بحجم مصغر - الرازى . وثقه النسائى . وهذا سند
قوى جيد الاسناد . وكذا إسناده أحمد بن حفص قوى أيضا . وقال الحافظ
ابن القيم فى تعليقاته على سنن أبى داود : وأما رد الحديث الوليد بن
أبى ثور ففساد . فان الوليد لم ينفرد به ، بل تابعه عليه ابراهيم بن طهمان كلاهما
عن سماك . ومن طريقه رواه أبو داود . ورواه أيضا عمرو بن أبى قيس
عن سماك ه . ورواه ابن ماجه من حديث الوليد بن أبى ثور عن سماك .
وأى ذنب للوليد فى هذا ؟ وأى تعلق عليه ؟ وإنما ذنبه روايته ما يخالف الجمعية .
وهى علته المؤثرة عند القوم انتهى كلامه مختصرا . قلت : وحديث ابراهيم
بن طهمان أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات . والله اعلم اه من عون
المعبود (ج ٤ ص ٣٦٩) ورواه الامام أحمد فى المنسند (ج ١ ص ٢٠٦)
(١) قال الامام محمد بن اسحاق بن خزيمة فى كتاب التوحيد الطبعة المنيرية

قلت : والاثبات مقدم على النفي ، والبخارى إنما نفى معرفته لسماعه من الأحنف ، لم ينف معرفة الناس بهذا ، فاذا عرف غيره — كإمام الأئمة ابن خزيمة — الإسناد ، كانت معرفته وإثباته مقدما على نفي غيره ، وعدم معرفته ، ووافق الجماعة على ذلك .

وأخذ بعض الجماعة يذكرون من المدح مالا يليق أن أحكيه .
وأخذوا يناظرون في أشياء لم تسكن في العقيدة ، ولكن لها تعلق بما أجبت به في مسائل ، ولها تعلق بما قد يفهمونه من العقيدة .
فأحضر بعض أكابرهم كتاب الأسماء والصفات ، للبيهقي فقال :
هذا فيه تأويل الوجه عن السلف .

فقلت : لعلك تعنى قوله تعالى : (فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فُتِمَّ وَجْهُ اللَّهِ ^(١)) ؟
فقال : نعم . قد قال مجاهد والشافعى : يعنى قِبْلَةَ اللَّهِ .

(ص ١٥) : لست أحتج في شيء من صفات خالقي عز وجل إلا بما هو مسطور في الكتاب ، أو منقول عن النبى صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الثابتة الصحيحة . وهذا الحديث رواه ابن خزيمة في باب ذكر استواء خالقنا العلى الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه (ص ٦٨) حدثنا أحمد ابن نصر قال أخبرنا الدشتكى عبد الرحمن بن عبد الله الرازى قال حدثنا عمرو بن أبى قيس عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس الحديث -

(١) سورة البقرة آية (١١٥)

فقلت : نعم . هذا صحيح عن مجاهد ، والشافعي وغيرهما . وهذا حق ، وليست هذه الآية من آيات الصفات ، وَمَنْ عَدَّهَا فِي الصِّفَاتِ فَقَدْ غَلَطَ ، كما فعل طائفة ، فان سياق الكلام يدل على المراد ، حيث قال : (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ) والمشرق والمغرب : الجهات . والوجه : هو الجهة — يقال : أَىَّ وَجْهٍ تريد ؟ — أَىَّ أَىَّ جهة . وأنا أريد هذا الوجه . أَىَّ هذه الجهة — كما قال تعالى : (وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيْهَا) ، ولهذا قال : (فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ) — أَىَّ تستقبلوا وتتوجهوا . والله أعلم

* * *

هذا آخر معلقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة ، بحضرة نائب السلطان والقضاة ، والفقهاء ، وغيرهم ، بالقصر .

[كتاب السلطان بارسال الشيخ إلى مصر]

وفي يوم الاثنين خامس شهر رمضان من سنة خمس وسبعائة وصل كتاب السلطان بالكشف عما كان وقع للشيخ تقي الدين ، في ولاية سيف الدين جاغان ، وفي ولاية القاضي إمام الدين وباحضاره وإحضار القاضي نجم الدين بن صصرى إلى الديار المصرية .

فطلب نائب السلطنة الشيخ وجماعة من الفقهاء ، وسألهم عن تلك الواقعة ، وقرى عليهم المرسوم .

فأجاب كل منهم بما كان عنده من تلك القضية ، وكتبه عنهم صاحب الديوان محي الدين ، والقاضي نجم الدين إلى مصر على البريد ، وخرج مع الشيخ خلق كثير ، وبكوا ، وخافوا عليه من أعدائه . وأخبرت : أن نائب السلطنة كان قد أشار على الشيخ بترك التوجه إلى مصر ، وأنه يكاتب في ذلك . فامتنع الشيخ من ذلك ، ولم يقبل . وذكر أن في توجهه إلى مصر مصالح كثيرة .

* * *

وقرأت بخط بعض أصحاب الشيخ ، قال : ولما توجه الشيخ في اليوم الذي توجه فيه من دمشق المحروسة ، كان يوماً مشهوداً ، غريب المثل ، في كثرة ازدحام الناس لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره إلى قريب للجسورة — فيما بين دمشق والكسوة — التي هي أول منزلة منها ، وهم ما بين بالك وحزين ، ومتعجب ومتنزه ، ومُزاحم متغال فيه . ودخل الشيخ مدينة غزة يوم السبت ، وعمل في جامعها مجلساً عظيماً .

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضي

إلى القاهرة .

وفي ثانی يوم بعد صلاة الجمعة ، جمع القضاة ، وأكابر الدولة بالقلعة لمُحْفِلٍ . وأراد الشيخ أن يتكلم ، فلم يُمكن من البحث والكلام على عادته ، وانتدب له الشمس ابن عدلان خصما ، احتسابا . وادّعى عليه القاضي ابن مخلوف المالكي أنه يقول :

إن الله فوق العرش حقيقة ، وإن الله يتكلم بحرف وصوت ، وسأل جوابه .

فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه

فقيل له : أجب . ماجئنا بك لتخطب .

فقال : ومن الحاكم في ؟

فقيل له : القاضي المالكي

قال : كيف يحكم في وهو خصمي ؟

وغضب غضباً شديداً ، وانزعج .

فاقيم مُرسماً عليه . وحبس في برج أياما

ثم نقل منه ليلة عيد الفطر إلى الحبس المعروف بالجُبِّ هو وأخواه :

شرف الدين عبد الله ، وزين الدين عبد الرحمن

ثم إن نائب السلطنة — سيف الدين سالرا — بعد أكثر من سنة

وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعائة أحضر القضاة الثلاثة :
الشافعي ، والمالكي ، والحنفي . ومن الفقهاء : الباجي ، والجزري ،
والنراوى . وتكلم في إخراج الشيخ من الحبس .
فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور ، ويلزم بالرجوع عن بعض
العميدة .

فأرسلوا إليه من يحضره ليمتكموا معه في ذلك . فلم يجب إلى الحضور .
وتكرر الرسول إليه في ذلك مرات . وصمم على عدم الحضور .
فطال عليهم المجلس ، وانصرفوا عن غير شيء .

[إرسال الشيخ كتابا من سجنه الى دمشق]

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذى الحجة من سنة ست وسبعائة ،
أخبر نائب السلطنة بدمشق ، بوصول كتاب إليه من الشيخ تقي الدين
من الحب ، وأعلم بذلك جماعة ممن حضر مجلسه . وأثنى عليه ، وقال : ما
رأيت مثله ، ولا أشجع منه .

وذكر ما هو عليه في السجن : من التوجه إلى الله تعالى ، وأنه لم
يقبل شيئا من الكسوة السلطانية ، ولا من الادرار السلطاني ، ولا
تدنس بشيء من ذلك .

وفي هذا الشهر أيضا - شهر ذى الحجة - في يوم الخميس اليوم السابع والعشرين منه طُلب أخو الشيخ تقي الدين : شرف الدين عبد الله ، وزين الدين عبد الرحمن - إلى مجلس نائب السلطنة سلا، وحضر القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي ، وجرى بينهم كلام كثير ، وأعيدا إلى موضعهما ، بعد أن بحث الشيخ شرف الدين مع القاضي المالكي ، وظهر عليه في النقل والمعرفة ، وخطأه في مواضع ادّعى فيها الاجماع . وكان الكلام في مسألة العرش ، وفي مسألة الكلام . وفي مسألة النزول .

وفي يوم الجمعة ثاني اليوم المذكور أُحضِرَ الشيخُ شرف الدين وحده إلى مجلس نائب السلطنة ، وحضر ابن عدلان ، وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره ، وبحث معه ، وظهر عليه .

وفي اليوم الرابع والعشرين من صفر من سنة سبع وسبعمائة اجتمع القاضي بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين في دار الأوحدي بالقلعة ، بُكَرَةَ الجمعة ، وتفرقا قبل الصلاة . وطال بينهما الكلام

[اخراج ابن مهنا الشيخ من الحب]

وفي شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائة دخل الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب إلى مصر ، وحضر بنفسه إلى الحب .

فأخرج الشيخ تقي الدين بعد أن استأذن في ذلك . فخرج يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر إلى دار نائب السلطنة بالقلعة . وحضر بعض الفقهاء . وحصل بينهم بحث كثير . وفرقت صلاة الجمعة بينهم . ثم اجتمعوا إلى المغرب . ولم ينفصل الأمر .

ثم اجتمعوا يوم الأحد بعد يومين بمرسوم السلطان مجموع النهار . وحضر جماعة أكثر من الأولين : حضر نجم الدين بن الرفعة ، وعلاء الدين الباجي ، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد ، وعز الدين النمراوى ، وشمس الدين بن عدلان ، وجماعة من الفقهاء . ولم يحضر القضاة . وطلبوا . فاعتذر بعضهم بالمرض ، وبعضهم بغيره ، وقبل عذرهم نائب السلطنة . ولم يكلفهم الحضور ، بعد أن رسم السلطان بحضورهم وانفصل المجلس على خير .

وبات الشيخ عند نائب السلطنة .

وكتب كتابا إلى دمشق بكرة الاثنين السادس والعشرين من الشهر يتضمن خروجه ، وأنه أقام بدار ابن شقير بالقاهرة . وأن الأمير سيف الدين سلار رسم بتأخيره عن مدة مقام الشيخ في الجب ثمانية عشر شهرا .

ففرح خلق كثير بخروجه ، وسروا بذلك سرورا عظيما ، وحزن آخرون وغضبوا

وامتدحه الشيخ الإمام نجم الدين سليمان بن عبد القوي بقصيدة .

منها :

فاصبر ، ففى الصبر ما يغنيك عن حيل
وكلُّ صعب إذا صابرته هانا
ولست تعلم من خطب رُميت به
إحدى اثنتين ، فأيقن ذاك إيقانا :

تمحيص ذنب ، لتلقى الله خالصة أو امتحانا به تزداد قربانا
يا سعد ، إنا لنرجو أن تكون لنا سعدا ، ومرعاك للوراد سعدانا
وَأَنْ يَضُرَّكَ الرَّحْمَنُ طَائِفَةً وَلَّتْ ، وينفع مَنْ بالودِّ والانا
يا أهل تيمية العالين مرتبة ومنصبا فرع الافلاك تبياننا
جواهر الكون أنتم ، غير أنكم فى معشر أشربوا فى العقل نقصانا
لا يعرفون لكم فضلا ، ولو عقلوا لصيروا لكم الأجفان أوطانا
يا من حوى من علوم الخلق ما قصرت عنه الأوائل مذكروا إلى الآنا
إِنْ تُبْتَلَى بِلثَامِ النَّاسِ يَرْفَعُهُمْ دهر عليك لأهل الفضل قد خاننا^(١)

(١) بهامش الأصل : قوله « يرفعهم دهر ، الخ » فى كلامه نظر . ففى الصحيح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال « قال الله تعالى : يؤذنى ابن آدم ، يسب الدهر . وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار » وفى رواية « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » اهكذا فى المنقول عنه .

إني لأقسم ، والاسلام معتقدي ، وإنني من ذوى الايمان : أيما نا :
لم ألق قبلك إنسانا أُسرّبه فلا برحت لعين المجد إنسانا
في أبيات كثيرة غير هذه ، يمدح فيها الشيخ ويذم أعداءه .

وفي يوم الجمعة صلى الشيخ في جامع الحاكم . وجلس . فاجتمع
إليه خلق عظيم . وسأله بعضهم أن يتكلم بشيء يسمعون منه . فلم يجبههم
إلى ذلك بل كان يتبسم ، وينظر يمينه ويسرة

فقال له رجل : قال الله في كتابه الكريم (وإذ أخذ الله ميثاق
الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)

فنهض الشيخ قائماً . وابتدأ بخطبة الحاجة : خطبة ابن مسعود
رضي الله عنه ، ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقرأ
(بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك
يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين
أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

وتكلم على تفسير قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وفي معنى
العبادة ، والاستعانة إلى أن أذن مؤذن العصر .

وفي يوم الخميس السادس من شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعائة
عقد للشيخ مجلس آخر بالمدرسة الصالحية بالقاهرة . واجتمع فيه القضاة
وغيرهم .

وكان مما جرى في المجلس - فيما بلغني - أنه قيل للشيخ : نستغفر الله
العظيم ، ونتوب إليه

فقال الشيخ : كلنا نستغفر الله العظيم ، ونتوب إليه
والتفت إلى رجل منهم . فقال له : استغفر الله العظيم وتُوبُ إليه
فقال : أستغفر الله العظيم وأتوب إليه . وكذلك قال لآخر ، ولآخر
وكلهم يقول كذلك

فقيل للشيخ : تب إلى الله عز وجل من كذا وكذا - وذُكر له كلام
فقال : إن كنت قلت كلاما يستوجب التوبة فأنا تائب منه .
فقال له قائل : هذه ليست توبة

فرد عليه الشيخ ، وجهله

ووقع كلام يطول ذكره

ووصل كتاب الشيخ مؤرخا بليلة الجمعة الرابع عشر من الشهر ،
يذكر فيه أنه عُقد له مجلس ثالث بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ، بعد خروج
مُهْنًا في يوم الخميس سادس الشهر ، وأنه حصل فيه خير ، وأن في
إقامته مصالح وفوائد .

[كتاب الشيخ إلى والدته وإلى غيرها]

وقد وقفت على عدة كتب بخط الشيخ، بعثها من مصر إلى والدته ،
وإلى أخيه لأمه : بدر الدين ، وإلى غيرها
منها كتاب إلى والدته يقول فيه :

من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة ، أقر الله عينها بنعمه ،
وأسبغ عليها جزيل كرمه ، وجعلها من خيار إمامته وخدمته
سلام عليكم ، ورحمة الله وبركاته

فإننا نحمد إياكم الله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على
كل شيء قدير . ونسأله أن يُصليَ على خاتم النبیین ، وإمام المتقين ، محمد
عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما .

كتابى إياكم عن نعم من الله عظيمة ، ومنن كريمة ، وآلاء جسيمة
نشكر الله عليها ، ونسأله المزيد من فضله . ونعم الله كلما جاءت في أموري
وازدیاد ، وأياديه جأت عن التعداد

وتعلمون أن مقامنا الساعة في هذه البلاد ، إنما هو لأمر ضروري
متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا . واسئنا والله مختارين للبعد عنكم ،
ولو حملتنا الطيور أسرنا إياكم ، ولكن الغائب عذره معه ، وأنتم لو اطعتم
(١٧ — العقود الدرية)

على باطن الأمور ، فانكم - والله الحمد - ماتخترون الساعة إلا ذلك ، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا ، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم ، وادعوا لنا بالخير ، فנסأل الله العظيم أن يخير لنا ولكم والمسلمين ، مافيه الخير ، في خير وعافية

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة ، والهداية والبركة ، ما لم يكن يخطر بالبال ، ولا يدور في الخيال ، ونحن في كل وقت مهمومون بالسفر ، مستخIRON الله سبحانه وتعالى . فلا يظن الظأن أننا نُؤثر على قربكم شيئا من أمور الدنيا قط . بل ولا نُؤثر من أمور الدين ، ما يكون قربكم أرجح منه ، ولكن ثم أمور كبار ، نخاف الضرر الخاص والعام من إهمالها . والشاهد يرى ما لا يرى الغائب .

والمطلوب ، كثرة الدعاء بالخير ، فان الله يعلم ، ولا نعلم ، ويقدر ولا تقدر ، وهو علام الغيوب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من سعادة ابن آدم استخارته الله ، ورضاه بما يقسم الله له ، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارته الله ، وسخطه بما يقسم الله له ^(١) » والتاجر يكون

(١) رواه الترمذى عن سعد بن أبي وقاص . وقال الترمذى . حديث غريب لا نعرفه الا من حديث محمد بن أنى حميد . وليس بالقوى عند أهل الحديث . ورواه الامام أحمد ، ابو يعلى بلفظ « من سعادة ابن آدم استخارته الله عز وجل » والحاكم وزاد « ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله » وقال : انه صحيح الاسناد .

مسافرا فيخاف صَيَاعُ بعض ماله ، فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه .
وما نحن فيه أمرٌ يَجِلُّ عن الوصف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والسلام عليكم ، ورحمة الله وبركاته ، كثيراً ، كثيراً . وعلى سائر من
في البيت من الكبار والصغار ، وسائر الجيران ، والأهل والأصحاب
واحداً ، واحداً .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

[كتاب آخر للشيخ بعثه من مصر إلى دمشق]

ومنها كتاب ، قال فيه : بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على نبيه
صلى الله عليه وسلم

أما بعد . فإن الله — وله الحمد — قد أنعم على من نعمه العظيمة ومنه
الجسيمة ، وآلائه السكرية ، ما هو مستوجب لعظيم الشكر ، والثبات على
الطاعة ، واعتقاد حسن الصبر ، على فعل المأمور . والعبد مأمور بالصبر في السراء
أعظم من الصبر في الضراء قال تعالى (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ،
مُمْرِزًا غَنَاهُ مِنْهُ ، إِنَّهُ لَيَمُوسُ كُفُورًا . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ
مَسْتَهْزِئَةٍ لَيَقُولَنَّ : ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ، إنه لفرح فخور . إلا الذين

صَبَرُوا ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ^(١))
وتعلمون ، أن الله سبحانه من في هذه القضية من المِنَنِ التي فيها من
أسباب نصر دينه . وعلو كلمته ، ونصر جنده ، وعِزَّة أوليائه ،
وقُوَّة أهل السنة والجماعة ، وذُلُّ أهل البدعة والفرقة . وتقرير ما قرَّر
عندكم من السنة ، وزيادات على ذلك بافتتاح أبواب من الهدى والنصر ،
والدلائل ، وظهور الحق ، لأُمِّ لا يُحصى عددهم إلا الله تعالى ، وإقبال
الخلائق إلى سبيل السنة والجماعة ، وغير ذلك من المنن ، مالا بد معه
من عظيم الشكر ، ومن الصبر ، وإن كان صبراً في سرِّاء

وتعلمون أن من القواعد العظيمة ، التي هي من جماع الدين :
تأليف القلوب ، واجتماع الكلمة ، وصلاح ذات البين ، فإن الله تعالى
يقول : (فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ^(٢))) ويقول : (وَاعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ^(٣))) ويقول : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

(١) سورة هود الآيات (٩ ، ١٠ ، ١١)

(٢) سورة الأنفال الآية الأولى

(٣) سورة آل عمران آية (١٠٣)

تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْمَدِينَاتُ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(١)
وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف ، وتنهى
عن الفرقة والاختلاف .

وأهل هذا الأصل : هم أهل الجماعة ، كما أن الخارجين عنه ، هم
أهل الفرقة .

وجامع السنة : طاعة الرسول . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة « إن
الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا
بجبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولأه الله أموركم » .
وفى السنن من حديث زيد بن ثابت وابن مسعود — فقيهى
الصحابة — عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « نَضَرَ اللهُ امراً
سَمِعَ مِنَّا حديثاً فَبَاقَهُ إِلَى مَرٍ لَمْ يَسْمَعْهُ ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ
فَقِيهِ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ . ثَلَاثٌ لَا يَفْعَلُ عَلَيْهِنَّ
قَلْبُ مُسْلِمٍ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَمُنَاصَحَةُ وَلَاةِ الْأَمْرِ . وَلِزُومُ جَمَاعَةِ
الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ دَعَوْهُمْ تُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ »^(٢)

(١) سورة آل عمران آية (١٠٥)

(٢) ذكره الحافظ عبد العظيم المندرى فى باب الترغيب فى الاخلاص

وقوله « لا يغفل » أى لا يحقد عليهن . فلا يبغيض هذه الخصال قلب المسلم ، بل يُحِبُّهُنَّ ، ويرضاهن .

وأول ما أبدأ به من هذا الأصل : ما يتعلق بى ، فتعلمون — رضى الله عنكم — أنى لأحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين — فضلا عن أصحابنا — بشىء أصلا ، لا باطنا ولا ظاهرا ، ولا عندى عتب على أحد منهم . ولا لوم أصلا ، بل لهم عندى من الكرامة ، والاحترام والحب ، والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان ، كل بحسبه ، ولا يخلو أرجل . إما أن يكون مجتهدا مصيبا ، أو مخطئا ، أو مذنبا . فالأول : مأجور مشكور . والثانى مع أجره على الاجتهاد : مغمور عنه ، مغفور له . والثالث : فالله يغفر لنا وله ، ولسائر المؤمنين .

فنطوى بساط الكلام المخالف لهذا الأصل

عن أبى سعيد الخدرى . ثم قال : رواه البزار باسناد حسن ، ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث زيد بن ثابت ، ويأتى فى باب سماع الحديث إن شاء الله . وقد روى هذا الحديث أيضا عن ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، والنعمان بن بشير ، وجبير بن مطعم ، وأبى الدرداء ، وأبى قرصافة جندرة بن خيشنة وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم وبعض أسانيدهم صحيح .

كقول القائل : فلان قصر ، فلان ماعمل ، فلان أودى الشيخ بسببه ،
فلان كان سبب هذه القضية ، فلان كان يتكلم في كيد فلان . ونحو هذه
الكلمات ، التي فيها مذمة لبعض الأصحاب ، والاخوان . فإني لا أسامح
من آذاهم ، من هذا الباب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

بل مثل هذا يعود على قائله باللام ، إلا أن يكون له من حسنة
ومن يغفر الله له إن شاء . وقد عفا الله عما سلف .

وتعلمون أيضا : أن ما يجري من نوع تغليظ ، أو تخشين على بعض
الأصحاب والاخوان : ما كان يجري بدمشق ، ومما جرى الآن بمصر ،
فليس ذلك غصاصة ولا نقصا في حق صاحبه ، ولا حصل بسبب ذلك
تغير منا ، ولا بغض . بل هو بعد ما عومل به من التغليظ والتخشين ،
أرفع قدرا ، وأنبه ذكرا ، وأحب وأعظم ، وإنما هذه الأمور هي من
مصالح المؤمنين ، التي يصلح الله بها بعضهم ببعض ، فإن المؤمن للمؤمن
كاليدين ، تغسل إحداها الأخرى . وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من
الحشونة ، لكن ذلك يوجب من النظافة ، والنعمومة ، ما تحمد معه
ذلك التخشين .

وتعلمون : أنا جميعا ، متعاونون على البر والتقوى ، واجب علينا

نصر بعضنا بعضاً ، أعظم مما كان ، وأشدّ . فمن رام أن يؤذى بعض الأصحاب ، أو الاخوان ، لما قد يظنه من نوع تخشين — عومل به بدمشق ، أو بمصر الساعة ، أو غير ذلك — : فهو الغالط .

وكذلك ، من ظن أن المؤمنين يبخلون عما أمروا به من التعاون والتناصر ، فقد ظن ظنّ سوء (وان الظن لا يُغنى من الحق شيئاً) وما غاب عنا أحد من الجماعة ، أو قدم إلينا الساعة ، أو قبل الساعة ، إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت ، وأجلّ ، وأرفع .

وتعلمون — رضى الله عنكم — : أن ما دون هذه القضية من الحوادث يقع فيها من اجتهاد الآراء ، واختلاف الأهواء وتنوع أحوال أهل الإيمان ، وما لا بد منه — من نزغات الشيطان — ما لا يتصوّر أن يُعرى عنه نوع الإنسان . وقد قال تعالى : (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَاهِلًا . لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ^(١)) بل أنا أقول ما هو أبلغ من ذلك — تنبيهها بالأدنى على الأعلى ، وبالأقصى على الأدنى — فأقول :

تعلمون كثرة ما وقع في هذه القضية من الأكاذيب المفتراة والأغاليط المظنونة ، والأهواء الفاسدة ، وأن ذلك أمر يحلّ عن

الوصف . وكل ما قيل : من كذب وزور ، فهو في حقنا خيرٌ ونعمة .
قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خيرٌ لكم . لِكُلِّ امرئٍ منهم ما اكتسب من الأثم ،
والذى تولى كبرُهم له عذاب عظيم)
وقد أظهر الله من نور الحق وبرهانه ، ما ردَّ به إفك الكاذب .
وبهتانه .

فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه على ، أو ظلمه وعدوانه ،
فانى قد أحلت كل مسلم . وأنا أحب الخير لكل المسلمين ، وأريد
كل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسى .

والدين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهى .
وأما ما يتعلق بحقوق الله ، فإن تابوا أتاب الله عليهم ، وإلا لحكم الله نافذ
فيهم ، فلو كان الرجل مشكوراً على سوء عمله ، لكنت أشكر كل من
كان سببا في هذه القضية ، لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة ،
لكن الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه ، وأياديه التى لا يقضى
للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له .

وأهل القصد الصالح يشكرون على قصدهم ، وأهل العمل الصالح
يشكرون على عملهم ، وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم

وأنتم تعلمون هذا من خلقى . والأمر أزيد مما كان وأؤكد، لكن حقوق الناس بعضهم مع بعض ، وحقوق الله عليهم ، هم فيها تحت حكم الله . وأنتم تعلمون أن الصديق الأكبر في قضية الأفك ، التي أنزل الله فيها القرآن ، حلف لا يصلُ مُسطحَ بن أُنائثة ، لأنه كان من الخائضين في الأفك . فأنزل الله تعالى : (ولا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ؟ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(١) . فلما نزلت قال أبو بكر : بلى ، والله إنى لأحب أن يغفر الله لى . فأعاد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق^(٢) »

ومع ما ذكر من العفو والاحسان ، وأمثاله ، وأضعافه ، والجهاد على ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة أمر لا يد منه (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ

(١) سورة النور آية (٢٢)

(٢) رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله

عنها في حديث الافك الطويل

ورسوله ، والذين آمنوا ، فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (١)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما .
وقد بعث الشيخ رحمه الله الى أقاربه وأصحابه بدمشق كتباً غير هذه .

[شكوى الصوفية الشيخ إلى السلطان وأمره بحبسهم]

ولم يزل بمصر يُعلم الناس ، ويُفتيهم ، ويُذكر بالله ويدعو إليه ،
ويتكلم في الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة
إلى العصر ، إلى أن ضاق منه وانحصر ، واجتمع خلق كثير من أهل
الخوانق والرُّبُط والزَّوَايا . واتفقوا على أن يشكو الشيخ إلى السلطان
فطلع منهم خلق إلى القلعة . وكان منهم خلق تحت القلعة ، فكانت
لهم ضجّة شديدة ، حتى قال السلطان : ما هؤلاء ؟

ف قيل له . هؤلاء كلهم قد جاءوا من أجل الشيخ تقي الدين بن تيمية ،
يشكون منه ، ويقولون : إنه يسبُّ مشايخهم ، ويضع من قدرهم عند الناس ،
واستغاثوا منه وأجلبوا عليه ، ودخلوا على الأمراء في أمره ، ولم يُبقوا ممكنا
وكان بعض الناس يأتون إلى الشيخ فيقولون له : إن الناس قد جمعوا
لك جمعا كثيرا

فيقول : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وأمر من يعقد له مجلسا بدار العدل .

فبعد له مجلس يوم الثلاثاء في العشر الأول من شوال ، من سنة سبع وسبعائة . وظهر في ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته ، وقوة قلبه ، وصدق توكله ، وبيان حجته ، ما يتجاوز الوصف . وكان وقتا مشهودا ، ومجلسا عظيما .

وقال له كبير من المخالفين : من أين لك هذا ؟

فقال له الشيخ : من أين لاتعلمه .

وذكر بعض من حضر ذلك المجلس : أن الناس لما تفرقوا منه قام الشيخ ومعه جماعة من أصحابه .

قال : فجاء وجئت معه إلى موضع - ذكره - في دار العدل .

قال : فلما جاسنا استلقى الشيخ على ظهره ، وكان هناك حمر لأجل تثقيب الحصى ، فأخذه ووضعته تحت رأسه ، فاضطجع قليلا . ثم جالس وقال له إنسان : ياسيدي قد أكثر الناس عليك .

فقال إنهم إلا كالذباب . ورفع كفه إلى فيه ونفخ فيه .

قال : وقام ، وقمنا معه ، حتى خرجنا . فأتى بحصان ، فركبه ويحتل بذؤابته . فلم أر أحدا أقوى قلبا ، ولا أشد بأسا منه .

قال : فلما أ كثروا الشكاية منه والملام ، وأوسعوا من أجله الكلام .
رُسم بتسفيره إلى بلاد الشام .

فخرج للسفر ليلة الخميس ثاني عشر الشهر إلى جهة الشام ، ثم رُدَّ في
يوم الخميس المذكور . وحُبس بسجن الحاكم بحارة الديلم ، في ليلة الجمعة
تاسع عشر شوال .

قال : ولما دخل الحبس وجد المحاييس مشتغلين بأنواع من اللعب ،
يلتهون بها عمّا هم فيه ، كالشطرنج والنرد ، ونحو ذلك من تضييع الصلوات .
فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشد الإنكار ، وأمرهم بملازمة الصلاة ، والتوجه
إلى الله بالأعمال الصالحة ، والتسبيح ، والاستغفار ، والدعاء ، وعلمهم من
السنة ما يحتاجون إليه : ورغبهم في أعمال الخير ، وحضّمهم على ذلك .
حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيرا من الزوايا
والرُّبَط ، والخوانق والمدارس . وصار خلق من المحاييس إذا أُطْلِقُوا
يختارون الإقامة عنده . وكثر المترددون إليه ، حتى كان السجن
يتملأ منهم .

فلما كثرت اجتماع الناس به . وترددهم إليه ساء ذلك أعداءه ،
وحَصرت صدورهم . فسأنوا نقله إلى الاسكندرية ، وظنوا أن قلوب
أهلها عن محبته عريّة . وأرادوا أن يبعد عنهم خبره . أو أعاهم يقتلونه
فينقطع أثره .

فأرسل به إلى ثغر الاسكندرية ، في ليلة يسفر صباحها عن يوم
الجمعة سلخ صفر من سنة تسع وسبعمئة

(ماذكره البرزالي في حبس الشيخ بالاسكندرية)

وذكر الشيخ البرزالي وغيره : أن في شهر شوال من سنة سبع
وسبعمئة . شكا شيخ الصوفية بالقاهرة — كريم الدين الابلي ، وابن
عطاء ، وجماعة نحو الخمسمئة — من الشيخ تقي الدين ، وكلامه في ابن
عربي وغيره : إلى الدولة

فردَّ الأمرُ في ذلك إلى القاضي الشافعي

وعقد له مجلس وادَّعى عليه ان عطاء بأشياء لم يثبت شيء منها ،
لكنه قال : لا يستغاث إلا بالله . حتى لا يستغاث بالنبي صلى الله
وسلم استغاثه — بمعنى العبادة — ولكنه يتوسل به ، ويتشفع به إلى الله
فبعض الحاضرين قال : ليس في هذا شيء

ورأى قاضي القضاة : بدر الدين ، أن هذا فيه قلة أدب
فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة في
ذلك . فقال القاضي : قد قلت له ما يقال لمثله .

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء وهي : الإقامة بدمشق ، أو الاسكندرية
بشروط ، أو الحبس . فاختار الحبس .

فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزما ما شرط . فأجابهم
فاركبهم خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال .
ثم أرسل خلفه من الغد بريدا آخر فردّه . وحضر عند قاضي
القضاة بحضور جماعة من الفقهاء

فقال بعضهم له : ما ترضى الدولة إلا بالحبس

وقال قاضي القضاة : وفيه مصلحة له

واستتاب شمس الدين التونسي المالكى وأذن له أن يحكم عليه . فتخير .

فقال الشيخ : أنا أمضى إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة .

فقال نور الدين المأذون له في الحكم : فيكون في موضع يصلح لمثله

فقيل له : ما ترضى الدولة إلا بسمى الحبس . فأرسل إلى حبس

القاضي ، وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت

الأعز ، لما حبس ، وأذن أن يكون عنده من يخدمه .

وكان جميع ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجي ووجاهته في الدولة

واستمر الشيخ في الحبس يُستفتى ويقصده الناس ويزورونه ، وتأتيه

الفتاوى المشككة من الأمراء وأعيان الناس .

قال علم الدين : وفي ليلة الأربعاء ، العشرين من شوال من سنة

ثمان وسبعمائة . طلب أخوا الشيخ تقي الدين . فوجد زين الدين وعنده

جماعة . فرسم عليهم . ولم يوجد شرف الدين ، ثم أطلق الجماعة سوى زين الدين . فانه حمل إلى المكان الذى فيه الشيخ . وهو قاعة الترسيم بالقاهرة . ثم إنه أخرج فى خامس صفر سنة تسع وسبعمائة .

قال : وفى الليلة الأخيرة من شهر صفر هذا ، وهى ليلة الجمعة توجه الشيخ تقي الدين من القاهرة إلى الاسكندرية ، مع أمير مقدم ولم يمكن أحد من جماعته من السفر معه .

ووصل هذا الخبر إلى دمشق بعد عشرة أيام ، فحصل التألم لأصحابه ومحبيه ، وضائق الصدور وبضائف الدعاء له .

وبلغنا : أن دخوله الاسكندرية كان يوم الأحد . دخل من باب الخوخة إلى دار السلطان . ونقل ليلاً إلى برج فى شرق البلد . ثم وصلت الأخبار : أن جماعة من أصحابه توجهوا إليه بعد ذلك . وصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه ، ويتحدثون معه . وكان الموضوع الذى هو فيه فسيحاً متسعاً .

[كتاب الشيخ شرف الدين]

إلى أخيه بدر الدين]

وقد رأيت كتاباً بخط الشيخ شرف الدين كتبه إلى أخيه بدر الدين

بعد توجه الشيخ إلى الاسكندرية . يقول فيه :

من أخيه عبد الله بن تيمية .

سلام الله ورحمته وبركاته على الشيخ الامام العالم الجليل الكبير
بدر الدين ، والى الله عليه آلاءه وأتبعها ، وأسبغ عليه نعمه ونوعها ،
ومنحه مننه وأينعها . وأيده بالقوة والتأييد ، لأقامة الحق على القريب
والبعيد . غير مقصّر ولا وان ، ولا مُفتر ولا متوان . بالرأى السديد ،
والعزم الوكيد . وجمعنا وإياه فى هذه الدار على طاعته ، وفى دار القرار
فى دار كرامته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين أهل ولايته ، إنه ذو الفضل العظيم ، والمنّ الجسيم ،
والطول العميم .

أما بعد . فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وهو للحمد
أهل ، وهو على كل شىء قدير . وأصلى على سيد ولد آدم ، وخير خلق
الله أجمعين ، وسيد رسل رب العالمين : إلى الأسود ، والأحمر ، والجن
والانس . بشيرا للمؤمنين ، ونذيرا للكافرين . أتمم الصلاة وأفضلها ،
وأشرفها وأكملها ، دائمة إلى يوم الدين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا .

وبعد . فنحن والجماعة فى نعم الله السكاملة . ومننه الشاملة ، التى
تقوت العبد والإحصاء . وتعجز العقول عن تصورها ودركها ، وتُحصَر
(١٨ - العقود الفرية)

الأسن عن نعمتها ووصفها ، فضلا عن كتابتها . فنسأل الله العظيم أن يُوزَّعَنا شكرَها . وأن يديمها علينا وعلى جميع الاخوان والمؤمنين . إنه الجواد الكريم .

فمنها : نزول الأخ الكريم بالثغر المحروس . فان أعداء الله قصدوا بذلك أمورا ، يكيدون بها الاسلام وأهله . وظنوا أن ذلك يحصل عن قريب . فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة المعلومة ، وانعكست من كل الوجوه ، وأصبحوا وما زالوا عند الله وعند العارفين من المؤمنين سود الوجوه . يتقطَّعون حشرات وندما على ما فعلوه . وأقبل أهل الثغر أجمعون إلى الأخ ، متقبلين لما يذكره وينشره ، من كتاب الله وسنة رسوله والخط والوقية في أعدائهما من أهل البدع والضلالات ، والكفر والجهالات ، خصوصا أخبث الملاحدة والاتحادية ، ثم الجهمية .

واتفق أنه وجد بها إبليس إلحادهم ، قد باض وفرَّخ ، ونصب بها عرشه ودَوَّخ ، وأضلَّ بها فريق السبعينية والعربية^(١) ، فمزَّق الله بها بقدمه الثغر جموعهم ، شَذَرَ مَذَرَ ، وهتك أستارهم وكشف رمزهم^(٢) إلحاد والكفر وأسرارهم وفضحهم ، واستتاب جماعات منهم ، وتوب رئيسا من رؤسائهم ، وإن كان عند عباد الله للمؤمنين حقيرا ، وصنَّف هذا

(١) نسبه الى ابن سبعين وابن عرى

(٢) كذا بالاصل . ولعل صحه العبارة : وكشف رمزهم في إلحادهم ،

وهتك أسرارهم

التائب كتابا في كشف كفرهم وإلحادهم ، وكان من خواص خواص
 اللعين عدو الله ورسوله نصير الملحدين ^(١) ، واشتهر ذلك واستقر عند
 عموم المؤمنين . وخواصهم ، من أمير وقاض ، وفقه ومفتٍ وشيخ ،
 وعموم المجاهدين ، إلامن شد من الأنهار الجبال ، مع الذلة والصغار ،
 حذرا على نفسه من أيدي المؤمنين وألسنتهم ، وعلت كلمة الله بها
 على أعداء الله ورسوله ، وأعنوا لعنا ظاهرا في مجامع الناس بالاسم الخاص .
 وصار بذلك عند نصير الملحدين المقيم المقعد ، ونزل به من الخوف
 والذل ما لا يعبر عنه ، وهم أن يكيد كيدا آخر ، فوقع ماوقع عندكم
 بالشام من الأمر المزعج ، والكرب المقلق ، والبلاء العظيم والذل ،
 واستعطاف من كانوا لا يلتفتون إليه بالأموال والأتقس ، والتذال ،
 حتى رق بعض الأصحاب لهم ، فزجر عن ذلك . وقيل له (ولا تأخذكم
 بهم رأفة في دين الله) . إلى أمور كثيرة من الحن والبلاء ، مما لا يمكن
 وصفه ، فنسأل الله العظيم أن يعجل تمام النعمة ^(٢) عليهم ، وأن يقطع
 دابرهم ، وأن يريح عباده وبلاده منهم ، وأن ينصر دينه وكتابه ورسوله
 وعباده عليهم ، وأن يوزعنا شكر هذه النعمة ، وأن يتبها علينا . وعلى
 سائر المؤمنين .

(١) هو نصر المنيجي الاتحادي

(٢) كان بدله في الأصل النعمة

وغير خاف عنك سيرتنا :

إذا أعجبتك خصال امرئ * فكُنْهُ يكن ^(١) ما يعجبك

فليس لدى المجد والمكرما * ت إذا جئتُها حاجب يحجبك

فأسأل الله العظيم ، أن يعينك ويُمدِّك ، ويؤيدك بروح منه ،
وأن يُقرَّبَكَ أعين المؤمنين ، وأن يخزى بك الكفار والمنافقين ، وأن
يوفقك لما يحبُّه ويرضاه ، وأن يتولاك في جميع الأمور ، ويعينك على
القيام فيها بما يرضى الله ورسوله .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وعلى السعيدة الكريمة
الطيبة التي رضى الله عنها وأرضاها ، وجعل بعد اجتماعنا بها الجنة دارها
ومأواها ، وأراها وجهه الكريم في دار النعيم : الوالدة التي منحها الله
تعالى — في آخر عمرها — هذه الكرامة العظيمة ، والمنزلة الرفيعة ،
والدرجة العالية ، وأكملُ السلام وأتمناه .

وعلى جميع الأهل والايوان ، والأصحاب والمعارف والجيران ،
كبيرهم وصغيرهم ، قريبهم وبعيدهم ، كل فرد فرد له السلام .

(١) بهامش الأصل : لعله « يكن منه » أو « فيه » أو ما يقاربه .

أبو اسمعيل يوسف حسين عني عنه

وغير خاف عنهم العجز عن حصرهم .

فالله تعالى يرضى عن جميعهم ، ويجمعنا وإياهم — بعد نصر دين الله
ورسوله — على ما يحبه ويرضاه .

وكتب والخاطر مشغول بأمر المسلمين ، لحدوث أمر يذكره لكم
الشيخ عبد الله .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما .

قلت : بقى الشيخ بغير الاسكندرية ثمانية أشهر ، مقيا ببرج مليح
نظيف ، له شبا كان : أحدهما إلى جهة البحر ، يدخل إليه من شاء ،
ويتردد إليه الأكابر والأعيان ، والفقهاء يقرأون عليه ويبحثون معه ،
ويستفيدون منه .

[احضار الشيخ من سجن الاسكندرية]

إلى القاهرة

فلما دخل السلطان الناصر إلى مصر بعد خروجه من الكرك ،
وقدومه إلى دمشق ، وتوجه منها إلى مصر — وكان قدومه إليها يوم
عيد الفطر ، من سنة تسع وسبعائة — نفذ لإحضار الشيخ من
الاسكندرية في اليوم الثامن من شوال .

وخرج الشيخ منها متوجها إلى مصر ، ومعه خلق من أهلها يودعونه ،
ويسألون الله أن يرده إليهم . وكان وقتا مشهودا .

ووصل إلى القاهرة يوم السبت ثامن عشر الشهر .

واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه . وأكرمه
وتلقاه في مجلس ، خفل فيه قضاة المصريين والشاميين والفقهاء . وأصلح
بينه وبينهم .

ولقد أخبرني بعض أصحابنا قال :

أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي ، قاضي العساكر المنصورة ،
فيما تذكرت أنا وهو ذات ليلة ، حين كان الشيخ تقي الدين معتقلا
في القلعة المنصورة — يعني قلعة دمشق — وقد أشاع بعض الجهالة

وأرجف بعض المبغضين للسنة بأخبار مختلفة ، لاحقيقة لها ، لكن وقع في نفوس أصحاب الشيخ من ذلك ما يلقيه الشيطان في قلب الإنسان ، وما ذاك إلا من شدة الشفقة والمحبة .

فقلت له — فيما تحدثنا به : إن الناس يقولون : كيت وكيت . وأن الشيخ ربما يخرج من القلعة ويدعى عليه ، ويعزّر ويطاف به .

فقال : يا فلان هذا لا يقع منه شيء ، ولا يسمح السلطان — خلد الله سعادته — بشيء من ذلك . وهو أعلم بالشيخ من كل هؤلاء وبعلمه ودينه .

ثم قال : أخبرك بأمر عجيب ، وقع من السلطان في حق الشيخ تقي الدين ، وذلك حين توجه السلطان إلى الديار المصرية ، ومعه القضاة والأعيان ، ونائب الشام الأفرم .

فلما دخل الديار المصرية وعاد إلى مملكته ، وهرب سلار والشنكير . واستقر أمر السلطان ، جلسا يوما دسّت السلطنة وأبته الملك ، وأعيان الأمراء من الشاميين والمصريين حضور عنده ، وقضاة مصر عن يمينه ، وقضاة الشام عن يساره — وذكري كيفية جلوسهم منه ، كحسب منازلهم — قال : وكان من جملة من هناك ابن صصري ، عن يسار السلطان ، وتحتة الصدر على قاضي الحنفية ، ثم بعده الخطيب جلال الدين . ثم بعده ابن

الزملكانى . قال . وأنا إلى جانب ابن الزملكانى . والناس جلوس خلفه ، والسلطان على مقعد مرتفع ، فبينما الناس على ذلك جلوس إذ نهض السلطان قائماً . فقام الناس ، ثم مشى السلطان ، فنزل عن تلك المقعدة . ولا ندرى ما به . وإذا بالشيخ تقى الدين ابن تيمية — رحمه الله — مقبل من الباب والسلطان قاصد إليه ، فنزل السلطان عن الإيوان . والناس قيام . والقضاة والأمراء والدولة . فسلم هو والسلطان وتكاسرا^(١) . وذهبا إلى صفة في ذلك المكان ، فيها شباك إلى بستان ، فجلسا فيها حيناً . ثم أقبلا — ويد الشيخ في يد السلطان — فقام الناس . وكان قد جاء فى غيبة السلطان تلك : الوزير نحر الدين بن الخليل ، فجلس عن يسار السلطان فوق ابن صصرى . فلما جاء السلطان جلس على مقعده . وجاء الشيخ تقى الدين فجلس بين يدي السلطان على طرف مقعده متربعا . فشرع السلطان يُثنى على الشيخ عند الأمراء والقضاة بثناء مسمعه من غيره قط . وقال كلاماً كثيراً . والناس تقول معه . ومثله القضاة والأمراء .

وكان وقتاً عجيباً . وذلك مما يسوء كثيراً من الحاضرين من أبناء

جنسه .

(١) كذا بالأصل . ولعلها : وتسارا

وقال في الشيخ من الثناء والمبالغة مالا يقدر أحد من أخص أصحابه أن يقوله .

ثم إن الوزير أنهى إلى السلطان أن أهل الذمة قد بذلوا للديوان في كل سنة سبع مائة ألف درهم ، زيادة على الجالية ، على أن يعودوا إلى لبس العمام البيض ، المعلمة بالحمرة والصفرة والزرقة ، وأن يعقوا من هذه العمام المصبغة كلها بهذه الألوان ، التي ألزمهم بهاركن الدين الشاشنكير . فقال السلطان للقضاة ومن هناك : ماتقولون ؟ فسكت الناس .

فلما رآهم الشيخ تقى الدين سكتوا جثا على ركبتيه ، وشرع يتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ ، ويرد ما عرضه الوزير عنهم ردًا عنيفا ، والسلطان يسكته بترفق وتؤدة وتوقير

فبالغ الشيخ في الكلام . وقال مالا يستطيع أحد أن يقوم بمثله ، ولا بقريب منه .

حتى رجع السلطان عن ذلك ، وألزمهم بما هم عليه . واستمروا على هذه الصفة .

فهذه من حسنات الشيخ تقى الدين ابن تيمية رحمه الله ورضي الله عنه آمين

قال : هذا ملخص ما أخبرني به رحمه الله .

وكننت جلست يوما إلى قاضى القضاة : صدر الدين قاضى الحنفية .

فقال لى ، وهو يضحك : تحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية ؟

فقلت : نعم .

فقال : والله تحب شيئا مليحا ، وحكى لى قريبا مما ذكر ابن القلانسي ،

لكن سياق ابن القلانسي أبسط وأتم .

[حلم الشيخ وعفوه عمن ظلمه]

وسمعت الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله يذكر : أن السلطان

لما جلسا بالشباك ، أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين فى قتله .

واستغفاه فى قتل بعضهم

قال : ففهمت مقصوده وأن عنده حنقا شديدا عليهم ، لما خلعوه ،

وباعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير

فشرعت فى مدحهم والثناء عليهم ، وشكرهم ، وأن هؤلاء لو ذهبوا

لم تجد مثلهم فى دولتك ، أمّا أنا فهم فى حلٍّ من حقى ومن جهتى .

وسكنت ما عنده عليهم

قال : فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف - قاضي المالكية - يقول
بعد ذلك : ما رأينا أتقى من ابن تيمية ، لم نبق ممكنافي السعي فيه . ولما
قدَّرَ علينا عفا عنا .

ثم إن الشيخ - بعد اجتماعه بالسلطان - نزل إلى القاهرة : وسكن
بالقرب من مشهد الحسين ، وعاد إلى بث العلم ونشره ، والخلق يشتغلون
عليه ويقرأون ، ويستفتونه ويحجهم بالكلام والكتابة ، والأمراء
والأكابر والناس يترددون إليه . وفيهم من يعتذر إليه ويتنصّل مما وقع
فقال : قد جعلت السكل في حل مما جرى

وبعث الشيخ كتابا إلى أقاربه وأصحابه بدمشق ، يذكر ما هو فيه
من النعم العظيمة والخير الكثير . ويطلب فيه جملة من كتب العلم
يرسل بها إليه . وقال في هذا الكتاب :

[كتاب الشيخ الى أقاربه بدمشق]

تعلمون أننا بحمد الله في نعم عظيمة ، ومنن جسيمة ، وآلاء متكاثرة ، وأيادٍ متظاهرة . لم تسكن تخطر لأكثر الخلق ببال ، ولا تدور لهم في خيال . والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه . كما يحب ربنا ويرضى .
الى أن قال :

والحق دائما في انتصار وعلو وازدياد ، والباطل في انخفاض وسيفال ونفاد . وقد أخضع الله رقاب الخصوم وأذلهم غاية الذل ، وطلب أكابرهم من السلم والالتقياد ما يطول وصفه .

ونحن — والله الحمد — قد اشترطنا عليهم في ذلك من الشروط ما فيه عز الاسلام والسنة ، واتقاع الباطل والبدعة ، وقد دخلوا في ذلك كله ، وامتنعنا ، حتى يظهر ذلك إلى الفعل ، فلم نثق لهم بقول ولا عهد ، ولم نجبرهم إلى مطلوبهم ، حتى يصير المشروط معمولا ، والمذكور مفعولا ، ويظهر من عز الاسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التي تمحو سيئاتهم . وقد أمد الله من الأسباب التي فيها عز الاسلام والسنة ، ووقع الكفر والبدعة ، بأمور يطول وصفها في كتاب . وكذلك جرى من الأسباب التي هي عز الاسلام ووقع اليهود والنصارى ، بعد أن كانوا قد استطالوا وحصات لهم

شوكة ، وأعلمهم من أعلمهم على أمرٍ فيه ذلٌّ كبير من الناس ، فلفظ
الله باستعمالنا في بعض ما أمر الله به ورسوله . وجرى في ذلك ما فيه
عز المسامين ، وتأليف قلوبهم ، وقيامهم على اليهود والنصارى وذل
المشركين وأهل الكتاب ، مما هو من أعظم نعم الله على عباده المؤمنين .
ووصف هذا يطول .

وقد أرسلت إليكم كتاباً أطلب ما صنعت في أمر الكنائس ، وهي
كراريس بخطي ، قطع النصف البلدي ، فترسلون ذلك إن شاء الله
تعالى . وتستعينون على ذلك بالشيخ جمال الدين المرزى فإنه يُقَلِّب الكتب
ويخرج المطلوب . وترسلون أيضاً من تعليق القاضي أبي يعلى الذي بخط
القاضي أبي الحسين ، إن أمكن الجميع ، وهو أحد عشر مجلداً ، وإلا فمن
أوله مجلداً ، أو مجلدين ، أو ثلاثة ، وذکر كتباً يطلبها منهم
ولم يزل الشيخ مستمراً على عادته من الاشتغال بتعليم الناس ونفعهم
ومواعتهم والاجتهاد في سبيل الخير .

[قيام جماعة من الغوغاء على الشيخ بجامع مصر]

وضربه وقيام أهل الحسينية وغيرهم انتصاراً للشيخ

ثم صفحته هو عن آذوه]

فلما كان في رابع شهر رجب من سنة إحدى عشرة وسبعمائة جاء

رجل - فيما بلغنى - إلى أخيه الشيخ شرف الدين ، وهو فى مسكنه بالقاهرة .
فقال له : إن جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ ، وتقرءوا به
وضربوه .

فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكان بعض أصحاب الشيخ جالسا
عند شرف الدين . قال : فقممت من عنده . وجئت إلى مصر . فوجدت
خلقا كثيرا من الحسينية وغيرها رجالا وفرسانا يسألون عن الشيخ .
فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب الممالك على البحر . واجتمع عنده
جماعة ، وتتابع الناس . وقال له بعضهم : ياسيدى ، قد جاء خلق من
الحسينية ، ولو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلاوا
فقال لهم الشيخ : لأى شىء ؟ قال : لأجلك

فقال لهم : هذا ما يحق

فقالوا : نحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم ونخرب
دورهم . فانهم شوشوا على الخلق ، وأماروا هذه الفتنة على الناس
فقال لهم : هذا ما يحل

قالوا : فهذا الذى قد فعلوه معك يحل ؟ هذا شىء لا نصبر عليه ، ولا بد
أن نروح إليهم ونقاتلهم على ما فعلوا
والشيخ ينههم ويزجرهم

فلما أكثروا في القول قال لهم : إما أن يكون الحق لي ، أولكم ،
أو لله . فإن كان الحق لي فهم في حلٍ منه . وإن كان لكم فإن لم تسمعوا
منى ولا تستفتوني فافعلوا ما شئتم . وإن كان الحق لله . فإله يأخذ حقه
إن شاء كما يشاء

قالوا : فهذا الذي فعلوه معك هو حلال لهم ؟
قال : هذا الذي فعلوه قد يكونون مثابين عليه مأجورين فيه
قالوا : فتكون أنت على الباطل وهم على الحق ؟ فإذا كنت تقول :
إنهم مأجورين فاسمع منهم ووافقهم على قولهم .
فقال لهم : ما الأمر كما تزعمون . فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين
ففعلوا ذلك باجتهادهم . والمجتهد المخطئ له أجر .
فلما قال لهم ذلك . قالوا : فقم واركب معنا ، حتى نجيء إلى القاهرة
فقال : لا . وسأل عن وقت العصر فقيل له : إنه قريب . فقام
قاصدا إلى الجامع لصلاة العصر .

فقيل له : ياسيدي قد تواصلوا عليك ليقتلوك . وفي الجامع قد
يتمكنون منك ، بخلاف غيره . فصل حيث كان .
فأبى إلا المضي إلى الجامع والصلاة فيه .
فخرج وتبعه خلق كثير لا يرجعون عنه . فضاقت الطريق بالناس

فقال له من كان قريبا منه : ادخل إلى هذا المسجد — مسجد في الطريق — واقعد فيه حتى يخف الناس ، لئلا يموت أحد من الزحام .
فدخل ولم يجلس فيه . ووقف وأنا معه . فلما خف الناس خرج يطلب الجامع العتيق . فرّ في طريقه على قوم يعبون بالشطرنج على مسطبة بعض حوانيت الحدادين . فنفض الرقعة وقلبا . فبهت الذي يلعب بها والناس من فعله ذلك .

ثم مشى قاصدا للجامع ، والناس يقولون : هنا يقتلونه ، الساعة يقتلونه .

فلما وصل إلى الجامع قيل : الساعة يغلق الجامع عليه وعلى أصحابه ويقتلون .

فدخل الجامع ودخلنا معه . فصلّى ركعتين . فلما سلم منها أذن المؤذن بالعصر ، فصلّى العصر . ثم افتتح بقراءة : (الحمد لله رب العالمين) ثم تكلم في المسألة التي كانت العتنة بسببها إلى أذان المغرب .

فخرج أتباع خصومه . وهم يقولون : والله لقد كنا غالطين في هذا الرجل لقيامنا عليه . والله إن الذي يقوله هذا ، هو الحق . ولو تكلم هذا بغير الحق لم نمّله إلى أن يسكت ، بل كنا نبادر إلى قتله ، ولو كان هذا يبطن خلاف ما يظهر لم يخف علينا . وصاروا فرقتين يخاصم بعضهم بعضا .

قال : ورُحنا مع الشيخ إلى بيت ابن عمه على البحر فبتنا عنده .

[واقعة أخرى في أذى الشيخ بمصر]

وقال الشيخ علم الدين : وفي العشر الأوسط من رجب من سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وقع أذى في حق الشيخ تقي الدين بمصر ، وظفر به بعض المبغضين له في مكان خال . وأساء عليه الأدب . وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له . فلم يجب إلى ذلك .

وكتب إلى المقاتلي يذكر أن ذلك وقع من فقيه بمصر ، يعرف بالمبدى . حصل منه إساءة أدب ثم بعد ذلك طالب وتودّد . وشفع فيه جماعة . والشيخ مات سكّام ولا اشتكى . ولو حصل منه شكوى أهين ذلك غاية الاهانة ، لكن قال : أنا ما انتصر لنفسى . وأقام الشيخ بعد هذا مدة بالديار المصرية .

[خروج الشيخ إلى الشام مع الجيش المصرى]

ثم إنه توجه إلى الشام ، صحبة الجيش المصرى قاصدا الغزاة .
(١٩ - العقود الدرية)

فلما وصل معهم إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس ، وتوجه منه إلى دمشق . وجعل طريقه على عجلون وبعض بلاد السواد . وزرع . ووصل إلى دمشق في أول يوم من شهر ذي القعدة سنة اثنى عشرة وسبعائة . ومعه أخواه وجماعة من أصحابه . وخرج خلق كثير لتلقيه . وسروا سرورا عظيما بمقدمه وسلامته وعافيته .

وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع .
وقد توفى في أثناء غيبة الشيخ عن دمشق غير واحد من كبار أصحابه وساداتهم .

[ترجمة الشيخ عماد الدين ابن شيخ الحزاميين]

منهم الشيخ الإمام القدوة الزاهد العارف عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي ، المعروف بابن شيخ الحزاميين توفى يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة إحدى عشرة وسبعائة .

وكان رجلا صالحا ورعا ، كبير الشأن ، منقطعاً إلى الله ، متوفراً على العبادة والسلوك .

وكان قد كتب رسالة وبعثها إلى جماعة من أصحاب الشيخ وأوصاهم فيها بملازمة الشيخ ، والحث على اتباع طريقته ، وأثنى فيها على الشيخ ثناء عظيماً .

وهذه نسخة الرسالة التي كتبها .

[كتاب نفيس جدا للشيخ عماد الدين]

في الثناء على الشيخ ابن تيمية والوصاية به [

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسبحان الله وبحمده ، تقدّس في علوه وجلاله . وتعالى في صفات كماله . وتعظم في سُبُحات فراديته وجماله ، وتكرّم في إفضاله وجمال نواله ، جل أن يمثّل بشيء من مخلوقاته ، أو يحاط به ، بل هو المحيط بمبتدعاته ، لاتصوره الأوهام ، ولا تُقَلِّه الأجرام ، ولا يعقل كنه ذاته البصائر ولا الأفهام .

الحمد لله مؤيد الحق وناصره ، ودافع الباطل وكاسره ، ومعز الطائع وجابره ، ومذل الباغى ودائره ، الذي سعد بخطوة الاقتراب من قدسه من قام بأعباء الاتباع في بنائه ^(١) وأسه ، وفاز بمحبوبيته في ميادين أنسه من بذل مايهواه في طلبه من قلبه وحسه ، وثبّت في مهاميه الشكوك منتظرا زوال لبسه ، سبحانه وبحمده له المثل الأعلى ، والنور الأتم الأجلّ ، والبرهان الظاهر في الشريعة المثلى .

(١) لعله بنيانه

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . الذى شهدت لوحدايته
الفطر ، وأسلم لربوبيته ذو العقل والنظر ، وظهرت أحكامه فى الآتى
والسور ، وتم اقتداره فى تنزل القدر .

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، الذى شهدت
بنبوته الهواتف والأخبار ، فكان قبل ظهوره ينتظر ، وتلاحقت عند
مبعثه معجزاته من حنين الجذع وانقياد الشجر ، صلوات الله عليه وعلى
آله وأصحابه أهل الخشية والحذر ، والعلم المنور ، فهم قدوة التابع
للأثر .

وبعد . فهذه رسالة سطرها العبد الضعيف الراجى رحمة ربه
وغفرانه ، وكرمه وامتنانه . أحمد بن إبراهيم الواسطى . عامله الله بما هو
أهله . فانه أهل التقوى وأهل المغفرة .

إلى إخوانه فى الله السادة العلماء ، والأئمة الأتقياء ، ذوى العلم
النافع ، والقلب الخاشع ، والنور الساطع ، الذين كساهم الله كسوة
الاتباع ، وأرجو من كرمه أن يحققهم بحقائق الانتفاع :—

السيد الأجل العالم ، الفاضل نخر المحدثين ، ومصباح المتعبدین
المتوجه إلى رب العالمين ، تقى الدين أبى حفص عمر بن عبد الله بن
عبد الأحد بن شقير

والشيخ الأجلّ ، العالم الفاضل السالك الناسك ذى العلم والعمل ،
المسكتى من الصفات الحميدة أجمل الحلال ، الشيخ شمس الدين محمد
ابن عبد الأحد الآمدى

والسيد الأخ ، العالم الفاضل ، السالك الناسك ، التقى الصالح ،
الذى سيماء نور قلبه لائح على صفحات وجهه ، شرف الدين محمد
ابن المنجى .

والسيد الأخ ، الفقيه العالم النبيل ، الفاضل فخر المحصلين ، زين
الدين ، عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي

والسيد الأخ العالم الفاضل ، السالك الناسك ، ذى اللب الراجح
والعمل الصالح ، والسكينة الوافرة ، والفضيلة الغامرة ، نور الدين محمد بن
محمد بن محمد بن الصائغ .

وأخيه السيد الأخ ، العالم التقى الصالح ، الخير الديّن ، العالم
الثقة ، الأمين الراجح ، ذى السمات الحسن ، والدين المتين ، فى اتباع
السنن ، فخر الدين محمد

والأخ العزيز الصالح ، الطالب لطريقه ، والراغب فى مرضاته
وحبه ، العالم الفاضل ، الولد شرف الدين محمد بن سعد الدين سعد الله
ابن نجيح .

وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الامام ، الأئمة ^(١) الهمام ، محيي السنة ، وقامع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتي الفرق ، الفائق عن الحقائق ، وموصلها بالأصول الشرعية للطلاب الذائق ، الجامع بين الظاهر والباطن ، فهو يقضى بالحق ظاهرا وقلبه في العلى قاطن ، أنموذج الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ، ونسيت الأئمة حذوهم وسبلهم ، فذكرهم بها الشيخ ؛ فكان في دارس نهجهم سالكا ، ولموات حذوهم محييا ، ولأئمة قواعدهم مالكا : الشيخ الامام تقى الدين أبو العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، أعاد الله علينا بركته ، ورفع إلى مدارج العلى درجته ، وأدام توفيق السادة المبدؤ بذكرهم وتسديدهم ، وأجزل لهم حظهم ، ومزيدهم .

السلام عليكم معشر الاخوان ورحمة الله وبركاته ، جعلنا الله وإياكم ممن ثبت على قرع نواب الحق جأشهُ ، واحتسب الله ما بذله من نفسه في إقامة دينه ، وما احتوشته من ذلك وحاشه ، واحتذى حذو السُّبْق الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، والذين لم تأخذهم في الله لومة لائم ،

(١) قال ابن مسعود رضى الله عنه : الامة . معلم الخير اه بغوى اه

فَمَا ضَرَّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ ، مَعَ قِلَّةِ عِدَدِهِمْ فِي أَوَّلِ الْأُمْرِ ،
فَمَا كَانُوا مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِمْ مُجَاهِدِينَ لِلَّهِ قَائِمِينَ . وَرَجَوْا مِنْ كَرَمِ اللَّهِ
تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا لِأَعْمَالِهِمْ ، وَيَرْزُقَ قُلُوبَنَا قِسْطًا مِنْ أَحْوَالِهِمْ ، وَيَنْظِمَنَا فِي
سُلُوكِهِمْ ، تَحْتَ سَجَّاتِهِمْ وَلِوَاءِهِمْ ، مَعَ قَائِدِهِمْ وَإِمَامِهِمْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ،
وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ، مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ .

أَذْكُرُكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِمَا أَنْتُمْ بِهِ عَالِمُونَ ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَذَكِّرْ
فَإِنَّ الذِّكْرَ يَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)

وَأَبْدَأُ مِنْ ذَلِكَ بِأَنْ أَوْصِيَ نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَهِيَ وَصِيَّةُ
اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْنَا وَإِلَى الْأُمَّةِ مِنْ قَبْلُنَا ، كَمَا بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَائِلًا
وَمَوْصِيًّا : (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
اتَّقُوا اللَّهَ) .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ تَفَاصِيلَ التَّقْوَى عَلَى الْجَوَارِحِ وَالْقُلُوبِ ، بِحَسَبِ الْأَوْقَاتِ
وَالْأَحْوَالِ : مِنَ الْأَقْوَالِ ، وَالْأَعْمَالِ ، وَالْإِرَادَاتِ ، وَالنِّيَّاتِ .

وَيَنْبَغِي لَنَا جَمِيعًا أَنْ لَا تَقْنَعُ مِنَ الْأَعْمَالِ بِصُورِهَا حَتَّى نَطَالِبَ قُلُوبَنَا
بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى بِحَقَائِقِهَا . وَمَعَ ذَلِكَ فَلْتَكُنْ لَنَا هِمَّةٌ عُلْوِيَّةٌ ، تَتَرَامَى إِلَى
أَوْطَانِ الْقُرْبِ ، وَتَفُتِحُ الْحُبُوبِيَّةَ وَالْحُبَّ . فَالْسَّعِيدُ مَنْ حَظَى مِنْ ذَلِكَ
بِنَصِيبٍ . وَكَانَ مَوْلَاهُ مِنْهُ عَلَى سَائِرِ الْأَحْوَالِ قَرِيبًا بِخُصُوصِ التَّقَرُّيبِ .

فيكتسى العبد من ذلك ثمرة الخشية والتعظيم ، للعزیز العظیم ، فالحب والخشية ثابتان في الكتاب العزیز والسنة الماثورة . قال تعالى : (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ^(١)) (والذين آمنوا أشدَّ حُبًّا لله ^(٢)) وقال تعالى : (إنما يخشى الله من عبادة العلماء ^(٣)) وفي الحديث « أسألك حبك وحب من أحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك ^(٤) » وفي الحديث « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تجأرون إلى الله ^(٥) »

ومعلوم أن الناس يتفاوتون في مقامات الحب والخشية ، في مقام أعلى من مقام ، ونصيب أرفع من نصيب ، فلتكن همة أحدنا من مقامات الحب والخشية أعلاه ، ولا يقنع بالإبدروته وذراه ، فالهم القصيرة

(١) سورة المائدة آية (٥٤)

(٢) سورة البقرة آية (١٦٥)

(٣) سورة فاطر آية (٢٨)

(٤) رواه الترمذی عن ابن عباس في دعاء طويل .

(٥) رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم والترمذی والنسائی عن

أنس بدون قوله « ولخرجته الخ » وهو بهذه الزيادة عند الطبرانی في الكبير والحاكم والبيهقي عن أبي الدرداء .

تتقنع بأيسر نصيب ، والههم العلية تعلو مع الانفاس إلى قريب الحبيب
لا يشغلنا عن ذلك ما هو دونه من الفضائل ، والعاقل لا يقنع بأمر مفضول
عن حال فاضل . ولتكن الهمة منقسمة على نيل المراتب الظاهرة ،
وتحصيل المقامات الباطنة . فليس من الإنصاف الانصباب إلى الظواهر
والتشاغل عن المطالب العلوية ذوات الأنوار البواهر .

وليكن لنا جميعا بين الليل والنهار ساعة ، نخلو فيها ربنا جل
اسمه وتعالى قدسه ، نجتمع بين يديه في تلك الساعة همومنا ، ونطرح
أشغال الدنيا من قلوبنا ، فنزهد فيما سوى الله ساعة من نهار ، فبذلك
يعرف الإنسان حاله مع ربه ، فمن كان له مع ربه حال ، تحركت في
تلك الساعة عزائمه . وابتهجت بالحبة والتعظيم سرائره ، وطارث إلى
العلي زفراته وكوامنه . وتلك الساعة أمودج لحالة العبد في قبره ، حين
خلوه عن ماله ورحبته . فمن لم يخل قلبه لله ساعة من نهار ، لما احتوشه من
الهموم الدنيوية وذوات الآصار . فليعلم أنه ليس له ثم رابطة علوية ،
ولانصيب من المحبة ولا المحبوبة ، فلييك على نفسه ، ولا يرضى منها
إلا بنصيب من قرب ربه وأنسه .

فاذا حصلت لله تلك الساعة ، أمكن إيقاع الصلوات الخمس على
نمطها من الحضور والخشوع ، والهيبة للرب العظيم في السجود والركوع

فلا ينبغي لنا أن نبخل على أنفسنا في اليوم والليلة من أربع وعشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار ، نعبد فيه حق عبادته ، ثم نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج في رعايته ، وذلك طريق لنا جميعا إن شاء الله تعالى إلى النفوذ ، فالفقيه إذا لم ينفذ في علمه حصل له الشطر الظاهر ، وفاته الشطر الباطن . لا تصاف قلبه بالجود . وبعده في العباد والتلاوة عن لين القلوب والجود . كما قال تعالى : (تَقَشَّعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ^(١)) وبذلك يرتقى الفقيه عن فقهاء عصرنا . ويتميز به عنهم ، فالنافذ من الفقهاء له البصيرة المنورة ، والذوق الصحيح ، والفراسة الصادقة ، والمعرفة التامة ، والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمتها . ومن لم ينفذ لم تكن له هذه الخصوصية ، وأبصر بعض الأشياء وغاب عنه بعضها .

فيتعين علينا جميعا طلب النفوذ إلى حضرة قرب المعبود ، وإتقائه بذوق الإيقان ، لنعبد كأننا نراه . كما جاء في الحديث ^(٢) .

(١) سورة الزمر آية (٢٣)

(٢) حديث جبريل في سؤاله عن الاسلام والايمان والاحسان فقال له « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه البخاري ومسلم عن عمر وعن ابنه رضى الله عنهما

وبعد ذلك الخطوة في هذه الدار بلقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غيبا في غيب ، وسرا في سر ، بالكوف على معرفة أيامه وسننه واتباعه . فتبقى البصيرة شاخصة إليه ، تراه عيانا في الغيب ، كأنها معه صلى الله عليه وسلم ، وفي أيامه . فيجاهد على دينه . ويبذل ما استطاع من نفسه في نصرته .

وكذلك من سلك في طريق النفوذ يُرجى له أن يلقي ربه بقلبه غيبا في غيب ، وسرا في سر ، فيرزق القلب قسطا من المحبة والخشية . والتعظيم اليقيني ، فيرى الحقائق بقلبه من وراء ستر رقيق . وذلك هو المعبر عنه بالنفوذ . ويصل إلى قلبه من وراء ذلك الستر ما يغمره من أنوار العظمة والجلال والبهاء والكمال ، فيتنور العلم الذي اكتسبه العبد . ويبقى له كيفية أخرى زائدة على الكيفية المعهودة من البهجة والأنوار والقوة في الاعلان والاسرار .

فلا ينبغي لنا أن نتشاغل عن نيل هذه الموهبة السنية ، بشواغل الدنيا وهمومها ، فننقطع بذلك — كما تقدم — بالشئ المفضول عن الأمر المهم الفاضل . فإذا سلكنا في ذلك برهة من الزمان ، ورزقنا الله تعالى نفوذا ، وتمسكنا في ذلك النفوذ فلا تعود هذه العوارض الجزئيات الكونيات تؤثر فينا إن شاء الله تعالى .

وليكن شأن أحدنا اليوم : التعديل بين المصالح الدنيوية والفضائل العلمية ، والتوجهات القلبية ، ولا يقنع أحدنا بأحد هذه الثلاثة عن الآخرين . فيفوته المطلوب . ومتى اجتهد في التعديل فانه ان شاء الله تعالى بقدر ما يحصل للعبد جزء من أحدهم ، حصلَّ جزءاً من الآخر . ثم بالصبر على ذلك تجتمع الأجزاء المحصلة ، فتصير مرتبة عالية عند النهاية — ان شاء الله تعالى .

هذا وإن كنتم — أيدكم الله تعالى — بذلك عالمين ، لكن الذكرى تنفع المؤمنين

فصل

واعلموا — أيدكم الله — أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى في هذا العصر ، حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود . لكن من لم يسافر إلى الأقطار ، ولم يتعرف أحوال الناس ، لا يدري قدر ما هو فيه من العافية . فأنتم إن شاء الله تعالى في حق هذه الأمة الأولى كما قال تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ . تأمُرُنَ بالمعروفِ وتَنْهَوْنَ عن المنكرِ وتؤمنون بالله ^(١)) وكما

قال تعالى . (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)^(١)

أصبحتم إخواني تحت سنّجق^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن شاء الله تعالى ، مع شيخكم وإمامكم ، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره
رضى الله عنه . قد تميزتم عن جميع أهل الأرض ، فقهاؤها وفقرائها ،
وصوفيتها ، وعوامها : بالدين الصحيح .

وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث ، في الفقهاء والفقراء
والصوفية والعوام . فأنتم اليوم في مقابلة الجهمية من الفقهاء . نصرتم الله
ورسوله في حفظ ما أضعاه من دين الله ، تصاحون ما أفسدوه من تعطيل
صفات الله .

وأنتم أيضا في مقابلة من لم ينفذ في علمه من الفقهاء إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وجد على مجرد تقليد الأئمة فانكم قد نصرتم الله
ورسوله في تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة ، واتحاد أقوال
الأئمة ، تأسيساً بهم لاتقليد لهم .

وأنتم أيضا في مقابلة ما أحدثته أنواع الفقهاء من الالحادية والحريرية

(١) سورة الحج آية (٤١)

(٢) أي تحت لوائه ورايته

من إظهار شعار المكاء والتَّصَدِيَّة (١) ، ومؤاخاة النساء والصبيان ، والاعراض عن دين الله إلى خرافات مكذوبة عن مشايخهم ، واستنادهم إلى شيوخهم وتقائدهم في صائب حركاتهم وخطائهم ، وإعراضهم عن دين الله الذى أنزله من السماء . فأنتم بحمد الله تجاهدون هذا الصنف أيضا كما تجاهدون من سبق . حفظكم من دين الله ما أضاعوه . وعرفتم ما جهلوه تَقَوُّونَ من الدين ما عوجوه ، وتصلحون منه ما أفسدوه .

(١) الذى هو شعار كفار مكة في عبادتهم الباطلة التى قال الله تعالى في وصفها (وما كان صلاتهم عند البيت لإمكاء وتصدية) والمكاء الصغير، والتصدية التصفيق . وذلك مثل ما يصنع اليوم أهل الطرق وضلال المتصوفة في حلقات رقصهم الشيطاني وهوهم النسواني ، الذى يسمونه زوزوا وبهتاننا ذكر الله ، وكذبوا ، خيبهم الله وأضلهم وأخزاهم . يقوم ناعقهم بنشد بلغو القول وفسوقه : من وصف النسوان والمردان والخمر والسكرارى ، ومعه مصفر بالعفافة ، وشيطانهم الأكبر ، وعجلهم الا كفر في وسط الحلقة يدق على يديه . ويصفق لهم على كفيه ، على نغمة الصفارة ، وهم يتألمون على هذه النغمات ويتصايحون بتلك الآهات . ويتواجدون تواجد السكرارى الثملين ويتشاهقون شقيق المجانين . مضاهاة لما كان عليه سلفهم الكافرين . من عبدة العجل إخوان السامرى وأبى جهل وحزبه اللعين . فأولئك هم والله أعداء الرحمن . وحزب الشيطان (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) طهر الله الأرض منهم . ودمر على مجالسهم . وأراح الناس من شرهم

وأنتم أيضا في مقابلة رسمية الصوفية والفقهاء ، وما أحدثوه من الرسوم
الوضعية ، والآصار الابتداعية ، من التصنع باللباس ، والاطراق والسجادة
لنيل الرزق من المعلوم ، ولبس البقيار ، والا كما الواسعة في حضرة الدرس ،
وتعميق الكلام ، والعدو بين يدي المدرس راكعين ، حفظا للمناصب ،
واستجلابا للرزق والادرار

نحفظ هؤلاء في عبادة الله غيره ، وتألهوا سواه . ففسدت قلوبهم
من حيث لا يشعرون . يجتمعون لغير الله بل للمعلوم ، ويلبسون للمعلوم
وكذلك في أغلب حركاتهم يراعون ولادة المعلوم . فضيعوا كثيرا من
دين الله وأما توه . وحفظتم أنتم ماضيهم ، وقومتم ما عوجوه

وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية
من قولهم بالحلل والاتحاد ، وتأله الخلوقات . كالْيُونُسِيَّة ، والعربية ،
والصدرية ، والسبعينية ، والتلمسانية . فكل هؤلاء بدلوا دين الله
تعالى وقلوبه . وأعرضوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالْيُونُسِيَّة يتألهون شيخهم ، ويجعلونه مظهر الحق ، ويستهنون
بالعبادات ، ويظهرون بالفرعة والصولة ، والسفاهة والمخالات ، لما وقر
في بواطنهم من الخيالات الفاسدة ، وقبلتهم الشيخ يونس . ورسول الله

صلى الله عليه وسلم والقرآن الحبيب عنهم بمعزل ، يؤمنون به بالسنتهم ،
ويكفرون به بأفعالهم

وكذلك الاتحادية ، يجعلون الوجود مظهرا للحق ، باعتبار أن لا
متحرك في السكون سواء ، ولا ناطق في الأشخاص غيره . وفيهم من
لا يفرق بين الظاهر والمظهر ، فيجعل الأمر كموج البحر ، فلا يفرق بين
عين الموجة وبين عين البحر ، حتى إن أحدهم يتوهم أنه الله ، فينطق على
لسانه ، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي ، لانه يعتقد ارتفاع الثنوية
. فمن العابد ومن المعبود ؟ صار الكل واحدا .

اجتمعنا بهذا الصنف في الرُّبُط والزوايا

فأنتم بحمد الله قائمون في وجه هؤلاء ، أيضا تنصرون الله ورسوله ،
وتدثون عن دينه ، وتعملون على إصلاح ما أفسدوا وعلى تقويم ما عوجوا
فان هؤلاء محو رَسَمَ الدين ، وقلعو أثره . فلا يقال أفسدوا ولا عوجوا
بل بالغوا في هدم الدين ومحو أثره . ولا قرينة أفضل عند الله من القيام
بجهاد هؤلاء بهما أمكن ، وتبيين مذاهبهم للخاص والعام . وكذلك
جهاد كل من ألحد في دين الله وزاغ عن حدوده وشريعته . كأننا في ذلك
ما كان من فتنة وقول . كما قيل :

إذا رضى الحبيب فلا أبالي * أقام الحى أم جدَّ الرَّحِيل

وبالله المستعان

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد ، تصلحون ما أفسدوا من المظالم والاجحافات ، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله ، بما أمكن . وذلك لبعده العهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . لأن اليوم له سبعمائة سنة ، فأنتم بحمد الله تجددون ما دثر من ذلك وذُر . وكذلك أنتم بحمد قائمون في وجوه العامة ، مما أحدثوا من تعظيم الميلاد . والقَلْنَدَس ، وخميس البيض . والشَّعَانِين ^(١) ، وتقبيل القبور والأحجار ، والتوسل عندها . ومعلوم أن ذلك كله من شعائر النصارى والجاهلية . وإنما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُوحِدَ الله ويعبد وحده ، ولا يُنَالَهُ معه شيء من مخلوقاته . بعثه الله تعالى ناسخاً لجميع الشرائع والأديان والأعياد . فأنتم بحمد الله قائمون باصلاح ما أفسد الناس من ذلك . وقائمون في وجوه من ينصر هذه البدع من مارقى الفقهاء ، أهل الكيد والضرار ولاولياء الله ، أهل المقاصد الفاسدة . والقلوب التي هي عن نصر الحق حائدة .

وإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم في وجوه التتر والنصارى ، واليهود ، والرافضة ، والمعتزلة ، والقدرية ، وأصناف أهل البدع والضلالات

(١) مما يصنعونه في شم النسيم ويعظمونه من أعياد النصارى ، من ميلاد المسيح وغيره .

لأن الناس متفقون على ذمهم . يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم .
ولا يقومون يتوفية حق الرد عليهم كما تقومون . بل يعلمون ويجهلون
عن اللقاء فلا يجاهدون ، وتأخذهم في الله اللائمة . لحفظ مناصبهم ، وإبقاء
على أعراضهم .

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين الله في وجوه مثل هؤلاء —
حق القيام — سواكم ، فأنتم القائمون في وجوه هؤلاء إن شاء الله .
بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا — أيده الله — حق القيام ، بخلاف
من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك .

فصبرا يا إخواني على ما أقامكم الله فيه ، من نصرة دينه وتقويم
اعوجاجه ، وخذلان أعدائه . واستعينوا بالله ، ولا تأخذكم فيه لومة لائم .
وإنما هي أيام قلائل . والدين منصور . قد تولى الله إقامته ونصره ،
ونصرة من قام به من أوليائه ، إن شاء الله ، ظاهراً وباطناً .

وابذلوا فيما أقيم فيه ما أمكنكم من الأتس وال أموال ، والأفعال ،
والأقوال ، عسى أن تاحقوا بذلك بسلفكم أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم . فلقد عرفتم ما لقوا في ذات الله ، كما قال خُبَيْب حين
صُلب على الجذع : —

وذلك في ذات الآله ، وإن يشأ

يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ (١)

وقد عرفتم ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الضر والفاقة في شعب بني هاشم (٢) ، وما لقي السابقون الأولون من التعذيب والهجرة

(١) هو خبيب بن عدي الأنصاري بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع رهط عشرة بامرة عاصم بن ثابت عينا . ففروا إليهم بنو لحيان من هذيل بنحو مائة ، فقتلوا عاصم في سبعة . ونزل إليهم ثلاثة نفر بالعهد والميثاق ، منهم خبيب وزيد بن الدثنة وآخر . فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم . فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر ، فوالله لا آمنكم . ان لي بهؤلاء أسوة . يريد القتلى ، فقتلوه . وانطلقوا بخبيب وزيد فباعوها بمكة بعد وقعة بدر . فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبا ، وكان قتل الحارث . فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا قتله فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه ، قال : دعوني أركع ركعتين . فتركوه فركع ركعتين ، ثم قال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع من الموت لذدت . اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم أحدا

فلست أبالي حين أقتل مسلما

على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك ذات الآله الخ اه من أسد الغابة باختصار . والشلو : العضو

(٢) حين حصره المشركون في الشعب هو وبنوها شمس ، ونعاهدوا على مقاطعتهم . وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في الكعبة

إلى الحبشة ، وما لقي المهاجرون والأنصار في أحد ، وفي بئر معونة ،
وفي قتال أهل الردّة ، وفي جهاد الشام والعراق ، وغير ذلك .
وانظروا كيف بذلوا نفوسهم وأموالهم لله ، حباً له ، وشوقاً إليه .
فكذلك أنتم ، رحمكم الله . كل منكم على قدر إمكانه واستطاعته ،
بفعاله ، وبقوله ، وبخطه ، وبقلبه ، وبدعائه . كل ذلك جهاد . أرجو أن
لا يخيّب من عامل الله بشيء من ذلك . إذ لا عيش إلا في ذلك ، ولو لم
يكن فيه إلا همكم ، مزاحمة لأهل الزيغ ، مشوشة لهم ، تبغضونهم في
الله ، وتطلبون استقامتهم في دين الله . وذلك من الجهاد الباطن إن
شاء الله تعالى .

فصل

ثم اعرّفوا إخواني حق ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك .
واعرّفوا طريقكم إلى ذلك ، واشكروا الله تعالى عليها . وهو أن أقام
لكم ولنا في هذا العصر مثل سيدنا الشيخ الذي فتح الله به أقالم
القلوب ، وكشف به عن البصائر عمى الشبهات وحيرة الضلالات ،
حيث تاه العقل بين هذه الفرق ، ولم يهتد إلى حقيقة دين الرسول
صلى الله عليه وسلم

ومن العجيب أن كلا منهم يدّعي أنه على دين الرسول ، حتى

كشف الله لنا ولكم بواسطة هذا الرجل عن حقيقة دينه الذى أنزله
من السماء وارتضاه لعباده .

واعلموا أن فى آفاق الدنيا أقواما يعيشون أعمارهم بين هذه الفرق ،
يعتقدون أن تلك البدع حقيقة الاسلام . فلا يعرفون الإسلام إلا
هكذا .

فاشكروا الله الذى أقام لكم فى رأس السبعائة من الهجرة من
بين لكم أعلام دينكم . وهذا كم الله به وإيانا إلى نهج شريعته .
وبين لكم بهذا النور الحمذى ضلالات العباد وانحرافاتهم ، فصرتم
تعرفون الزائع من المستقيم ، والصحيح من السقيم . وأرجو أن تكونوا
أنتم الطائفة المنصورة . الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم . وهم
بالشأن إن شاء الله تعالى .

فصل

ثم إذا علمتم ذلك ، فاعرفوا حق هذا الرجل الذى هو بين أظهركم
وقدره ، ولا يعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول صلى الله
عليه وسلم وحقه وقدره . فمن وقع دين الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم من قلبه بموقع يستحقه ، عرف حق ما قام به هذا الرجل بين
أظهر عباد الله ، يُقَوِّمُ معوجَّهم ، ويصلح فسادهم ، ويَلْمُ شَعَثَهم ، جدد
إمكانه ، فى الزمان المظلم ، الذى انحرف فيه الدين ، وجهت السنن ،

وعهدت البدع ، وصار المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، والقابض على دينه ، كالقابض على الجمر ، فان أجر من قام باظهار هذا النور في هذه الظلمات لا يوصف ، وخطره لا يعرف . هذا إذا عرفتموه أتم من حيثية الأمر الشرعى الظاهر . فهنا قوم عرفوه من حيثية أخرى من الأمر الباطن . ومن يقوده إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته ، وعظمة ذاته ، واتصال قلبه بأشعة أنوارها ، والاحتذاء من خصائصها وأعلى أذواقها ، ونفوذه من الظاهر إلى الباطن ، ومن الشهادة إلى الغيب ، ومن الغيب إلى الشهادة ، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر ، وغير ذلك مما لا يمكن شرحه في كتاب .

فشيخكم - أيدكم الله تعالى - عارف بذلك ، عارف بأحكام الله الشرعية ، عارف بأحكامه القدريّة ، عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية ، ومثل هذا العارف قد يُبصر ببصيرته تنزل الأمر بين طبقات السماء والأرض . كما قال تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ ، يتنزل الأمرُ بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كل شيء قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علما)^(١)

فالناس يحسون بما يجري في عالم الشهادة . وهؤلاء بصائرهم شاخصة إلى الغيب ، ينظرون ما تجرى به الأقدار ، يشعرون بها أحياناً عند تنزلها .

فلاتهنونا أمر مثل هؤلاء في انبساطهم مع الخلق ؛ واشتغال أوقاتهم بهم . فانهم كما حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قيل له « كم تنادى على الله تعالى بين الخلق ؟ فقال : أنا أنادى على الخلق بين يدي الله ؟ »

فإنَّ اللهَ في حفظ الأدب معه ، والانتعال لأوامره ، وحفظ حرمانه في الغيب والشهادة ، وحب من أحبه ، ومجانبة من أبغضه وتنقصه ورد غيبته ، والانتصار له في الحق .

واعلموا رحمكم الله ، أن هنا من سافر إلى الأقاليم ، وعرف الناس وأذواقهم وأشرف على غالب أحوالهم ، فوالله ، ثم والله ثم والله ، لم ير أديماً تحت السماء مثل شيخكم : علماً ، وعَمَلاً ، وحالاً ، وخلفاً ، واتباعاً ، وكرماً وحُلماً . في حق نفسه ، وقياماً في حق الله عند انتهاك حرمانه . أصدقُ الناس عقداً ، وأصَحُّهم علماً وعزماً ، وأتقَهم وأعلام في انتصار الحق وقيامه همةً ، وأسخاهم كفاً ، وأكملهم اتباعاً للنبية محمد صلى الله عليه وسلم .

مارأينا في عصرنا هذا من تُستجلى النبوة الحمديّة وسنتها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل . بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة .

وبعد ذلك كله فقول الحق فريضة ، فلا ندعى فيه العصمة عن الخطأ ، ولا ندعى إكماله لغايات الخصائص المطلوبة . فقد يكون في بعض الناقصين خصوصية مقصودة مطلوبة ، لا يتم الكمال إلا بهاتيكم الخصوصية وهذا القدر لا يجمله منصف عارف . ولولا أن قول الحق فريضة ، والتعصب للانسان هوى ، لأعرضت عن ذكر هذا — لكن يجب قول الحق — إن ساء أو سر . والله المستعان .

إذا علمتم ذلك — أيدكم الله تعالى — فاحفظوا قلبه ، فان مثل هذا قد يدعى عظيما في ملكوت السماء . واعملوا على رضاه بكل ممكن واستجلبوا وُدّه لكم ، وحبّه إياكم بمهما قدرتم عليه . فان مثل هذا يكون شهيدا ، والشهداء في العصر تبع لمثله ، فان حصات لكم محبته رجوت لكم بذلك خصوصية أكتمها ولا أذكرها ، وربما يظن لها الأذكىاء منكم ، وربما سمحت نفسي بذكرها ، كيلا أكتم عنكم نصحي .

وتلك الخصوصية : هي أن ترزقوا قسطا من نصيبه الخاص الحمدي

مع الله تعالى . فان ذلك إنما يسرى بواسطة محبة الشيخ المريد ، واستجلاب المريد محبة الشيخ بتأثيره معه ، وحفظ قلبه وخاطره ، واستجلاب وُدّه ومحبته ، فأرجو بذلك لكم قسطاً مما بينه وبين الله تعالى ، فضلاً عما تكسبونه من ظاهر علمه وفوائده وسياسته ، إن شاء الله تعالى .

وأرجو أنكم إذا فتحتم بينكم وبين ربكم تعالى بصحيح المعاملة يحفظ تلك الساعة في الصلوات الخمس والتهجد أن يفتح لكم معرفة حقيقة هذا الرجل ونباه إن شاء الله تعالى .

وإنما ذكرت حفظ الساعة -- وإن كان في الصلوات الخمس كفاية . إذا قام العبد فيها لحق الله تعالى -- وذلك لأن الصلوات قد تهجم على العبد وقلبه مأخوذ في جواذب الظاهر ، فلا يعرف نصيب قلبه من ربه فيها ، فإذا كان للعبد ساعة بين الليل والنهار عرف فيها نصيب قلبه من ربه ، فإذا جاءت الصلوات ، عرف فيها حاله وزيادته ونقصانه باعتبار حالته مع ربه في تلك الساعة . وبالله المستعان .

فصل

وإذا عرفتم قدر دين الله تعالى الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه

وسلم ، وعرفتم قدر حقائق الدين الذى يعبر عنه بالنفوذ إلى الله تعالى ،
والخطوة بقربه . ثم عرفتم اجتماع الأمرين فى شخص معين ، ثم عرفتم
انحراف الأمة عن الصراط المستقيم ، وقيام الرجل المعين الجامع للظاهر
والباطن فى وجوه المنحرفين ، بنصر الله تعالى ودينه ، ويقوم معوجهم ،
ويلم شعهم ، ويصالح فاسدهم . ثم سمعتم بعد ذلك طعن طاعن عليه
من أصحابه أو من غيرهم ، فانه لا يخفى عنكم محقُّ هو ، أو مبطل ؟ إن
شاء الله .

وبرهان ذلك : أن الحق طالب الهدى والحق بغرض عند من
أنكر عليه ذلك الفعل الذى أنكره ، إما بصيغة السؤال أو الاستفهام
بالتلطف عن ذلك النقص الذى رآه فيه ، أو بلغه عنه ، فان وجد
هناك اجتهاداً ، أو رأياً أو حجة ، قنع بذلك ، وأمسك ، ولم يُفش
ذلك إلى غيره ، إلا مع إقامة ما يبينه من الاجتهاد ، أو الرأى ، أو الحجة ،
ليسد الخلل بذلك . فمثل هذا يكون طالب هدى ، محباً ، ناصحاً ، يطلب
الحق ، ويروم تقويم أستاذه عن انحرافه بتعريفه وتقويضه . كما يروم
أستاذه تقويمه . كما قال بعض الخلفاء الراشدين ^(١) — ولا يحضرنى
اسمه — « إذا عوججت فتقومونى »

(١) هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه — كذا فى المنقول عنه — اهـ
هامش الأصل وذلك فى أول خطبة قام بها بعد الخلافة ويروى أيضاً عن عمر :

فهذا حق واجب بين الأستاذ والطالب . فإن الأستاذ يطلب إقامة الحق على نفسه ليقوم به ، ويتَّهم نفسه أحياناً ، ويتعرَّف أحواله من غيره ، مما عنده من النِّصْفَة وطلب الحق ، والحذر من الباطل ، كما يطلب المرید ذلك من شيخه من التقويم ، وإصلاح الفاسد من الأعمال والأقوال .

ومن براهين الحق : أن يكون عدلاً في مدحه ، عدلاً في ذمه ، لا يحمله الهوى - عند وجود المراد - على الإفراط في المدح ، ولا يحمله الهوى - عند تعذر المقصود - على نسيان الفضائل والمناقب ، وتعدد المساوىء والمثالب .

فالحق في حالتي غضبه ورضاه ثابت على مدح من مدحه وأثنى عليه ؛ ثابت على ذم من ثلّبه وحطَّ عليه .

وأما من عمل كراسة في عد مثالب هذا الرجل القائم بهذه الصفات الكاملة بين أصناف هذا العالم المنحرف ، في هذا الزمان المظلم ، ثم ذكر مع ذلك شيئاً من فضائله ، ويعلم أنه ليس المقصود ذكر الفضائل ، بل المقصود تلك المثالب ، ثم أخذ الكراسة يقرؤها على أصحابه واحداً واحداً في خلوة ، يوقف بذلك همهم عن شيخهم ، ويريهم قدماً فيه . فإني أستخير الله تعالى وأجتهد رأيي في مثل هذا الرجل ، وأقول

انتصارا لمن ينصر دين الله ، بين أعداء الله في رأس السبعائة ، فان
نصرة مثل هذا الرجل واجبة على كل مؤمن كما قال وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلٍ :
« لئن أدركني يومك لأنصرنك نصراً مُؤَزَّراً ^(١) » ثم أسأل الله تعالى
العصمة فيما أقول عن تعدى الحدود والاخلاد إلى الهوى

أقول : مثل هذا - ولا أعين الشخص المذكور بعينه - لا يخلو
من أمور : -

أحدها : أن يكون ذا سنّ تغير رأيه لسنّه . لا بمعنى أنه اضطرب
بل بمعنى أن السنّ إذا كبر يجتهد صاحبه للحق . ثم يضعه في غير
مواضعه . مثلاً يجتهد أن إنكار المنكر واجب . وهذا منكر . وصاحبه
قد راج على الناس . فيجب على تعريف الناس ما راج عليهم .
وتغيب عليه المفاسد في ذلك .

فنها : تخذيل الطلبة ، وهم مضطرون إلى محبة شيوخهم ، ليأخذوا
عنه . فتى تغيرت قلوبهم عليه ورأوا فيه نقصا حرّموا فوائده الظاهرة
والباطنة . وخيف عليهم المقت من الله أولاً . ثم من الشيخ ثانياً
المفسدة الثانية : إذا شعر أهل البدع الذين نحن وشيخنا قائلون
الليل والنهار بالجهاد والتوجه في وجوههم لنصرة الحق : أن في أصحابنا

من ثلب رئيس القوم بمثل هذا . فانهم يتطرقون بذلك إلى الاستفتاء من أهل الحق ويعملونه حجة لهم .

المفسدة الثالثة : تعديد المثالب في مقابلة ما يستغرقها ويزيد عليها بأضعاف كثيرة من المناقب ، فان ذلك ظلم وجهل .
والأمر الثانى ، من الأمور الموجبة لذلك : تغير حاله وقلبه . وفساد سلوكه بحسد كان كامناً فيه . وكان يكتمه برهة من الزمان . فظهر ذلك السكين فى قالب ، صورته حق ومعناه باطل .

فصل

وفى الجملة - أيدكم الله - إذا رأيتم طاعنا على صاحبكم فافتقدوه فى عقله أولا ، ثم فى فهمه ، ثم فى صدقه ، ثم فى سنّته . فاذا وجدتم الاضطراب فى عقله ، دلّكم على جهله بصاحبكم . وما يقول فيه وعنه . ومثله قلة الفهم . ومثله عدم الصدق ، أو قصوره ، لأن نقصان الفهم يؤدى إلى نقصان الصدق بحسب ما غاب عقله عنه . ومثله العلو فى السنّ فانه يشيخ فيه الرأى والعقل كما تشيخ فيه القوى الظاهرة الحسيّة ، فاتهموا مثل هذا الشخص واحذروه ، وأعرضوا عنه إعراض مداراة بلا جدل ولا خصومة .

وصفة الامتحان بصحة إدراك الشخص وعقله وفهمه : أن تسأله

عن مسألة سلوكية . أو علمية ، فإذا أجاب عنها فأوردوا على الجواب إشكالا متوجها بتوجيه صحيح ، فإن رأيتم الرجل يروح يميننا وشمالا . ويخرج عن ذلك المعنى إلى معان خارجة ، وحكايات ليست في المعنى حتى ينسى رَبُّ المسألة سؤاله ، حيث تَوَهَّه عنه بكلام لافائدة فيه ، فمثل هذا لا تعتمدوا على طعنه ، ولا على مدحه ، فانه ناقص الفطرة ، كثير الخيال ، لا يثبت على تحرّى المدارك العلمية ، ولا تنكروا مثل إنكار هذا . فانه اشتهر قيام ذى الْحَوِيْضَةِ التَّمِيْمِي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله له « اعدل — فانك لم تعدل — إن هذه قسمة لم يردبها وجه الله تعالى » أو نحو ذلك .

فوقوع هذا وأمثاله من بعض معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم . فانه قال : « لَتَرَ كِبُيَّ سَنَنٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذَوْ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ » وإن كان ذلك في اليهود والنصارى ، لكن لما كانوا منحرفين عن نهج الصواب ، فكذلك يكون في هذه الأمة من يحذو حَذَوْ كل منحرف وجد في العالم ، متقدما كان أو متأخرا ، حَذَوْ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلوه .

يا سبحان الله العظيم ، أين عقول هؤلاء ؟ أعميت أبصارهم وبصائرهم ؟ أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والخيبة في الزمان المظلم المدلم ، الذى قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا ؟ وقد بقيت هذه الخطة الضيقة ،

يُسَمُّ الْمُؤْمِنُونَ فِيهَا رَاحَتَهُ الْإِسْلَامَ ؟ وَفِي هَذِهِ الْخَطَّةِ الضَّيْقَةُ مِنَ الظَّالِمَاتِ
 مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَالذُّعَاةِ إِلَى الْبَاطِلِ وَإِقَامَتِهِ ، وَدَحْضِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مَا لَا
 يَحْصُرُ فِي كِتَابٍ . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَرَحِمَ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِإِقَامَةِ رَجُلٍ قَوِيٍّ
 الْهِمَّةِ ، ضَعِيفِ التَّرْكِيبِ ، قَدَفَرَّقَ نَفْسَهُ وَهَمَّهُ فِي مَصَالِحِ الْعَالَمِ ، وَإِصْلَاحِ
 فُسَادِهِمْ ، وَالْقِيَامِ بِمَهْمَاتِهِمْ ، وَحَوَائِجِهِمْ ، ضَمَّنَ مَا هُوَ قَائِمٌ بِصَدْدِ الْبِدْعِ
 وَالضَّلَالَاتِ ، وَتَحْصِيلِ مَوَادِّ الْعِلْمِ النَّبَوِيِّ الَّذِي يَصْلُحُ بِهِ فُسَادُ الْعَالَمِ ،
 وَيُرْدهُمْ إِلَى الدِّينِ الْأَوَّلِ الْعَتِيقِ جُهْدًا إِمْكَانَهُ ؟ وَإِلَّا فَايْنَ حَقِيقَةُ الدِّينِ الْعَتِيقِ ؟
 فَهُوَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ قَائِمٌ بِجُمْلَةٍ ذَلِكَ وَحْدَهُ ، وَهُوَ مُنْفَرِدٌ بَيْنَ أَهْلِ
 زَمَانِهِ ، قَلِيلٍ نَاصِرِهِ ، كَثِيرٍ خَاذِلِهِ ، وَحَاسِدِهِ ، وَالشَّامِتِ فِيهِ !! .

فَمَثَلُ هَذَا الرَّجُلِ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، وَقِيَامِهِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الْخَطِيرِ
 فِيهِ . أَيْقَالَ لَهُ : لَمْ يَرِدْ عَلَى الْأَحْمَدِيَّةِ ؟ لَمْ لَا تَعْدِلْ فِي الْقِسْمَةِ ؟ لَمْ تَدْخُلْ
 عَلَى الْأَمْرَاءِ ؟ لَمْ تَقْرُبْ زَيْدًا وَعَمْرًا ؟

أَفَلَا يَسْتَحْيِي الْعَبْدَ مِنَ اللَّهِ ؟ يَذْكُرُ مَثَلِ هَذِهِ الْجَزْئِيَّاتِ فِي مُقَابَلَةِ
 هَذَا الْعِبِّ الثَّقِيلِ ؟ وَلَوْ حُقِّقَ الرَّجُلُ عَلَى هَذِهِ الْجَزْئِيَّاتِ وَجَدَ عِنْدَهُ
 نَصُوصَ صَحِيحَةٍ ، وَمَقَاصِدَ صَحِيحَةٍ وَنِيَّاتَ صَحِيحَةٍ !! تَغْيِبُ عَنْ
 الضَّغْفَاءِ الْعُقُولِ ، بَلْ عَنِ الْكَمَلِ مِنْهُمْ ، حَتَّى يَسْمَعُوهَا .

أَمَّا رَدُّهُ عَلَى الطَّائِفَةِ الْفُلَانِيَّةِ أَيُّهَا الْمَفْرُطُ النَّائِبُ ، الَّذِي لَا يَدْرِي

ما يقول . أفية قوم دين محمد بن عبد الله الذى أنزل من السماء ، إلا بالظن على هؤلاء ؟ وكيف يظهر الحق إن لم يخذل الباطل ؟ لا يقول مثل هذا إلا تائه ، أو مُسنٍّ أو حاسد .

وكذا القسمة للرجل ، فى ذلك اجتهاد صحيح . ونظر إلى مصالح ترتب على إعطاء قوم دون قوم ، كما خصَّ الرسول صلى الله عليه وسلم الطُّلَقَاء بمائة من الإبل ، وحرَّم الأنصار ! حتى قال منهم أحداً منهم شيئاً فى ذلك . لاذووا أحلامهم ، وفيها قام ذو الخويصرة فقال ما قال ، وأما دخوله على الأمراء ، فلو لم يكن ، كيف كان شَمَّ الأمراء رائحة الدين العتيق الخاص ؟ ولو قَشَّ المفتش ، لوجد هذه الكيفية التى عندهم من رائحة الدين ، ومعرفة المنافقين ، إنما اقتبسوها من صاحبكم .

وأما تقريب زيد وعمرو ، فلمصاحبة باطنة . لو قَشَّ عنها مع الانصاف وجد هنالك ما يرى أن ذلك من المصاحبة . ونفرض أنك مصيب فى ذلك ، إذ لا نعتقد العصمة إلا فى الأنبياء ، والخطأ جار على غيرهم ، أيدكر مثل هذا الخطأ فى مقابلة ما تقدم من الأمور العظام الجسام ؟

لا يذكركم مثل هذا فى كراسة ويعدها ، ثم يدور بها على واحد واحد ، كأنه يقول شيئاً ، إلا رجل يسأل الله العافية فى عقله ،

وخاتمة الخير على عمله ، وأن يرده عن انحرافه إلى نهج الصواب ،
بحيث لا يبقى مَعشَرُهُ يُعَيِّبُهُ بعلمه ، وتصنيفه ، من أولى العقول والأحلام
ونستغفر الله العظيم ، من الخطأ والزلل ، فى القول والعمل . والحمد
لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

هذا آخر الرسالة التى سماها مؤلفها
(التذكرة والاعتبار ، والانتصار للأبرار)

فرحم الله من قام بحمل الاصرار ، وتصحيح التوبة النصوح
بالاستغفار إلى عالم الأسرار . نفع الله من وقف عليها ، وأصغى إلى
ما يفتح منها ولديها . آمين

[فتاوى الشيخ بدمشق]

و بعض اختياراته التى خالف فيها المذاهب الأربعة ، أو بعضها]
أثم إن الشيخ رحمه الله بعد وصوله من مصر إلى دمشق واستقراره
بها ، لم يزل ملازماً للاشتغال والاشغال ، ونشر العلم وتصنيف الكتب
وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة وغيرها ، ونفع الخلق والإحسان
إليهم ، والاجتهاد فى الأحكام الشرعية

ففي بعض الأحكام يفتى بما أدى إليه اجتهاده ، من موافقة أئمة
المذاهب الأربعة ، وفي بعضها قد يفتى بخلافهم ، أو بخلاف المشهور من
مذاهبهم

ومن اختياراته التي خالفهم فيها ، أو خالف المشهور من أقوالهم :
القول بقصر الصلاة في كل ما يُسمَّى سفراً ، طويلاً كان أو قصيراً .
كما هو مذهب الظاهرية . وقول بعض الصحابة .

والقول بأن البكر لا تُستَبْرأ ، وإن كانت كبيرة . كما هو قول ابن
عمر . واختاره البخاري صاحب الصحيح .

والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء . كما يشترط للصلاة .
كما هو مذهب ابن عمر . واختيار البخاري أيضاً .

والقول بأن من أكل في شهر رمضان معتقداً أنه ليل . فبان
نهاراً لا قضاء عليه . كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
وإليه ذهب بعض التابعين ، وبعض الفقهاء بعدهم .

والقول بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة . كما هو
في حق القارن والمفرد . كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما . ورواية
عن الامام أحمد بن حنبل . رواها عنه ابنه عبد الله . وكثير من أصحاب
الامام أحمد لا يعرفونها .

والقول بجواز المسابقة بلا مُحَلَّل . وإن خرج المتسابقان .
والقول باستبراء المحتلّة بحیضة . وكذلك الموطوءه بشبهة .
والمطلقة آخر ثلاث تطليقات .

والقول باباحة وطء الوثنيات بملك اليمين .
والقول بجواز عقد الرّداء في الإحرام . ولا فدية في ذلك ، وجواز
طواف الحائض . ولا شيء عليها ، إذا لم يمكنها أن تطوف طاهراً .
والقول بجواز بيع الأصل بالعصير . كالزيتون بالزيت . والسهم
بالشیرج .

والقول بجواز الوضوء بكل ما يسمّى ماء ، مطلقاً كان أو مُقَيّداً .
والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلى وغيره . كالخاتم
ونحوه ، بالفضة متفاضلاً ، وجعل الزائد من الثمن في مقابلة الصّنع .
والقول بأن المانع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا . أن يتغير ،
قليلاً كان أو كثيراً .

والقول بجواز التيمم لمن خاف فوات العيد والجمعة باستعمال الماء
والقول بجواز التيمم في مواضع معروفة .
والجمع بين الصلاتين في أما كن مشهورة .
وغیر ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله .

وكان يميل أخيرا لتوريث المسلم من الكافر الذمي ، وله في ذلك مصنف وبحث طويل .

ومن أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسبب الافتاء بها ريحٌ وقلاقل : قوله بالتكفير في الحلف بالطلاق .

وأن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة .

وأن الطلاق المحرم لا يقع

وله في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة . منها : —

قاعدة كبيرة سماها « تحقيق الفرقان بين التطليق والايان » نحو أربعين كراسة .

وقاعدة سماها « الفرق المبين بين الطلاق واليمين ، بقدر النصف من ذلك .

وقاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفرة ، مجلد لطيف .

وقاعدة في تقرير أن الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة ،

وقاعدة سماها « التفصيل بين التكفير والتحليل »

وقاعدة سماها « اللمعة ^(١) »

(١) بهامش الاصل : لعله اللبحة . لان له رحمه الله قاعدة سماها لمحمة المختطف

وغير ذلك من القواعد والأجوبة في ذلك لا ينحصر ولا ينضب
وله في ذلك جواب اعتراض ، ورد عليه من الديار المصرية . وهو
جواب طويل في ثلاث مجلدات ، بقطع نصف البلدى .

وكان القاضى شمس الدين بن مسلم الحنبلى رحمه الله ، فى يوم الخميس
منتصف شهر ربيع الآخر ، من سنة ثمان عشرة وسبعائة قد اجتمع بالشيخ
وأشار عليه بترك الافتاء فى مسأله الحلف بالطلاق . فقبل الشيخ إشارته
وعرف نصيحته ، وأجاب إلى ذلك .

وكان قد اجتمع الى القاضى جماعة من الكبار حتى فعل ذلك .
فلما كان يوم السبت ، مستهل جمادى الاولى من هذه السنة ، ورد البريد
إلى دمشق . ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى فى مسألة الحلف
بالطلاق ، التى رآها الشيخ تقي الدين بن تيمية وأفتى فيها . وصنف فيها
والأمر بعقد مجلس فى ذلك

فعقد يوم الاثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة . وانفصل الأمر
على ما أمر به السلطان ، ونودى بذلك فى البلد يوم الثلاثاء رابع
الشهر المذكور .

ثم إن الشيخ عاد إلى الافتاء بذلك وقال : لا يسعنى كتمان العلم
فلما كان فى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة

تسع عشرة وسبعائة بُجِعَ القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة ،
وقرئ عليهم كتاب السلطان . وفيه فصل يتعلق بالشيخ ، بسبب الفتوى
في هذه المسألة ، وأحضر وعوتب على فتياه بعد المنع ، وأكد عليه في
المنع من ذلك .

[سمجن الشيخ بسبب فتياه في الطلاق]

فلما كان بعد ذلك بمدة ، في يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب
من سنة عشرين وسبعائة ، عقد مجلس بدار السعادة حضره النائب
والقضاة ، وجماعة من المفتين ، وحضر الشيخ ، وعاودوه في الافتاء بمسألة
الطلاق ، وعاتبوه على ذلك ، وحبسوه بالقلعة ، فبقى فيها خمسة أشهر
وثمانية عشر يوماً

ثم ورد مرسوم السلطان باخراجه . فأخرج منها يوم الاثنين يوم
عاشوراء ، من سنة إحدى وعشرين وسبعائة . وتوجه إلى داره .

ثم لم يزل بعد ذلك يعلم الناس ويلقى الدرس بالحنبلية أحياناً ، ويقراء
عليه في مدرسته بالتقصاصين ، في أنواع من العلم .
وكنت أتردد إليه في هذه المدة أحياناً . وقرأت عليه قطعة من

الأربعين للرازي . وشرَحَهَا لى ، وكتب لى على بعضها شيئاً ، وكان يُقرأ عليه فى تلك المدة من كتبه ، وهو يصلح فيها ، ويزيد وينقص .
ولقد حضرت معه يوماً فى بستان الأمير نخر الدين بن الشمس
لؤاؤ . وكان قد عمل وليمة ، وقرأت على الشيخ فى ذلك اليوم أربعين
حديثاً . وكتب بعض الجماعة أسماء الحاضرين . وأخذ الشيخ بعد ذلك
فى الكلام فى أنواع العلوم . فنهت الحاضرون لكلامه : واشتغلوا بذلك
عن الأكل

ومما حفظت من كلامه فى المجلس قوله :

« يقول الله تعالى فى بعض الكتب : أهلٌ ذكرى أهل
مشاهدتى ، وأهل شكرى أهل زيارتى ، وأهل طاعتى أهل كرامتى .
وأهل معصيتى لأؤيسهم من رحمتى ، إن تابوا فأناحبيهم ، وإن لم يتوبوا
فأنا طبيهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعاييب »
وحصل فى ذلك المجلس خير كثير . وكان فيه غيروا حد من المشايخ .
واستمر الشيخ بعد ذلك على عادته

(الكلام على شد الرحال إلى القبور)

فلما كان فى سنة ست وعشرين وسبعائة وقع الكلام فى مسألة شد

الرحال ، وإعمال المطى إلى قبور الأنبياء والصالحين . وظفروا للشيخ بحجوب سؤال في ذلك . كان قد كتبه من سنين كثيرة . يتضمن حكاية قولين في المسألة ، وحجة كل قول منهما .

وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدم أقدم من الجواب المذكور بكثير . ذكره في كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم » وغيره . وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب الذى ظفروا به .

وكثر الكلام ، والقييل والقال ، بسبب العثور على الجواب المذكور وعظم التشنيع على الشيخ ، وحُرِّفَ عليه . ونُقِلَ عنه ما لم يَقُلْهُ ، وحصل فتنة طار شررها في الآفاق ، واشتد الأمر ، وخيفَ على الشيخ من كَيْدِ القائمين في هذه القضية بالديار المصرية والشامية ، وكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله تعالى . وضعف من أصحاب الشيخ من كان عنده قوة ، وجبن منهم من كانت له همة .

وأما الشيخ — رحمه الله — فكان ثابت الجأش ، قوى القلب وظهر صدق توكله واعتماده على ربه .

ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ فقال أحدهم : ينفى . فنفى القائل . وقال آخر : يُقَطَّعُ لسانه ، فمقطع لسان القائل .

وقال آخر : يُعَزَّر . فعزز القائل .

وقال آخر : يُجْبَس ، فحبس القائل .

أخبرني بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها .

واجتمع جماعة آخرون بمصر ، وقاموا في هذه القضية قياما عظيما ،
 واجتمعوا بالسلطان ، وأجمعوا أمرهم على قتل الشيخ . فلم يوافقهم السلطان
 على ذلك .

[أمر السلطان بحبس الشيخ بقلعة دمشق]

ولما كان يوم الاثنين بعد العصر ، السادس من شعبان من السنة
 المذكورة ، حضر إلى الشيخ من جهة نائب السلطنة بدمشق مشدُّ
 الأوقاف ، وابن خطير ، أحد الحجاب . وأخبراه : أن مرسوم السلطان
 ورد بأن يكون في القلعة ، وأحضرا معها مركوبا .

فأظهر الشيخ السرور بذلك . وقال : أنا كنت منتظرا ذلك .
 وهذا فيه خير عظيم .

وركبوا جميعا من داره إلى باب القلعة ، وأُخليت له قاعة حسنة .

وأجرى إليها الماء ، ورسم له بالاقامة فيها . وأقام معه أخوه زين الدين
يخدمه باذن السلطان . ورسم له بما يقوم بكفايته .

وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرىء بجامع دمشق الكتاب
السلطاني الوارد بذلك . وبمنعه من الفتيا .

وفي يوم الأربعاء ، منتصف شعبان أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة
من أصحاب الشيخ بسجن الحكم ، وذلك بمرسوم النائب وإذنه له في
فعل ما يقتضيه الشرع في أمرهم .

وأودى جماعة من أصحابه . واختفى آخرون . وعزّر جماعة .
ونودي عليهم ، ثم أطلقوا ، سوى الامام شمس الدين محمد بن أبي بكر
إمام الجوزية ، فانه حبس بالقلعة . وسكنت القضية .

« * »

وهذا صورة الفتيا وموافقة البغاددة له وغيرهم :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين . وصلواته وسلامه على محمد وآله .

أما بعد . فهذه فتيا أفتى بها الشيخ الأمام تقي الدين أبو العباس

أحمد بن تيمية رضي الله عنه .

ثم بعد مدة ، نحو سبع عشرة سنة ، أنكرها بعض الناس ، وشنعَ
 بها جماعة عند بعض ولاة الامور . وذكرت بعبارات شنيعة ففهم
 منها جماعة غير ما هي عليه . وانضم إلى الانكار والشناعة وتغيّر الالفاظ
 أمور ، أوجب ذلك كله مكاتبة السلطان - سلطان الاسلام بمصر - أيده
 الله تعالى . فجمع قضاة بلده . ثم اقتضى الرأي حبسه . فحبس بقلعة دمشق
 المحروسة ، بكتاب ورد سابع شعبان المبارك سنة ست وعشرين وسبع مائة .
 وفي ذلك كله لم يحضر الشيخ المذكور بمجلس حكم ، ولا وقف على
 خطّه الذي أنكر ، ولا ادعى عليه بشيء .

فكتب بعض الغرباء من بلده هذه الفتيا ، وأوقف عليها بعض
 علماء بغداد . فكتبوا عليها بعد تأملها ، وقراءة ألفاظها .
 وسئل بعض مالكية دمشق عنها . فكتبوا كذلك . وبلغنا أن
 بمصر من وقف عليها فوافق .

ونبدأ الآن بذكر السؤال الذي كتب عليه أهل بغداد . وبذكر
 الفتيا ، وجواب الشيخ المذكور عليها ، وجواب الفقهاء ، بعده .
 وهذه صورة السؤال والأجوبة : —

المسئول من إتمام السادة العلماء ، والهداة الفضلاء . أئمة الدين ،
 وهداة المسلمين ، وفقهم الله لمرضاته ، وأدام بهم الهداية : أن ينعموا ويتأملوا

الفتوى وجوابها المتصل بهذا السؤال المنسوخ عقبه ، وصورة ذلك :
مايقول السادة العلماء ، أئمة الدين ، نفع الله بهم المسلمين : في رجل
نوى السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، مثل نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم ، وغيره . فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هذه
الزيارة شرعية أم لا ؟ ؟

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من حج ولم يزرني
فقد جفائي » « ومن زارني بعد موتي ، كمن زارني في حياتي » وقد روى
عنه صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال « لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد
المسجد الحرام ومسجدي هذا . والمسجد الأقصى »
افتونا مأجورين رحمكم الله .

الجواب

الحمد لله رب العالمين .

أما من سافر لجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، فهل يجوز له
قصر الصلاة ؟ على قولين معروفين :

أحدهما - وهو قول متقدمي العلماء الذين لا يجوزون القصر في سفر
المعصية . كابي عبد الله بن بطة ، وأبي الوفاء بن عتيق ، وطوائف كثيرة

من العلماء المتقدمين - : أنه لا يجوز القصر في مثل هذا السفر . لأنه سفر منهى عنه . ومذهب مالك والشافعي وأحمد : أن السفر المنهى عنه في الشريعة لا يقصر فيه .

والقول الثاني : أنه يقصر ، وهذا يقوله مَنْ يُجَوِّزُ القصر في السفر الحرام . كأبي حنيفة . ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي ، وأحمد ، ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، كأبي حامد الغزالي ، وأبي الحسن ابن عبدوس الحرائي ، وأبي محمد بن قدامة المقدسي . وهؤلاء يقولون : إن هذا السفر ليس بمحرم . لعموم قوله صلى الله عليه وسلم « زوروا القبور »

وقد يحتاج بعض من لا يعرف الحديث ، بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . كقوله « من زارني بعد مماتي ، فكأنما زارني في حياتي » رواه الدارقطني

وأما ما ذكره بعض الناس من قوله « من حج ولم يزرني فقد جفائي » فهذا لم يروه أحد من العلماء . وهو مثل قوله : « من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة »

فإن هذا أيضاً باتفاق العلماء لم يروه أحد ، ولم يحتاج به أحد ، وإنما يحتاج بعضهم بحديث الدارقطني ونحوه .

وقد احتج أبو محمد المقدسى على جواز السفر لزيارة القبور بأنه صلى الله عليه وسلم ، كان يزور مسجد قباء .

وأجاب عن حديث « لا تشد الرحال » بأن ذلك محمول على نفى الاستحباب .

وأما الأولون ، فإنهم يحتجون بما فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى »

وهذا الحديث مما اتفق الأئمة على صحته والعمل به ، فلو نذر أن يشد الرحل ليصلى بمسجد ، أو مشهد ، أو يعتكف فيه ويسافر إليه ، غير هذه الثلاثة . لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة .

ولو نذر أن يسافر ويأتى المسجد الحرام لحج أو عمرة . وجب عليه ذلك باتفاق العلماء .

ولو نذر أن يأتى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف . وجب عليه الوفاء بهذا النذر ، عند مالك والشافعى فى أحد قوليه . وأحمد . ولم يجب عليه عند أبى حنيفة ، لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان جنسه واجباً بالشرع .

أما الجمهور ، فيوجبون الوفاء بكل طاعة . كما ثبت فى صحيح

البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه »

والسفر إلى المسجدين طاعة ، فلهذا وجب الوفاء به .

وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة ، فلم يوجب أحد من العلماء
السفر إليه إذا نذره ، حتى نصَّ العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء
لأنه ليس من المساجد الثلاثة ، مع أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن
كان في المدينة . لأن ذلك ليس بشد رحل . كما في الحديث الصحيح :
« من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، لا يريد إلا الصلاة فيه ،
كان كعمرة »

قالوا : ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة ، لم
يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أمر بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك
عبادة ، وفعله ، فهو مخالف للسنة وإجماع الأئمة .

وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطة في الإبانة الصغرى من البدع
المخالفة للسنة والاجماع .

وبهذا يظهر بطلان حجة أبي محمد المقدسى . لأن زيارة النبي
صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، ولأن السفر إليه
لا يجب بالنذر .

وقوله : بأن الحديث الذى مضمونه « لا تشد الرحال » : محمول

على نفي الاستحباب . يحجب عنه بوجهين

أحدهما - أن هذا - إن سلم - فيه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ،
ولا قرينة ، ولا طاعة ، ولا هو من الحسنات . فإذا من اعتقد أن السفر
لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قرينة وعبادة وطاعة ، فقد خالف الاجماع .
وإذا سافر لاعتقاد أن ذلك طاعة ، كان ذلك محرماً باجماع المسلمين ، فصار
التحريم من جهة اتخاذه قرينة ، ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك .
وأما إذا نذر الرجل أن يسافر إليها لغرض مباح ، فهذا جائز ، وليس
من هذا الباب .

الوجه الثانى : أن هذا الحديث يقتضى النهى ، والنهى يقتضى
التحريم . وما ذكره من الأحاديث فى زيارة قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فكلاهما ضعيفة ، باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هى موضوعة .
لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة
بشيء منها ، بل مالك - إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم
هذه المسألة . كره أن يقول الرجل : زرت قبر النبي صلى الله عليه
وسلم ، ولو كان هذا اللفظ معروفاً عندهم ، أو مشروعا ، أو مأثورا عن
النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه عالم أهل المدينة

والامام أحمد أعلم الناس فى زمانه بالسنّة . لما سئل عن ذلك ، لم

يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث ، إلا حديث أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من رجل يُسلم على إلّاردّ
الله على رُوحى حتى أرد عليه السلام »
وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه .

وكذلك مالك في الموطأ ، روى عن عبد الله بن عمر « أنه كان إذا
دخل المسجد قال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ،
السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف »

وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« لاتتخذوا قبرى عيدا ، وصأوا على » ، فإن صلاتكم تبلغنى حينما كنتم »
وفي سنن سعيد بن منصور « أن عبد الله بن حسن بن حسن بن
علي بن أبي طالب ، رأى رجلا يختلف إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاتتخذوا قبرى عيدا .
وصلوا على » . فإن صلاتكم حينما كنتم تبلغنى » فما أنت ورجل بالانداس
منه إلا سواء »

وفي الصحيحين عن عائشة : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
في مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
(٢٢ - العقود الدرية)

يُحَدِّثُ مَا فَعَلُوا . ولو لاذك لأُبْرِزَ قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجداً
وهم دفنوه صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضى الله عنها ،
خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء . لئلا يصلى أحد عند قبره
ويتخذ مسجداً ، فيتخذ قبره وثناً .

وكان الصحابة والتابعون - لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن
المسجد ، إلى زمن الوليد بن عبد الملك - لا يدخل أحد إليه ، لا لصلاة
هناك ، ولا تمسح بالقبر ، ولا دعاء هناك . بل هذا جميعه إنما كانوا يفعلونه
في المسجد .

وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا على النبي صلى الله
عليه وسلم ، وأرادوا الدعاء دعوا مستقبل القبلة ، ولم يستقبلوا القبر .
وأما الوقوف للسلام عليه ، صلوات الله عليه وسلامه ، فقال أبو حنيفة :
يستقبل القبلة أيضاً ، ولا يستقبل القبر .

وقال أكثر الأئمة : يستقبل القبر عند الدعاء .

وليس في ذلك إلا حكاية مكذوبة ، تروى عن مالك ، ومذهبه بخلافها .
واتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يقبله .

وهذا كله محافظة على التوحيد ، فان من أصول الشرك بالله :
اتخاذ القبور مساجد ، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى : (وقالوا
لَا تَذَرْنِا آَلِهَتَكُمْ ، وَلَا تَذَرْنِا وُدًّا ، وَلَا سُواءًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)
قالوا « هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على
قبورهم ، ثم صوروا على صورهم تماثيل ، ثم طال عليهم الأمد فعبدها »
وقد ذكر البخارى في صحيحه هذا المعنى عن ابن عباس .

وذكره محمد بن جرير الطبرى وغيره في التفسير عن غير واحد من
السلف وذكره وثيمة^(١) وغيره في قصص الانبياء ، من عدة طرق .

وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع^(٢)
وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التى على
القبور : أهل البدع ، من الرافضة ونحوهم ، الذين يعطلون المساجد ،
ويعظمون المشاهد ، يدعون بيوت الله التى أمر أن يُذكر فيها اسمه ، ويعبد

(١) بفتح الواو وكسر التاء وإسكان الباء وفتح الميم .

(٢) فى قاعدة جلية فى التوسل والوسيلة ، وفى الرد على الاخوانى
والبكري ، وفى اقضاء الصراط المستقيم ، وفى منهاج السنة . وغير ذلك
كثير .

وحده لاشريك له ، ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب ،
 ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانا ، فان الكتاب والسنة ، إنما فيهما
 ذكر المساجد ، دون المشاهد ، كما قال تعالى (قل أمر ربي بالقسط ،
 وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين)
 وقال تعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)
 وقال تعالى : (ولا تبشروا بهنَّ وأنتم عاكفون في المساجد)
 وقال تعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)
 وقال تعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها
 اسمه وسعى في خرابها ؟)

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح : أنه كان يقول « إن
 من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور
 مساجد ، فاني أنهاكم عن ذلك »

هذا آخر ما أجاب به شيخ الاسلام والله سبحانه وتعالى أعلم .
 وله من الكلام في مثل هذا كثير ، كما أشار إليه في الجواب .
 ولما ظفروا في دمشق بهذا الجواب كتبوه ، وبعثوا به إلى الديار المصرية
 وكتب عليه قاضي الشافعية :

قابلت الجواب عن هذا السؤال ، المكتوب على خط ابن تيمية .

فصح - الى أن قال : وإنما الحرف جعله : زيارة قبر النبي صلى الله عليه

وسلم وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم معصية بالاجماع مقطوع بها

هذا كلامه . فانظر إلى هذا التحريف على شيخ الاسلام ، والجواب

ليس فيه المنع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين . وإنما ذكر فيه قولين

في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور . وزيارة القبور من غير شد

رحل إليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى .

والشيخ لا يمنع الزيارة الحالية عن شد رحل ، بل يستحبها ، ويندب

إليها . وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض الشيخ إلى هذه الزيارة

في الفتيا ، ولا قال : إنها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها . والله

سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية .

ولما وصل خط القاضي المذكور إلى الديار المصرية ، كثر الكلام

وعظمت الفتنة ، وطلب القضاة بها ، فاجتمعوا وتكلموا ، وأشار بعضهم

بحبس الشيخ . فرسم السلطان به . وجرى ما تقدم ذكره .

ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين في هذه القضية لا يمكن ذكرها

في هذا الموضع .

[انتصار علماء بغداد]

[للشيخ في مسألة شد الرحال للقبور]

وقد وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى علماء بغداد ، فقاموا في الانتصار له ، وكتبوا بموافقته ، ورأيت خطوطهم بذلك وهذا صورة ما كتبوا :

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى : —

بعد حمد الله السابعة نعمه ، السابقة مننه . والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين : محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .
إنه حيث قد منَّ الله تعالى على عباده ، وتفضل برحمته على بلاده بأن وسَّد أمور الأمة المحمدية ، وأسند أزمة الملة الحنيفية ، إلى من خصصه الله تعالى بأفضل الكمالات النفسانية ، وخصص بأكمل السعادات الروحانية ، محيي سُنن العدل ، ومُبدي سُنن الفضل ، المعتصم بحبل الله ، المتوكل على الله ، المكتفي بنعم الله ، القائم بأوامر الله ، المستظهر بقوة الله المستضيء بنور الله ، أعز الله سلطانه ، وأعلى على سائر الملوك شأنه ، ولا زالت رقاب الأمم خاضعة لأوامره ، وأعناق العباد طائفة لمراسمه ، ولا زال مؤالى دولته بطاعته مجبوراً ، ومعادى صواته بخزيه مذموماً مدحوراً .

فالمرجو من الطاف الحضرة المقدسة — زادها الله تعالى علواً وشرفاً — أن يكون للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وصفوة الأصفياء ، وعماد الدين ، ومدار أهل اليقين ، حظ من العناية السلطانية وافر ، ونصيب من الرحمة والشفقة ، فإنها مَنْقَبَةٌ لا يعادلها فضيلة ، وحَسَنَةٌ لا يحيطها سيئة ، لأنها حقيقة التعظيم لأمر الله تعالى ، وخلاصة الشفقة على خلق الله تعالى ولا ريب أن المملوك وقف على ما سئل عنه الشيخ الامام العلامة وحيد دهره ، وفريد عصره ، تقي الدين أبو العباس ، أحمد بن تيمية وما أجاب به .

فوجدته خلاصة ما قاله العلماء في هذا الباب حسب ، ما اقتضاه الحال من نقله الصحيح ، وما أدى اليه البحث من الالتزام والالتزام ، لا يدخله تحامل . ولا يعتريه تجاهل . وليس — فيه والعياذ بالله — ما يقتضى الازراء والتنقيص بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف يجوز للعلماء أن يحملهم العصبية : أن يتفوهوا بالازراء والتنقيص في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وهل يجوز أن يتصور متصور : أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم تزيد في قدره ، وهل تركها مما ينقص من تعظيمه ؟ حاشا للرسول من ذلك .

نعم لو ذكر ذلك ذا كر ابتداء ، وكان هناك قرائن تدل على الأزاراء
والتنقيص ، أمكن حمله على ذلك . مع أنه كان يكون كناية لا صريحاً
فكيف وقد قاله في معرض السؤال ، وطريق البحث والجدل ؟ ؟

مع أن المفهوم من كلام العلماء ، وأنظار العقلاء : أن الزيارة ليست
عبادة وطاعة لمجردھا ، حتى لو حلف : أنه يأتي بعبادة أو طاعة ، لم يبرِّ بها
لكن القاضي ابن كنج — من متأخري أصحابنا — ذكر أن نذر
هذه الزيارة عنده قرينة تلزم ناذرها .

وهو منفرد به ، لا يساعده في ذلك نقل صريح ولا قياس صحيح .
والذي يقتضيه مطلق الخبر النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم :
« لا تشد الرحال — إلى آخره » أنه لا يجوز شد الرحال إلى غير ما ذكر
أو وجوبه ، أو نديته . فإن فعله كان مخالفاً لصريح النهي ، ومخالفة النهي
معصية — إما كفر ، أو غيره — على قدر المنهى عنه ، ووجوبه ،
وتحريمه ، وصفة النهي والزيارة أخص من وجه . فالزيارة بغير شد غير
منهى عنها ، ومع الشد منهى عنها .

وبالجملة ، فما ذكره الشيخ تقي الدين على الوجه المذكور الموقوف
عليه ، لم يستحق عليه عقاباً ، ولا يوجب عتاباً .

والمراحم السلطانية أخرى بالتوسعة ، والنظر بعين الرأفة والرحمة إليه .
وللآراء المسكية علوّ المزيد .

حرره ابن السكيتي الشافعي . حامداً لله على نعمه . اهـ

جواب آخر

الله الموفق

ما أجاب به الشيخ الأجل الأوحى ، بقية السلف ، وقدوة الخلف
رئيس المحققين ، وخلاصة المدققين ؛ تقي الملة والحق والدين :

من الخلاف في هذه المسألة : صحيح منقول في غير ما كتب من كتب
أهل العلم ، لا اعتراض عليه في ذلك ، إذ ليس في ذلك ثَلْبٌ لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولا غَضٌّ من قدره صلى الله عليه وسلم .

وقد نص الشيخ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة
القبور . وهذا اختيار القاضي الإمام عياض بن موسى بن عياض في
إكمالهِ . وهو من أفضل المتأخرين من أصحابنا ^(١)

(١) بهامش الأصل ما نصه :

قال القسطلاني في شرح البخاري ، في شرح باب فضل بيت المقدس .

ومن المدونة : ومن قال : على المشي إلى المدينة ، أو بيت المقدس ، فلا يأتيهما أصلا ، إلا أن يريد الصلاة في مسجديهما ، فليأتيهما ؟ فلم يجعل نذر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم طاعة يجب الوفاء بها ، إذ من أصلنا : أن من نذر طاعة لزمه الوفاء بها ، كان من جنسها ما هو واجب بالشرع ، كما هو مذهب أبي حنيفة ، أو لم يكن .

إذ تكلم على حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » : الاستثناء مفرغ ، والتقدير : لا تشد الرحال إلى موضع . ولازمه منع السفر إلى كل موضع غيرها ، كزيارة صالح ، أو قريب ، أو طلب علم ، أو تجارة ؛ لأن المستثنى منه في المفرغ ، يقدر بأعم . لكن المراد بالعموم هنا : الموضع المخصوص ، وهو المسجد ، كما مر تقريره . واختلف في شد الرحل إلى غيرها ، يعني : الثلاثة المساجد ، كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً ، وإلى المواضع الفاضلة للصلاة فيها والتبرك بها .

فقال أبو محمد الجويني : يحرم ، عملاً بظاهر الحديث . واختاره القاضي حسين . وقال به القاضي عياض وطائفة . انتهى بالقظه . وقد سبقه إلى ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري فيسع ابن تيمية رحمه الله ، في منعه شد الرحل لزيارة القبور ما وسع أبا محمد الجويني ؛ والقاضيين حسيناً وعياضاً ؛ وغيرهم ، إن كان الانصاف يعد مرضاة أه كذا في المنقول عنه

قال القاضي أبو اسحق اسمعيل بن اسحق ، عقيب هذه المسألة :
ولولا الصلاة فيهما لما لزمه إتيانهما ، ولو كان نذر زيارة طاعة لما لزمه ذلك
وقد ذكر ذلك القيرواني في تقريره ، والشيخ ابن سيرين في تنبيهه
وفي المبسوط : قال مالك : ومن نذر المشي إلى مسجد من المساجد
ليصلي فيه . قال : فاني أكره ذلك له . لقوله صلى الله عليه وسلم
« لا تُعْمَلُ المَطِيُّ ، إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد
بيت المقدس ، ومسجدي هذا » وروى محمد بن المَوَازِي في المَوَازِي :
إلا أن يكون قريباً ، فيلزمه الوفاء ، لأنه ليس بشد رَحْل .

وقد قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر في كتابه « التمهيد » : يحرم
على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد .

وحيث تقرر هذا فلا يجوز أن ينسب من أجاب في هذه المسألة
بأنه سفر منهى عنه . إلى الكفر ، فمن كفره بذلك من غير موجب ، فإن
كان مستبيحاً ذلك فهو كافر ؛ وإلا فهو فاسق

قال الامام أبو عبد الله محمد بن علي المازري : في كتاب المعلم :
من كفر أحداً من أهل القبلة ، فإن كان مستبيحاً ذلك فقد كفر ، وإلا
فهو فاسق . يجب على الحاكم إذا رفع أمره إليه أن يؤدبه ، ويعزّره بما يكون
رادعاً لأمثاله ، فإن ترك مع القدرة عليه . فهو آثم . والله تعالى أعلم اهـ

كتبه محمد بن عبد الرحمن البغدادي ، الخادم للطائفة المالكية
بالمدرسة الشريفة المستنصرية . رحمة الله على منشئها

أجاب غيره فقال

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد ، وعلى آله الطاهرين
ما ذكره مولانا الامام ، العالم العامل ، جامع الفضائل والفوائد ،
بحر العلوم ، ومنشأ الفضل جمال الدين ، كاتب خطه أمام خطي هذا ،
جمل الله به الاسلام ، وأسبغ عليه سوايق الانعام ، أتى فيه بالحق الجلي
الواضح ، وأعرض فيه عن إغضاء المشايخ ، إذ السؤال والجواب اللذان
تقدماه ، لا يخفى على ذى فطنة وعقل ، أنه أتى في الجواب المطابق
للسؤال ، بحكاية أقوال العلماء الذين تقدموه ، ولم يبق عليه في ذلك إلا
أن يعترضه معترض في نقله ، فيبرزه له . من كتب العلماء الذين حكى
أقوالهم . والمعارض له بالتشنيع ، إما جاهل لا يعلم ما يقول ، أو متجاهل
يحملة حسده وحمية الجاهلية على رد ما هو عند العلماء مقبول ، أعاذنا
الله تعالى من غوائل الحسد ، وعصمنا من مخائل النكد ، بمحمد وآله الطيبين
الطاهرين ؛ والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى عفوره ورضوانه . عبد المؤمن بن عبد الحق
الخطيب . غفر الله له وللمسلمين أجمعين .

وأجاب غيره فقال

بعد حمد الله الذي هو فاتح كل كلام ، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام ، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، أعلام الهدى ومصابيح الظلام .

يقول أفقر عباد الله ، وأحوجهم إلى عفوه : ما حكاه الشيخ الامام البارع الهمام ، افتخار الأنام ، جمال الاسلام ، ركن الشريعة ، ناصر السنة ، قانع البدعة ، جامع أشتات الفضائل قدوة العلماء الأماثل ، في هذا الجواب ، من أقوال العلماء ، والأئمة النبلاء - رحمة الله عليهم أجمعين - يَبَيِّنُ لا يُدْفِعُ . ومكشوف لا يَتَقَنَّعُ ، بل أوضح من النيرين ، وأظهر من فرق الصبح لذي عينين ، والعُمدة في هذه المسألة : الحديث المتفق على صحته . ومنشأ الخلاف بين العلماء من احتمالي صيغته .

وذلك : أن صيغة قوله صلى الله عليه وسلم « لا تُشَدُّ الرحال » ذات وجهين ، نفى ونهى . لاحتمالها . فان لحُظَ معنى النفي فمقتضاه ^(١) : نفى فضيلة واستحباب شد الرحال ، وإعمال المطى إلى غير المساجد الثلاثة إذ لو فرض وقوعهما لا متنع رفعهما . فتعين توجه النفي إلى فضيلتهما

(١) بهامش الأصل : « فعناه » كذا في الأصل على هامشه اه أبو اسماعيل

واستحبابهما دون ذاتهما ، وهذا عام في كل ما يعتقد أن إعمال المطي وشدة الرحال إليه قرينة وفضيلة : من المساجد ، وزيارة قبور الصالحين ، وما جرى هذا المجرى ، بل أعم من ذلك . وإثبات ذلك بدليل ضرورة إثبات ذلك المنفى المقدّر في صدر الجملة لما بعد « إلا » . وإلا لما افترق الحكم بين ما قبلها وما بعدها ، وهو مفترق حينئذ . لا يلزم من نفى الفضيلة والاستحباب نفى الإباحة ، فهذا وجه متمسك من قال بإباحة هذا السفر ، بالنظر إلى أن هذه الصيغة نفى . وبني على ذلك جواز القصر .

وإن كان النهي ملحوظا . فالمعنى نهيه عن إعمال المطي وشدة الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ، إذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهي عن الشيء قاضٍ بتحريمه أو كراهته ، على حسب مقتضى الأدلة ، فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر ، لكونه منهيًا عنه . وممن قال بحرمته : الشيخ الإمام أبو محمد الجويني من الشافعية ، والشيخ أبو الوفاء ابن عقيل من الحنابلة ، وهو الذي أشار القاضي عياض من المالكية إلى اختياره

وما جاء من الأحاديث في استحباب زيارة القبور ، فمحمول على ما لم يكن فيه شدّ رحل وإعمال مطي ، جمعاً بينهما .

ويحتمل أن يقال : لا يصلح أن يكون غير حديث « لا تشد الرحال » معارضاً له ، لعدم مساواته إياه في الدرجة . لكونه من أعلى أقسام الصحيح . والله أعلم .

وقد بلغني أنه رُزِيَ وضُيق على الحبيب . وهذا أمر يحارفيه اللبيب ويتعجب منه الأريب ؛ ويقع به في شك مريب .

فإن جوابه في هذه المسألة قاضٍ بذكر خلاف العلماء . وليس حاكماً بالغض من الصالحين والأنبياء . فإن الأخذ بمقتضى كلامه ، صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق على صحة رفعه إليه : هو الغاية القصوى ، في تتبع أوامره ونواهيه ، والعدول عن ذلك محذور ، وذلك مما لا مريئة فيه .

وإذا كان كذلك فأى حرجٍ على مَنْ سُئِلَ عن مسألة فذكر فيها خلاف الفقهاء ، ومال فيها إلى بعض أقوال العلماء ؟ فإن الأمر لم يزل كذلك على ممرِّ العصور ، وتعاقب الدهور .

وهل ذلك محمول من القادح إلا على امتطاء نضو الهوى المفضى بصاحبه إلى التوى ، فإن مَنْ يُقْتَبَسَ من فوائده ، ويلتقط من فرائده ، لحقيق بالتعظيم ، وخليق بالتكريم . ممن له الفهم السليم ، والذهن المستقيم . وهل حكم المظاهر عليه في الظاهر ، إلا كما قيل في المثل السائر ، وقول الشاعر :

الشعير يؤكل ويذم

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يحجزى سينمار
غيره :

وحديث ألد ، وهو مما يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
منطق رائع . وَيَلْحَنُ أَحْيَا نا . وخير الحديث ما كان لحنك
وقال الله تعالى : (وَلَا يَجْرِ مِنْكُمْ شَتَانٌ قَوْمٌ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا ،
اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وقال تعالى .
(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) وقال تعالى (وَلَيَنْصُرَنَّ
اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

ولولا خشية الملالة ، لما نكبت عن الاطالة

نسأل الله الكريم ، أن يسلك بنا وبكم سبيل الهداية ، وأن
يجنبنا وإياكم مسلك الغواية . إنه على كل شيء قدير . وبالإجابة جدير .
حسبنا الله ونعم الوكيل ونعم النصير

والحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله وسلامه على سيد المرسلين ،
محمد النبي وآله الطاهرين ، وأصحابه الكرام المنتخبين .

هذا جواب الشيخ الامام العلامة جمال الدين يوسف بن عبد الحمود
ابن عبد السلام بن البقي الحنبلي رحمه الله تعالى .
قال المؤلف : ومن خطه نقلت

جواب آخر

لبعض علماء أهل الشام المالكية

الحمد لله ، وهو حسبي .

السفر إلى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع . وأما من سافر إلى
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ليصلي فيه ويسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى صاحبيه رضي الله عنهما ، فمشروع ، كما ذكر باتفاق العلماء
وأما لو قصد إعمال المطى لزيارته صلى الله عليه وسلم ، ولم يقصد
الصلاة ، فهذا السفر إذا ذكر رجل فيه خلافاً للعلماء : وأن منهم من قال ،
إنه منهي عنه . ومنهم من قال : إنه مباح . وأنه على القولين ليس
بطاعة ، ولا قرابة ، فمن جعله طاعة وقرابة على مقتضى هذين القولين
كان حراماً بالإجماع ، وذکر حجة كل قول منهما ، أو رجح أحد القولين .
لم يلزمه ما يلزم من تنقص ، إذ لا تنقص ولا إزاء بالنبي صلى الله
عليه وسلم .

وقد قال مالك رحمه الله ، اسأئل سألته : أنه نذر أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إن كان أراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليأته ، وليصل فيه . وإن كان أراد القبر فلا يفعل ، للحديث الذي جاء « لَا تَعْمَلِ الْمَطِيَّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ » والله أعلم

كتبه أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي .

كذلك يقول عبد الله بن أبي الوليد المالكي :

قال المؤلف رحمه الله : نقلت هذه الأجوبة كلها من خط المفتين بها قال : ووقفت على كتاب ورد مع أجوبة أهل بغداد ، وصورته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ناصر الملة الإسلامية ، ومُعِزَّ الشريعة المحمدية ، بدوام أيام الدولة المباركة السلطانية ، المالكية ، الناصرية ؛ ألبسها الله تعالى لباس العزِّ المقرون بالدوام ، وحلَّها بحلَّةِ النَّصْرِ المستمرِّ بمرور الليالي والأيام ؛ والصلاة والسلام ، على النبي المبعوث إلى جميع الأنام : صلى الله عليه وعلى آله البررة السَّكرام .

اللهم إن بابك لم يزل مفتوحاً للسائلين ، ورِفْدُكَ ما بَرَحَ مبدولاً للوافدين ، مَنْ عَوَّدَته مسألتك وحدك ، لم يسأل أحداً سواك ، وَمَنْ

مَنْحَتَهُ مَنَاحَ رِفْدِكَ ، لَمْ يَفِدْ عَلَى غَيْرِكَ ، وَلَمْ يَحْتَمِ إِلَّا بِحَاكِ . أَنْتَ الرَّبُّ
 الْعَظِيمُ الْكَرِيمُ الْأَكْرَمُ ، قَصْدُ بَابِ غَيْرِكَ عَلَى عِبَادِكَ مُحَرَّمٌ . أَنْتَ
 الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، وَلَا مَعْبُودَ سِوَاكَ ، عَزَّ جَارُكَ ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ،
 وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ ، وَعَظُمَ بِلَاؤُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ . وَلَمْ تَزَلْ سُنَّتُكَ
 فِي خَلْقِكَ جَارِيَةً بِامْتِحَانِ أَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ ، تَفْضِلًا مِنْكَ عَلَيْهِمْ ،
 وَإِحْسَانًا مِنْ لَدُنْكَ إِلَيْهِمْ . لِيَزِدَادُوا لَكَ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ ذِكْرًا ،
 وَلِنَعْلَمَكَ فِي جَمِيعِ التَّقْلِبَاتِ شُكْرًا . وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ،
 (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) .

اللَّهُمَّ وَأَنْتَ الْعَالَمُ الَّذِي لَا تَعْلَمُ ، وَأَنْتَ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا تَبْخُلُ ،
 قَدْ عَلِمْتَ يَا عَالِمُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، أَنَّ قُلُوبَنَا لَمْ تَزَلْ تَرْفَعُ إِخْلَاصَ الدُّعَاءِ
 صَادِقَةً ، وَأَسْتَفْتِنَا فِي حَالَتِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ نَاطِقَةً . أَنَّ نَسْتَعْفِفُ بِأَمَدَادِ
 هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الْمِيْمُونَةِ السَّلْطَانِيَةِ النَّاصِرِيَةِ . بِمَزِيدِ الْعِلَاءِ وَالرَّفْعَةِ
 وَالتَّمَكُّنِ ، وَأَنْ تَحَقِّقَ آمَالَنَا فِيهَا بِأَعْلَاءِ السَّكَمَةِ فِي ذَلِكَ ، بِرَفْعِ قَوَاعِدِ
 دُعَائِهِمُ الدِّينَ ، وَقَعْمِ مَكَايِدِ الْمُلْحِدِينَ . لِأَنَّهَا الدَّوْلَةُ الَّتِي بَرَّتْ مِنْ غُشْيَانِ
 الْجَنْفِ وَالْخَيْفِ ، وَسَلَمَتْ مِنْ طُغْيَانِ الْقَلَمِ وَالسَّيْفِ .

وَالَّذِي يَنْطَوِي عَلَيْهِ ضَمَائِرُ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ سَرَائِرُ
 الْمُؤْمِنِينَ : أَنَّ السَّلْطَانَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ لِلدِّينِ ، مِمَّنْ قَالَ فِيهِ رَبُّ

العالمين ، وآله السموات والأرضين : الذى بتمكينه فى أرضه ، حصل التمكين للملوك الأرض ، وعظماء السلاطين ، فى كتابه العزيز الذى يتلى ، فمن شاء فليتدبر : (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف . ونهوا عن المنكر) وهو ممن مكّنه الله تعالى فى الأرض تمكيناً ، يقينا لا ظناً ، وهو ممن يُعنى بقوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا . يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) .

والذى عهده المسلمون ، وتعوّده المؤمنون ، من المراحم الكريمة ، والعواطف الرحيمة . إكرام أهل الدين ، وإعظام علماء المسلمين

والذى حمل على رفع هذه الأذعية الصريحة إلى الحضرة الشريفة - وإن كانت لم تزل مرفوعة إلى الله سبحانه بالنية الصحيحة - قوله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » وقوله صلى الله عليه وسلم : « الأعمال بالنيات » فهذان الحديثان مشهوران بالصحة ، ومستفاضان فى الأمة

ثم إن هذا الشيخ المعظم الجليل ، والامام المكرم النبيل ؛ أوحده

الدهر ، وفريد العصر ؛ طراز المماثلة الملكية ، وعلم الدولة السلطانية ،
لواقسم مقسم ، بالله العظيم القدير : أن هذا الامام الكبير ، ليس له في عصره
مماثل ولا نظيره لكانت يمينه رّة ، غنية عن التكفير ، وقد خلت
من وجود مثله السبع الأقاليم ، إلا هذا الاقليم ، يوافق على ذلك كل
منصف جبل على الطبع السليم . ولست بالثناء عليه أطريه ، بل لوأظنب
مُطنب في مدحه والثناء عليه ، لما أتى على بعض الفضائل التي هي
فيه : أحمد بن تيمية ، درة تيمية يتنافس فيها ، تشتري ولا تباع ، ليس
في خزائن الملوك درة تماثلها وتواخيها ، انقطعت عن وجود مثله الأَطاع ،
لقد أصمّ الاسماع ، وأوهى قوى المتبوعين والاتباع ، سماع
رفع أبي العباس — أحمد بن تيمية — إلى القلاع .

وليس يقع من مثله أمر ينقم منه عليه ، إلا أنه يكون أمراً قد أبس
عليه ، ونسب إلى ما لا ينسب مثله إليه . والتطويل على الحضرة
العالية ، لا يليق ، إن يكن في الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق ،
قد نصب الله السلطان أعلى الله شأنه في هذا الزمان ، منصب يوسف
الصديق ، صلى الله على نبينا وعليه ، ما صرف الله وجوه أهل البلاد
إليه ، حين أُمحلت البلاد ، واحتاج أهلها إلى القوت المدخر لديه .
والحاجة بالناس والآن إلى قوت الأرواح ، المشار في ذلك الزمان إليها ،
لاخفاء أنها للعلوم الشريفة ، والمعاني اللطيفة

وقد كانت في بلاد المملكة السلطانية ، حرسها الله تعالى تكال إلينا
جزافا بغير أثمان ، مِنحَةً عظيمة من الله للسلطان ، ونعمة جسيمة ، إذ خص
بلاد مملكته ، وإقليم دولته ، بما لا يوجد في غيرها من الأقاليم والبلدان ،
وكان قد وفد الوافدون من سائر الأمصار ، إلى تلك الديار ، فوجدوا
صاحب صواع الملك قد رفع إلى القلاع ، ومثل هذه الميرة لا توجد في
غير تلك البلاد لتشترى أو تباع ، فصادف ذلك جذب الأرض ونواحيها ،
جذباً أعطب أهاليها ، حتى صاروا من شدة حاجتهم إلى الأقوات ،
كلأ موت ، والذي عرض للملك بالتضييق على صاحب صواعه ، مع
شدة الحاجة إلى غذاء الأرواح ، لعله لم يتحقق عنده أن هذا الامام
من أكابر الأولياء ، وأعيان أهل الصلاح ، وهذه نزغة من نزغات
الشیطان ، قال الله سبحانه : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ،
إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ) ، إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً .
وأما إزرار بعض العلماء عليه في فتواه ، وجوابه عن مسألة شدَّ
الرحال إلى القبور ، فقد حمل جواب علماء هذه البلاد ، إلى نظرائهم
من العلماء ، وقرنائهم من الفضلاء ، وكلهم أفتى : أن الصواب في الذي
به أجاب .

والظاهر بين الانام ، أن إكرام هذا الامام ، ومعاملته بالتبجيل
والاحترام ، فيه قوام الملك ، ونظام الدولة ، وإعزاز الملة ؛ وإستجلاب

الدعاء ، وكُتِبَ الأعداء ، وإذلال أهل البدع والأهواء ؛ وإحياء الأمة وكشف الغمّة ، ووفور الأجر ، وعُلُوُّ الذِكر ، ورفَعُ البأس ، ونفع الناس ، ولسان حال المسلمين ، تَالِ قول الكبير المتعال : (ولَمَّا دخلوا عليه قالوا : يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَكْنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنْ اللَّهُ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)

والبضاعة المزجاة : هي هذه الأوراق ، المرقومة بالأقلام ، والميرة المطلوبة : هي الأفراج عن شيخ الاسلام ، والنبي حمل على هذا الاقدام قوله عليه السلام : « الدين النصيحة » والسلام ، ، .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الكرام ، وسلم تسليماً .
هذا آخر هذا الكتاب

قال المؤلف : ووقفت على كتاب آخر من بغداد أيضاً . صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المرسلين محمد النبي وآله وصحبه أجمعين .

اللهم فكما أيدت ملوك الاسلام ، وولاة الامور ، بالقوة والأيد ، وَشَيَّدْتَ لَهُمْ ذِكْرًا ، وَجَعَلْتَهُمُ الْمُقْهُورَ اللَّائِدِ بِجَنَابِهِمْ ذُخْرًا ، وَلَهُ كَسُورُ الْعَائِدِ بِأَكْنَفِ بَابِهِمْ جَبْرًا ، قَاسِدُ الدِّلَّةِ مِنْهُمْ بِحَسْنِ مَعُونَتِكَ لَهُمْ

أَزْرَأَ ، وَأَعْلَ لَهُمْ جَدًّا وَارْفَعَ قَدْرًا ، وَزَدَّهُمْ عِزًّا وَزَوَّ دَهْمًا عَلَى أَعْدَائِكَ
نَصْرًا ، . وَامْنَحْهُمْ تَوْفِيقًا مَسْدَدًا ، وَتَمَكِّنَا مُسْتَمَرًّا ؛ .

وَبَعْدَ فَنَانِهِ لَمَّا قَرَعَ أَسْمَاعَ أَهْلِ الْبِلَادِ الْمَشْرِقِيَّةِ ، وَالنَّوَاحِي الْعِرَاقِيَّةِ .

التَّضْيِيقُ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، . تَقِيَّ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ — أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةٍ —

سَلَّمَ اللَّهُ ، عَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَشَقَّ عَلَى ذَوِي الدِّينِ ، وَارْتَفَعَتْ
رُءُوسُ الْمَلْحَدِينَ ، وَطَابَتْ نَفُوسُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْمُبْتَدِعِينَ ، وَلَمَّا رَأَى
عُلَمَاءُ أَهْلِ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، عَظُمَ هَذِهِ النَّازِلَةُ ، مِنْ شِمَاتَةِ أَهْلِ الْبِدْعِ
وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ ، بِأَكْبَرِ الْأَفْضَلِ وَأَتَمِّ الْعُلَمَاءِ ، أَنَّهَوُا حَالَ هَذَا الْأَمْرِ
الْفَظِيعِ وَالْأَمْرِ الشَّنِيعِ ، إِلَى الْخَضِرَةِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ ، زَادَهَا اللَّهُ
شَرَفًا ، وَكَتَبُوا أَجْوَابَهُمْ فِي تَصْوِيبِ مَا أَجَابَ بِهِ الشَّيْخُ . سَلَّمَ اللَّهُ
فِي فِتَاوَاهِ ، وَذَكَرُوا مِنْ عِلْمِهِ ، وَفَضَائِلِهِ بَعْضُ مَا هُوَ فِيهِ ، وَحَمَلُوا ذَلِكَ إِلَى
بَيْنِ يَدَيِ مَوْلَانَا مَلِكِ الْأُمَرَاءِ . أَعَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَهُ وَضَاعَفَ اقْتِدَاءَهُ ،

غَيْرَةَ مَنْهُمْ عَلَى هَذَا الدِّينِ ، وَنَصِيحَةَ لِلْإِسْلَامِ وَأُمَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْأَرَاءِ الْمَوْلَوِيَّةِ الْعَالِيَةِ ، أَوْلَى بِالْتَّقْدِيمِ ، لِأَنَّهَا مَمْنُوحَةٌ بِالْهَدَايَةِ إِلَى

الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَشْرَفُ التَّسْلِيمِ ، عَلَى النَّبِيِّ الْأَمِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا

[وفاة الشيخ رحمه الله بالقلعة]

وما كتب بها قبل موته

ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى بقى مقيما بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياما ، ثم توفى إلى رحمة الله ورضوانه . وما برح في هذه المدة مُكَيِّمًا على العبادة ، والتلاوة ، وتصنيف الكتب ، والردِّ على المخالفين . وكتب على تفسير القرآن العظيم جملة كثيرة ، تشمل نفائس جليلة ونكت دقيقة ، ومعانٍ لطيفة ، ويَبَيِّن في ذلك مواضع كثيرة أشكلت على خلقٍ من علماء أهل التفسير .

وكتب في المسألة التي جنس بسببها عدة مجلدات . منها : كتاب في الرد على ابن الاخنأى قاضى المالكية بمصر ، تعرف بالاختائية . (١)

ومنها : كتاب كبير حافل في الردِّ على بعض قضاة الشافعية ، وأشياء كثيرة في هذا المعنى أيضا .

[وفاة الشيخ عبد الله أخى الشيخ]

وفى هذه المدة التي كان الشيخ فيها بالقاعة توفى أخوه الشيخ الامام

(١) طبع بالسلفية بمصر على نفقة جلالة الملك ابن السعود

العالم العلامة ، البارع ، الحافظ ، الزاهد ، الورع ، جمال الإسلام ، شرف الدين ، أبو محمد ، عبد الله . توفى يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين وسبعائة . وصلى عليه ظهر اليوم المذكور بجامع دمشق ، وحمل إلى باب القلعة ، فصلى عليه مرة أخرى . وصلى عليه أخوه وأخلق من داخل القلعة ، وكان الصوت بالتكبير يبلغهما ، وكثر البكاء في تلك الساعة ، وكان وقتاً مشهوداً . ثم صلى عليه مرة ثالثة ورابعة ، وحمل على الرؤوس والأصابع ، إلى مقبرة الصوفية ، فدفن بها . وحضر جنازته جمع كثير ، وعالم عظيم ، وكثر الثناء والتأسف عليه .

وكان رحمه الله صاحب صدق وإخلاص ، قانعاً باليسير ، شريف النفس شجاعاً . مقداماً . مجاهداً ، بارعاً في الفقه ، إماماً في النحو . مستحضراً لتراجم السلف ووفياتهم ، له في ذلك يد طولى ، عالماً بالتواريخ المتقدمة والمتأخرة . وكان رحمه الله شديد الخوف والشفقة على أخيه شيخ الإسلام وكان يخرج من بيته ليلاً ، ويرجع إليه ليلاً ، ولا يجلس في مكان معين ، بحيث يقصده فيه ، ولكنه يأوي إلى المساجد المهجورة ، والأماكن التي ليست بمشهورة .

وكان كثير العبادة والتأله . والمراقبة والخوف من الله . ولم يزل على ذلك إلى حين مرضه ، ووفاته

ومولده في اليوم الحادى عشر من الحرم سنة ست وستين وستمائة
بمحرّان .

وسمع من أبى اليُسّر ، والجمال عبد الرحمن البغدادى ، وابن الصيرفى
والشيخ شمس الدين ، وابن البخارى وخلق كثير .
وحدث وسمع الكتب الكبار .

وقد سُئل عنه الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني . فقال : هو بارع
في فنون عديدة : من الفقه ، والنحو ، والأصول ، ملازم لأنواع الخير
وتعليم العلم ، حسن العبادة ، قوى في دينه ، جيّد التفقه ، مستحضر
لمذهبه استحضارا جيدا ، مليح البحث ، صحيح الذهن ، قوى الفهم

[معاملة الشيخ في سجنه بالقلعة]

قلت : وما زال الشيخ تقى الدين رحمه الله في هذه المدة معظما
مكرما ، يكرمه تقيب القلعة ونائبها ، إكراما كثيرا ، ويستعرضان حوائجه
ويبالغان في قضائها .

وكان ما صنّفه في هذه المدة قد خرج بعضه من عنده ، وكتبه بعض
أصحابه ، واشتهر ، وظهر .

فلما كان قبل وفاته بأشهر ورد مرسوم السلطان باخراج ما عنده
كله ، ولم يبق عنده كتاب ، ولا ورقة ، ولا دواة ، ولا قلم ، وكان بعد

ذلك إذا كتب ورقة إلى بعض أصحابه ، يكتبها بفهم . وقد رأيت أوراقاً عدة بعثها إلى أصحابه ، وبعضها مكتوب بفهم . منها ورقة يقول فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ونحن لله الحمد والشكر في نعم متزايدة ، متوافرة ، وجميع ما يفعله الله فيه نصر الاسلام ، وهو من نعم الله العظام . (هو الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً) فان الشيطان استعمل حزبه في إفساد دين الله ، الذي بعث به رسوله ، وأنزل كتبه

ومن سنة الله: أنه إذا أراد إظهار دينه ، أقام من يعارضه ، فيُحَقِّقُ الحق بكلماته ، وَيَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ والذي سعى فيه حزب الشيطان لم يكن مخالفة لشرع محمد صلى الله عليه وسلم وحده ، بل مخالفة لدين جميع المرسلين : ابراهيم ، وموسى ، والمسيح ، ومحمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين .

وكانوا قد سعوا في أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطاب ولا كتاب ، وجزعوا من ظهور الاخثائية ، فاستعملهم الله تعالى . حتى أظهروا أضعاف ذلك وأعظم ، وألزمهم بتفتيشه ومطالعة ، ومقصودهم إظهار عيوبه ، وما يحتجون به ، فلم يجدوا فيه إلا ما هو حجة عليهم ،

وظهر لهم جهلهم ، وكذبهم وعجزهم ، وشاع هذا في الأرض ، وأن هذا مما لا يقدر عليه إلا الله ، ولم يمكنهم أن يظهروا علينافيه عيباً في الشرع والدين ، بل غاية ما عندهم : أنه خواف مرسوم بعض الخلق ، والخلق كائنًا من كان ، إذا خالف أمر الله تعالى ورسوله ، لم يجب ، بل ولا يجوز طاعته ، في مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين .

وقول القائل : إنه يظهر البدع ، كلام يظهر فساد له لكل مستبصر ويعلم أن الأمر بالعكس ، فإن الذي يظهر البدعة ، إما أن يكون لعدم علمه بسنة الرسول ، أو لكونه له غرض وهوى يخالف ذلك ؛ وهو أولى بالجهل بسنة الرسول ، واتباع هواهم بغير هدى من الله (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ، ممن هو أعلم بسنة الرسول منهم ، وأبعد عن الهوى والغرض في مخالفتها (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ)

وهذه قضية كبيرة لها شأن عظيم . واتعلمن نبأه بعد حين . ثم ذكر الشيخ في الورقة كلاماً ، لا يمكن قراءة جميعه ، لانطماسه . وقال بعده :

وكانوا يطلبون تمام الاخوانية ، فعندهم ما يطعمهم أضعافها ، وأقوى فقها منها ، وأشد مخالفة لأغراضهم . فان الزملاكية قد بين فيها من

نحو خمسين وجها : أن ما حكم به ورسم به ، مخالف لاجماع المسلمين وما فعلوه — لو كان ممن يعرف ماجاء به الرسول ، ويتعمد مخالفته — لكان كفرا وردة عن الإسلام ، لكنهم جهال دخلوا في شيء ما كانوا يعرفونه ، ولاظنوا أنه يظهر منه أن السلطنة تخالف مرادهم والأمر أعظم مما ظهر لكم ، ، ونحن والله الحمد ، على عظيم الجهاد في سبيله .
ثم ذكر كلاما وقال :

بل جهادنا في هذا مثل جهادنا يوم قازان ، والجبلية ، والجهمية ، والاتحادية ، وأمثال ذلك . وذلك من أعظم نعم الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون

ومنها ورقة قال فيها :

ورقة أخرى مما كتبه الشيخ في السجن

ونحن لله الحمد والشكر ، في نعم عظيمة . تتزايد كل يوم ، ويجدد الله تعالى من نعمه نعمة أخرى ، وخروج الكتب كان من أعظم النعم فاني كنت حريصا على خروج شيء منها ، لتقفوا عليه ، وهم كرهوا خروج الاثنائية ، فاستعملهم الله تعالى في إخراج الجميع ، وإلزام المنازعين بالوقوف عليه . وبهذا يظهر ما أرسل الله به رسوله من الهدى ودين الحق

فان هذه المسائل كانت خفية على أكثر الناس . فاذا ظهرت فمن
كان قصده الحق هداه الله ، ومن كان قصده الباطل قامت عليه حجة
الله ، واستحق أن يذله الله وَيُخْزِيَهُ ؛

وما كتبت شيئا من هذا ليحكم عن أحد ، ولو كان مبغضا ،
والأوراق التي فيها جواباتكم غسلت

وأنا طيبٌ وعيناي طيبتان أطيب ما كانتا ؛

ونحن في نعم عظيمة لا تحصى ولا تعدُّ ، والحمد لله حمداً كثيراً
طيباً مباركاً فيه ؛

ثم ذكر كلاماً . وقال :

كلُّ ما يقضيه الله تعالى فيه الخير والرحمة والحكمة (إنَّ ربِّي لطيفٌ
لما يشاء إنه هو القَوِيُّ العَزِيزُ) ، العليم الحكيم ، ولا يدخل على أحدٍ ضررٌ
إلا من ذنوبه (ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن
نفسك) فالعبد عليه أن يشكر الله ويحمده دائماً على كل حال ، ويستغفر
من ذنوبه ، فالشكر يوجب المزيد من النعم ، والإستغفار يدفع النقم ،
ولا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له « إن أصابته سرَّاء شكر وإن
أصابته ضرَّاء صبر » فكان خيراً له .

وهذه الورقة كتبها الشيخ وأرسلها بعد خروج الكتب من عنده
بأكثر من ثلاثة أشهر : في شهر شوال ، قبل وفاته بنحو شهر ونصف .
ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق ، حمل إلى القاضي علاء
الدين القونوي ، وجعل تحت يده في المدرسة العادية .

وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والتذكر والتهجد
حتى أتاه اليقين .

وختم القرآن مدة إقامته بالقاعة ثمانين ، أو إحدى وثمانين ختمة
انتهى في آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة (إن المتقين في جنات
وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) ثم كملت عليه بعد وفاته ،
وهو مُسَجَّى .

كان كل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء ، يختم في عشرة أيام . هكذا
أخبرني أخوه زين الدين

وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوما . وأكثر الناس ما علموا
بمرضه ، فلم يفجأ الخلق إلا نعيه ، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء
والحزن . ودخل إليه أقاربه وأصحابه ، وازدحم الخلق على باب القلعة
والطرق ، وامتلا جامع دمشق وصلوا عليه ، وحمل على الرءوس . رحمه
الله ورضي عنه

[ما كتبه العلماء في وفاة الشيخ]

قال الشيخ علم الدين : وفي ليلة الاثنين ، لعشرين من ذى القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ الإمام العلامة الفقيه ، الحافظ الزاهد ، القدوة ، شيخ الاسلام ، تقي الدين أبو العباس ، أحمد ، بن شيوخنا الإمام المفتي ، شهاب الدين ، أبي المحاسن عبد الحليم ، بن الشيخ الامام شيخ الاسلام مجد الدين أبي البركات ، عبد السلام ، بن عبد الله ، بن أبي القاسم ، بن محمد بن تيمية الحراني ، ثم الدمشقي ، بقلعة دمشق ، التي كان محبوبا فيها .

وحضر جمع الى القلعة ، فأذن لهم في الدخول ، وجلس جماعة قبل الغسل . وقرأوا القرآن . وتبركوا برؤيته وتقبيله . ثم انصرفوا (١)

(١) سبحان الله !! لقد كان الشيخ ابن تيمية رحمه الله - يجاهد طول حياته تلك البدع . من قراءة القرآن على الموتى ، والتبرك بالموتى وبآثار الصالحين . ثم هؤلاء يصنعون به هذا الذي كان يكرهه . والذي ما أودى بأنواع الأذى ، إلا من أجل إنكاره . وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أصحابه رضي الله عنهم يحاربون تلك الخرافات الوثنية والعقائد الجاهلية ، ثم صنع الناس تلك الخرافات واعتقدوا هذه العقائد في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أصحابه وآل بيته بعد موتهم : من استجابة الدعاء وإغاثة (٢٤- العقود الدرية)

وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك . ثم انصرفن .
واقتصر على من يغسل ويعين في غسله . فلما فرغ من ذلك أخرج
وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق ، وأمتلاً الجامع
وصحنه والكلاسة ، وباب البريد ، وباب الساعات إلى اللبادين والفوارة
وحضرت الجنارة في الساعة الرابعة من النهار ، أو نحو ذلك .
ووضعت في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام ، وصلى
عليه — أولاً — بالقلعة . تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام .
ثم صلى عليه بجامع دمشق ، عقيب صلاة الظهر . وحل من باب البريد ،
واشتد الزحام . وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائهم للتبرك . وصار
النعش على الرؤوس ، تارة يتقدم وتارة يتأخر . وخرج الناس من الجامع
من أبوابه كلها من شدة الزحام . وكل باب أعظم زحمة من الآخر .
ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام ، لكن كان
المعظم من الأبواب الأربعة : باب الفرج ، الذي أخرجت منه الجنارة

المكروب ، وتفريج الضائقات ، وأمثال ما يقوله أولئك الجاهلون بما يبرأ
منه رسول الله وأهل بيته . كقول البوصيري في برده :
يا أشرف الخلق مالى من ألودنه سواك عند حدوث الحادث العجم
يزعمون أنهم يرضون رسول الله ويعظمونه . وهم يؤذونه ويهدمون دينه
الذى جاهد ما جاهد وصبر على ما أودى من أجله . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن باب الفراديس . ومن باب النصر ، وباب الجابية . وعظم الأمر
بسوق الخيل

وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن . وحمل
إلى مقبرة الصوفية . فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله
رحمهما الله . وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير .

وأغلق الناس حوانيتهم . ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من
الناس ، أو من أعجزه الزحام .

وحضرها نساء كثير بحيث حزن بخمسة عشر ألفا . وأما الرجال
فحزروا بستين ألفا وأكثر ، إلى مائتي ألف . وشرب جماعة الماء الذي
فضل من غسله . واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به .

وقيل : إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم .
وقيل : إن الخيط الذي فيه الزئبق ، الذي كان في عنقه بسبب القمل
دفع فيه مائة وخمسون درهما . وحصل في الجفازة ضجيج وبكاء ،
وتضرع . وختمت له ختم كثيرة بالصالحية والبلد .

وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلا ونهاراً . ورؤيت له
منامات كثيرة صالحة . ورثاه جماعة بقصائد جمّة .

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول ، بجران . سنة إحدى وستين وستمائة .

وقدم مع والده وأهله إلى دمشق . وهو صغير . فسمع الحديث من ابن عبد البايم ، وابن أبي اليسر ، وابن عبدان . والشيخ شمس الدين الحنبلي . والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفى ، والشيخ جمال الدين ابن الصيرفى ، ومجد الدين بن عساكر ، والشيخ جمال الدين البغدادى والنجيب المقداد ، وابن أبي الخير ، وابن علان ، وأبى بكر الهروى ، والكمال عبد الرحيم ، والفخر على ، وابن شيبان ، والشرف ابن القواس وزينب بنت مكى ، وخلق كثير .

وقرأ بنفسه الكثير ، وطلب الحديث . وكتب الطِّبَاق والأُثْبَات ولازم السماع بنفسه مدة سنين . واشتغل بالعلوم .

وكان ذكياً كثير الحفوظ . فصار إماماً فى التفسير . وما يتعلق به ، عارفاً بالفقه ، واختلاف العلماء ، والأصاين ، والنحو ، واللغة وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية . وما تكلم معه فاضل فى فنِّ الإِظْهِار أن ذلك الفنَّ فَتْنُهُ . ورآه عارفاً به متقناً له

وأما الحديث فكان حافظاً له مميّزاً بين صحيحه وسقيمه ، عارفاً برجاله

متضلعا من ذلك

وله تصانيف كثيرة ، وتعاليق مفيدة : فى الفروع ، والأصول .
كل منها جملة وبُيُضَّتْ ، وكتبت عنه . وجملة كثيرة لم يكملها .
وجملة كلها ولكن لم تبيض .

وأثنى عليه وعلى فضائله جماعة من علماء عصره ، مثل القاضى
الْحَوَى ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، وابن الزملى ، وغيرهم
ووجدت بخط الشيخ جمال الدين بن الزملى : أنه اجتمعت
فيه شروط الاجتهاد على وجهها . وأن له اليد الطولى فى حسن التصنيف ،
وجودة العبارة والترتيب ، والتقسيم والتبيين ، وكتب على تصنيف^(١)
له هذه الأبيات الثلاثة من نظمه . وهى :

ماذا يقول الواصفون له * وصفاته جالت عن الحصره
هو حجة لله قاهرة * هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة * أنوارها أربّت على الفجر
وهذا الثناء عليه . وكان عمره نحو الثلاثين سنة .

وكان بينى وبينه مودة وصحبة من الصغر ، وسماع الحديث والطلب
من نحو خمسين سنة . وله فضائل كثيرة .

(١) وهذا التصنيف الذى أشار إليه هو رفع الملام عن الأئمة الأعلام
للشيخ . انتهى من هامش الأصل

وأسماءُ مصنفاته ، وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة ، وحبسهُ
مرات ، وأحواله : لا يَحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب
ولما مات كنت غائبا عن دمشق بطريق الحجاز الشريف . وبلغنا
خبره بعد موته بأكثر من خمسين يوما ، لما وصلنا إلى تبوك . وحصل
التأسف لفقدته رحمه الله تعالى .

قلت : وقد قيل : إن الخلق الذين حضروا جنازة الشيخ كانوا
أزيد مما ذكر .

ومن الجنائز العظيمة في الاسلام : جنازة الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل .
فان الذين حضروها ، وصلوا عليه ، كانوا أكثر من ألف ألف إنسان .

وقد قال الامام أبو عثمان الصابوني : سمعت أبا عبد الرحمن السُّلَمي
يقول : حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن
الدارقطني . فلما بلغ إلى ذلك الجمع الكثير أقبل علينا وقال : سمعت
أبا سهل بن زياد القطان يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول :
سمعت أبي يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم يوم الجنائز .

قال أبو عبد الرحمن ، على إثر هذه الحكاية : إنه حزر الحزارون

المصلين على جنازة أحمد ، فبلغ العدد بحزهم ألف ألف وسبعائة ألف .
سوى الذين كانوا في السفن .

وقد وجد بخط الشيخ أبيات ، قلها بالقلعة ، وهي :

أنا الفقير إلى رب السموات * أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسى ، وهى ظلمتى * والخير ، إن جاءنا ، من عنده يأتى
لا أستطيع لنفسى جلب منفعة * ولا عن النفس فى دفع المضرات
وليس لى دونه مولى يُدبّرنى * ولا شفيع إلى رب البريات
إلا باذن من الرحمن خالقنا * رب السماء ، كما قد جاء فى الآيات
ولست أملك شيئاً دونه أبداً * ولا شريك أنا فى بعض ذراتى
ولا ظهير له كيما أعاونه * كما يكون لأرباب الولايات
والفقرى وصف ذات ، لازم أبداً * كما الغنى أبداً وصف له ذاتى
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم * وكلهم عنده عبد له آتى
فمن بغى مطلباً من دون خالقه * فهو الجهول الظلوم المشرك العاتى
والحمد لله ملء الكون أجمعه * ما كان منه ، وما من بعده يأتى
ثم الصلاة على المختار من مضر * خير البرية من ماضٍ ومن آتى

وله أيضا :

إن لله علينا أنعمًا * يعجز الحصرُ عن العدِّ لها
فله الحمد على أنعمه * وله الحمد على الشكر لها
وقد مدح الشيخ رحمه الله بقصائد كثيرة في حياته ، ورثى بأكثر
منها بعد وفاته .

فمن القصائد التي مدح بها : قصيدة نجم الدين اسحق بن أبي بكر
ابن ألمى التركي ^(١) . وهى :

ذرائى من ذِ كَرَى سَعَادِ وزينب

ومن ندب أطلال اللوى والحَصَب

ومن مدح آرام سَنَحْنَ برامة

ومن غزل في وصف سِرْب وَرَبْرَب ^(٢)

ولا تنشدانى غير شعر إلى العلا يظل ارتياحا يزدهينى ويَطْبِي

وإن أنما طارحتمانى ، فليكن حديثكما فى ذكر تجددِ ومنصبِ

بحب الأعلى ، لاجب أم جُنْدَب أَقْصَى لُباناتِ الفؤادِ المعذبِ

(١) ولد سنة (٦٧٠) وسمع بمصر من علماءها وبالإسكندرية ورحل
إلى الشام والعراق فاستوطنه . وانقطعت أخباره بعد سنة (٧٢١)

(١) « آرام » جمع « ريم » وهو ولد الظبية . والسرب : القطيع
من الظباء والجماعة من النساء . والربرب : القطيع من بقرا الوحش .

خلقت امرأً جَلْدًا على حمل الهوى
 فلت أبالى بالقلى والتجنب
 سواء أرى للوصل تعريض جُودَرٍ
 وإعراض ظبي العنس الثغر أشنب (١)
 ولم أضب في عصر الشيبية والصبا
 فهل أصبُونُ كهلًا بِلَمَّةٍ أشيب ؟
 يُعَنِّفَنِي فِي بُغْيَتِي رُتَبَ الْعَمَلِ
 جهول ، أراه راكبًا غير مرَّكبي
 له هِمَّةٌ دون الحضيض محلَّها
 ولي هِمَّةٌ تسمو على كل كوكب
 فلو كان ذا جهل بسيطٍ عذرتُهُ
 ولكنه يُدَلِّي بِجَهْلِ مُرَكَّبٍ
 يقول : علامَ اخترتَ مذهبَ أحمد (٢)
 فقلت له : إذ كان أحمدَ مذهب (٣)

(١) الجودر - - : ولد بقرة الوحشة . واللّعنس : سواد مستحسن في الشفة . والشنب : رقة الأسنان وعذوبتها .

(٢) هو الامام احمد بن حنبل

(٣) « أحمد مذهب » أفعول تفضيل ، أى أكثر صفات يحمده من أجلها

وهل في ابن شيبان مقال لقائل
 وهل فيه من طعن لصاحب مضرب ؟
 أليس الذي قد طار في الأرض ذكره
 فطبّقها ، ما بين شرق ومغرب ؟
 . إمام الهدى ، الداعى إلى سنن الهدى
 وقد فاضت الأهواء من كل مَسْغَب (١)
 أتوا بعظيم الإِفْكِ ، وانتصروا له
 بكلِّ مقالٍ بالدليل مكذَّب
 وقالوا : كلام الله خلقاً ، وكذبوا
 بما صحَّ نقلاً عن أبيٍّ ومُصْعَب (٢)
 وأصبح أهل الحق بين مُعَاقِب
 وبين مُعَدِّ للآذَى مُتَرْقِب
 فقام (٣) عما يُوْهَى بُبْيراً وَيَذُبُّلاً
 قِيام هزْبَرٍ للفريسة مُغْضَب

(١) في القاموس : هو مسغب له - بضم الميم وفتح السين ، وضم الغين مشددة - كذا ، ومسعب : مسوغ .

(٢) أبى بن كعب ، ومصعب بن عمير . رضى الله عنهما

(٣) قام الامام أحمد في فتنة القول بخلق القرآن . وبير ويذبل : جبلان

ولم ينتهِ عنهم ، ولما يصده
عقوبة ذى ظلم ، وجور مُعذَّب
إلى أن بدا الاسلام أبلج ساطعا
وكشَّف عن ظلماتهم كل غيب
وهدم من أركانهم كل شامخ
ودوخ من شجعانهم كل قرهب^(١)
ومزَّقهم أيدي سبًا ، ففترقت
كتائبهم ما بين شرق ومغرب
وأصخابه أهل الهدى لا يضرهم
على دينهم طعن امرئ جاهل غي
هم الظاهرون القائمون بدينهم
إلى الحشر ، لم يغلبهم ذو تغلب
لنا منهم في كل عصر أئمة
هداة إلى العليا ، مصايح مُرُقب
فأيدهم ربُّ العلا من عصابة
لاظهار دين الله أهل تعصب

(١) القرهب : الثور المسن ، أو الكبير الضخم

وقد علم الرحمن أن زماننا
تشعب فيه الرأي أي تشعب
فجاء بحيرِ عالم من سرّاتهم
اسبغ مئين بعد هجرة يثرب
يقيم قناة الدين ، بعد اعوجاجها
وينقذها من قبضة المتغصب
فذاك فتى تيمية ، خير سيّد
نجيب أتانا من سلالة منجب
عليم بأدواء النفوس يسوسها
بحكمته ، فعل الطبيب الحروب
بعيد من الفحشاء والبغى والأذى
قريب إلى أهل التقى ، ذو تحب
يغيب ، ولكن عن مساوٍ وغيبة
وعن مشهد الإحسان لم يتغيب
حليم كريم مشفق ، بيد أنه
إذا لم يُطع في الله ، الله يغضب
يرى نصرة الاسلام أكرم مغنم
وأظهار دين الله أربح مكسب

ليوث، إذا أهل الضلال تجمعوا
لئن جَعَدْتَ علياء فضلك حُسَدُ
و هل ممكن في العقل أن يَجْعِدَ السَّنَا
أيا مَطْلَبًا حزنًا من غير مهلك
بعزم تَقِيٍّ الدين أحمد تَتَقَيَّ
وفي الجذب نستسقي الغمام بوجهه
ريبب المعالي، يافع الجود والندى
مُفَصَّلٌ ما قد جاء من جمل النهى
بسيط معان في وجيز عبارة
وليس له في العلم والزهد مُشَبِّه
ومن رام خبرا غيره اليوم في آلورى
أليس هو النَّدْب الذى بانتصاره
وجاهد في ذات الإلآه بنفسه
ووازره في حالتيه ابنُ أمه
عقاب المعالى، ضيغم الغابة، الذى
هما ناصرا دين الإلآه، وحاميا
مقيمان كالاسلام في دار غربة

لكل فتى منهم يُعَدُّ بِمَقْنَب (١)
لَعَمْرُ أُنَى، قد زاد منهم تعجبي
ضُحَّى، وضياء الشمس لم يتحجب؟
وكم مَهْلِك صدَّ الورى دون مطلب
صروف زمان بالفوادح مُرْعَب
فنصبح في روض كناديه مخصب
فتى العلم، كَهْلُ الحلم، شيخ التآدب
وإيضاحه للفهم غير مقرب
بتهذيبه تعجيز كل مذهب
سوى الحسن البصرى وابن المسيب
فذاك الذى قد رام عَنَقَاء مُعْرَب
حبا الدين حبي، بالامامة قد حبي
وبالمال والأهلين والأثم والأب
فذلك عبدالله، نعم الفتى الأُتْبَى
فَرَى كل ذى غيِّ بنابٍ ومُخَلَّب
حمى خير خلق الله من نسل يعرب
فيا حَبْذا في الله حسن التغرب

وكم قد غدا بالقول والفعل مبطلا
ضلالة كذاب ورأى مكذب

ولم تَلَقَ من عاداه غيرَ منافق
وآخر عن نهج السبيل منكب

لقد حاولوا منه الذي كان رامه
من المصطفى قَدْ مَا حَيُّ بن أخطَب (١)

ولكن رأى من بأسه مثلاً رأى
من المصطفى في حربه رأس مَرَحَب (٢)

تَسَكَّ ، أبا العباس بالدين ، واعتصم * بحبل الهدى ، تهر عداك وتغلب
ولا تخش من كيد الأعدى ، فاهم * سوى حائر في أمره ومذَبَذَب
جنودهم من طامع ومذلل * مُسَيِّمة منهم يلوذُ بأشعب
وجندك من أهل السماء ملائك * يمدُّك منهم موكب بعد موكب
وكل امرئ قد باع لله نفسه * فليس إذا يُصغى لقول مُؤَنَّب

(١) رئيس يهود خيبر ، كان ألد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم . قتل
يوم خيبر . وتزوج صلى الله عليه وسلم ابنته السيدة صفية ، بعد عتقها
واسلامها رضي الله عنها .

(٢) مرحب زعيم شجعان خيبر . بارزه على رضى الله عنه فقتله

خدمتهما منى بعقد منضد بفكر سوائى دُرّه لم يُثَقِّب
 تشنف سمع الدهر حسنا إذا اغتدى به الناظم التركى أفصح معرب
 وما جئت فى مدحيهما متطلعا به عرضا يفنى ، ولا نيل منصب
 ولسكننى أبغى رضا الله خالق وأرجو به غفران زلّة مذنب
 وأجعله لى فى المعاد ذخيرة أفوز بها فى الحشر من خطبه الوبى
 نجزت . وهى سبعة وستون بيتا

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة فتيا قدمت فى مجلس تقى الدين رضى الله عنه
 فأجاب فى المجلس بهذا الجواب . وهو « تقدير القدر »

السؤال

أيا علماء الدين ، ذمى دينكم تحيّر دُلّوه بأوضح حجة
 إذا ما قضى ربى بكفرى بزعمكم ولم يرّضه منى ، فما وجه حيلتى ؟
 دعانى ، وسدّ الباب عنى ، فهل إلى دخولى سبيل ؟ يَدْنُوا لى قضيتى
 قضى بضلالى ، ثم قال : ارض بالقضا فما أنا راض بالذى فيه شقوتى

فان كنت بالمقضيّ ، يا قوم راضياً
فهل لي رضا ، ما ليس يرضاه سيدي ؟
فربّي لا يرضى بشؤم شكيتي
فقد حرتُ ، ذوّني على كشف حيرتي
إذا شاء ربّي الكفر منّي مشيئة
فهل أنا عاصٍ في اتباع المشيئة ؟
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه ؟
فبالله فاشفوا بالبراهين عليّ

الجواب

الحمد لله رب العالمين :

سؤالك يا هذا ، سؤال معاند
وهذا سؤال ، خاصم الملاء العلاء
ومن يك خصما للمهيمن يرجع
ويُدعى خصوم الله يوم معادهم
سواء نقوه ، أو سَعَوْا ليخاصموا
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة
فأنهم ولم يفهموا حكمة له
وإن مبادئ الشرّ في كل أمة
بخوضهم في ذلّكم ، صار شرّكم
فان جميع الكون أوجب فعله
وذات إله الخلق واجبة بما
تُخَاصِمُ رَبَّ العرش ، باري البرية
قديمًا به إبليس ، أصل البلية
على أم رأس هاويا في الخفيرة
إلى النار طرّاً ، معشر القدرية
به الله ، أو مارُوا به للشريعة
هو الخوض في فعل الإله بعلّة
فصاروا على نوع من الجاهلية
ذوى مِلَّةٍ قُدُسِيَّةٍ نبوية :
وجاء دروس البينات بفترة
مشيئة رب الخلق باري الخليفة
لها من صفات واجبات قديمة

مشيئته مع علمه ، ثم قدرة لوازم ذات الله قاضي القضية
فقولك : لم قد شاء ؟ مثل سؤال من
يقول : فلم قد كان في الازلية ؟
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه وتحريمه قد جاء في كل شرعة
وفي الكون تخصيص كثير يدل من
له نوع عقل : أنه بإرادة
وإصداره عن واحد بعد واحد أو القول بالتجويز رمية حيرة
ولاريب في تعليق كل مسبب بما قبله من علة موجبة
بل الشأن في الأسباب ، أسباب مآرى
ومصدرها عن حكم محض المشيئة
وقولك : لم شاء الاله ؟ هو الذي
فان المجوس القائلين بخالق
سؤالهم عن علة الشر ، أوقعت
وإن ملاحيد الفلاسفة الأولى
بقوا علة للكون بعد انعدامه
وإن مبادئ الشر في كل أمة
بحوضهم وفي ذاكهم ، صار شركهم
ذوى ملة ميمونة نبوية :
وجاء دروس البينات بفترة
(٢٥ — العقود الدرة)

ويكفيك تقضا : أن ماقد سأنته من العذر مردود لدى كل فطرة
فأنت تعيب الطاعنين جميعهم عليك ، وترميهم بكل مذمة
وَتَنْجِلُ مَنْ وَالَاكَ صَفْوَ مَوَدَّةٍ وَتُبْغِضُ مَنْ نَاوَاكَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ
وحالهم في كل قول وفِعْلَةٍ كحالك ، يا هذا ، بأرجح حجة
وهَبَكَ كَفَفْتَ اللوم عن كل كافر وكل غَوِيَّ خَارِجٍ عَنْ حُجَّةٍ

فيلزمك الاعراض عن كل ظالم

على الناس في نفس ، ومال ، وحرمة

ولا تغضبن يوما على سافك دما ولا سارق مالا لصاحب فاقة
ولا شاتم عرضا مصونا ، وإن علا ولا ناكح فرجا على وَجْهِ غِيَّةٍ
ولا قاطع للناس نَهْجَ سَبِيلِهِمْ

ولا مفسد في الأرض في كل وجهة

ولا شاهد بالزور إفكا وفرية ولا قاذف للمحصنات بريئة
ولا مُهْلِكٌ لِلْحَرْثِ وَالنَّسْلِ عَامِدَا وَلَا حَاكِمٌ لِلْعَالَمِينَ بِرِشْوَةٍ

وَكُفَّ لِسَانَ اللوم عن كل مفسد

ولا تَأْخُذْنَ ذَا جُرْمَةٍ بِعُقُوبَةٍ

وَسَتَّهْلُ سَبِيلَ الْكَافِرِينَ تَعْمِدَا عَلَى رَبِّهِمْ ، مَنْ كُلُّ جَاءٍ بِفَرِيَةٍ

وإن قصدوا إضلال من تستجيهم

برؤم فساد النوع ، ثم الرئاسة

وجادل عن الملعون ، فرعون ، إذ طغى

فأغرق في اليم انتقاماً بعصية

وكل كفور مشرك بإلهه وآخر طارغ كافر بنبوة

كمايد ، ونمروذ ، وقوم لصالح وقوم لنوح ، ثم أصحاب الأيكة

وخاصم لموسى ، ثم سائر من أتى من الأنبياء محيياً للشرعة

على كونهم إذ جاهدوا الناس إذ بغوا

ونالوا من العاصي بلوغ العقوبة

وإلا فكل الخلق في كل لفظة ولحظة عين ، أو تحرك شعرة

وبطشة كفٍ ، أو تخطى قديمة وكل حراك ، بل بكل سكينه

همو تحت أقدار الإله وحكمه كما أنت فيما قد أتيت بحجة

وهبك رفعت الوم عن كل فاعل

فعال ردى ، طردا لهدى المقيسة

فهل يُمْسِكُن رفع الملام جميعه عن الناس طراً عند كل قبيحة؟

وترك عقوبات الذين قد اعتدوا وترك الورى الانصاف بين الرعية

فلا تُضمِنَن نفس ومال بمثله ولا تُعقِبَن غاد بمثل الجريمة

وهل في عقول الناس ، أو في طباعهم

قبول لقول النذل : ماوجه حيلتي ؟

ويكفيك نقضاً : ما بجسم ابن آدم صبي ، ومجنون ، وكل بهيمة :

من الألم المقضى في غير حيلة وفيما يشاء الله أكلُ حكمة

إذا كان في هذا له حكمة ، فما يُظنّ بخلق الفعل ، ثم العقوبة ؟

وكيف ، ومن هذا عذابٌ مخلد

عن الفعل فعل العبد ، عبد الطبيعة ؟

كأكل سُم ، أوجب الموت أكله

وكلُّ بتقدير لرب البرية

فكفرك يا هذا ، كسُمٍّ أكلته

وتعذيب نار ، مثل جرعة غصة

أأست ترى في هذه الدار من جنى

يعاقب ، إما بالقضا ، أو بشرعة ؟

ولا عذر للجاني بتقدير خالق كذلك في الأخرى بلا مشنوية

وتقدير رب الخلق للذنوب موجب

كتقدير عُقبي الذنب إلا بتوبة

ومن كان من جنس المتاب لرفعه عواقب أفعال العباد الخبيثة

كجَبْرِيةٍ تَمْحِي الذُّنُوبَ ، ودَعْوَةٍ تَجَابِ مِنْ الْجَانِي ، وَرَبِّ شَفَاعَةٍ
وَقَوْلِ حَلِيفِ الشَّعْرِ : إِنِّي مُقَدَّرٌ

عَلَيَّ ، كَقَوْلِ الذَّيْبِ : هَذِي طَبِيعَتِي
وَتَقْدِيرُهُ لِلْفِعْلِ يَجْلِبُ نَقْمَةً كَتَقْدِيرِهِ الْآثَارَ طُرًّا بِعِلَّةٍ
فَهَلْ يَنْفَعُنْ عَذْرُ الْمُلُومِ ، لِأَنَّهُ كَذَا طَبْعُهُ ، أَمْ هَلْ يُقَالُ لِعَثْرَةٍ ؟
أَمْ الذَّنْبُ وَالتَّعْذِيبُ أَوْ كَذُ الَّذِي

طَبِيعَتُهُ فَعْلُ الشَّرِّ الشَّنِيعَةِ ؟
فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تَجَابَ بِمَا عَسَى

يَنْجِيكَ مِنْ نَارِ الْآلِهَةِ الْعَظِيمَةِ
فَدُونُكَ رَبُّ الْخَلْقِ ، فَاقْصِدْهُ ضَارِعًا

مَرِيدًا بِأَنْ يَهْدِيكَ نَحْوَ الْحَقِيقَةِ
وَذَلَّلُ قِيَادِ النَّفْسِ لِلْحَقِّ ، وَاسْمَعَنَّ

وَلَا تُعْرِضَنَّ عَنْ فِكْرَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ
وَمَا بَانَ مِنْ حَقٍّ فَلَا تَتْرُكْهُ

وَلَا تَعْصِ مَنْ يَدْعُو لِأَقْوَمِ رَيْعَةٍ (١)

(١) الرِّيعُ - يَفْتَحُ الرِّاءَ - الطَّرِيقَ الْمُنْفَرَجَ فِي الْجَبَلِ . وَالْوَاحِدَةُ : رَيْعَةٌ

وَدَعِ دِينَ ذَا الْعَادَاتِ ، لَا تَتَّبِعْنَهُ

وَعُجْ عَنْ سَبِيلِ الْأُمَّةِ الْغَضْبِيَّةِ (١)

وَمَنْ ضَلَّ عَنْ حَقِّ فَلَا تَقْفُوهُ وَزَنْ مَاعَلِيهِ النَّاسَ بِالْمَعْدِلِيَّةِ

هَنَالِكَ تَبْدُو طَاعَاتُ مَنْ الْهَدَى تَبَشِّرُ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْحَنْفِيَّةِ (٢)

بِمَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ، ذَاكَ إِمَامُنَا وَدِينَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ

فَلَا يَقْبَلُ الرَّحْمَنُ دِينًا سِوَى الَّذِي

بِهِ جَاءَتِ الرُّسُلُ الْكَرَامُ السَّجِيَّةِ

وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْخَاشِرُ الْخَاتِمُ الَّذِي حَوَى كُلَّ خَيْرٍ فِي عَمُومِ الرِّسَالَةِ

وَأَخْبَرَ عَنِ رَبِّ الْعِبَادِ بَأْنَ مَنْ عَدَا عَنْهُ فِي الْأُخْرَى بِأَقْبَحِ جَنَائِدِهِ

فَهَذِي دَلَالَاتُ الْعِبَادِ الْخَائِرِ وَأَمَّا هِدَاةُ فَهُوَ فِعْلُ الرِّبْوَةِ

وَقَدْ الْهَدَى عِنْدَ الْوَرَى لَا يُقِيلُ مَنْ

عَدَا عَنْهُ ، بَلْ يُجْزَى بِمَا وَجَّهَ حُجَّةَ

وَحُجَّةَ مُحْتَاجٍ بِتَقْدِيرِ رَبِّهِ يَرِيدُ عَذَابًا ، كَاِحْتِجَاجِ مَرِيضَةٍ

وَأَمَّا رِضَانًا بِالْقَضَاءِ فَإِنَّمَا أُمِرْنَا بِأَنْ نَرْضَى بِمِثْلِ الْمَصِيبَةِ

(١) هي أمة اليهود. غضب الله عليهم ولعنهم، لأنهم يتركون اتباع ما يعلمون.

(٢) هي الخنيفية السمحة: شرعة محمد صلى الله عليه وسلم. وشرعة

إبراهيم: اتباع ما جاءت به نصوص الوحي الإلهي

كسقم ، وفقر ، ثم ذل ، وغربة وما كان من سوء ، بدون جريمة
فأما الأفاعيل التي كرهت لنا فلا تترضى ، مسخوطة لمشينة
وقد قال قوم من أولى العلم : لارضاً

بفعل المعاصي والذنوب الكريهة
وقال فريق : تترضى لقضائه لها . وما فيها فيلقى بسخطة
كما أنها للرب خلق ، وأنها مخلوقة ، ليست كفعل الغريزة
فترضى من الوجه الذى هى خلقه

ونسخط من وجه اكتساب بحيلة
ومعصية العبد المكلف تركه لما أمر المولى ، وإن بمشيئة
فإن إله الخلق حق مقالهُ بأنّ العباد فى جحيم وجنة
كما أنهم فى هذه الدار هكذا بل البهائم فى الآلام أيضاً ونعمة
وحكمته العليا اقتضت ما اقتضت من ١١

مروق بعلم ثم أيد ورحمة
يسوق أولى التعذيب للسبب الذى
يقدره نحو العذاب بعزة
ويهدى أولى التنعيم نحو نعيمهم
وأمرُ إله الخلق تبين ما به
يسوق أولى التنعيم نحو السعادة

فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ أَثَرَتْ

أوامره فيه بتيسير صنعة

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ لَمْ يَنْلُ

بأمر ولا نهى بتقدير شِقْوَةٍ

ولا مخرجٌ للعبد عما به قضى ولكنه شاء بخلق الإرادة

وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ : خَلْقُ مَشِيئَةٍ

بها صار مختار الهدى والضلالة

فقولك : هل أختار تركاً لحكمة ؟

كقولك : هل أختار ترك المشيئة ؟

وأختار أن لا أختار فعل ضلالة ولو نلت هذا الترك فُزْتُ بتوبة

وذا ممكن ، لكنه متوقف على من يشاء الله من ذى المشيئة

فدونك ، فافهم مابه قد أجبتُ من

معانٍ ، إذا انحلت بفهم غريزة

أشارت إلى أصل تشير إلى الهدى

ولله ربُّ الخلق أكمل مدحة

وصلى إله الخلق ، جلَّ جلاله على المصطفى المختار خير البرية ^(١)

تمت بحمد الله وعونه . وهى مائة وأربعة وثمانون بيتا . بل هى
مائة وخمسة أبيات

الحمد لله رب العالمين

قال القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزار : سمعت
المظفر هناد بن ابراهيم النسفى يقول : سمعت أبا القاسم عبد الواحد بن
عبد السلام بن الواثق يقول : سمعت بعض الصالحين يقول : روى
بعض الصالحين فى المنام . ف قيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفرلى
قيل : من وجدت أكثر أهل الجنة ؟ قال : أصحاب الشافعى
فقيل : فأين أصحاب أحمد بن حنبل ؟

قال : سألتنى عن أكثر أهل الجنة . ما سألتنى عن أعلى أهل الجنة .
أصحاب أحمد أعلى أهل الجنة . وأصحاب الشافعى أكثر أهل الجنة .

[مرأى العلماء والشعراء لشيخ الاسلام ابن تيمية]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه ، أمين الدين عبد الوهاب بن سلال الشافعى ،
رضى الله عنه ، يرثى الشيخ تقي الدين ، الامام أحمد بن تيمية :

كل حي له الممات ورود ليس في الدنيا لمء خلود
كل خلٍ مفارق لخليل كل وصل إلى اتقصال يعود
ليس يبقى إلا إله البرايا دائم الملك والبقا . لا يبيد
عينٌ ، سحى بمدمع ليس يرقأ وسهاد دائما ، وأنفانُ جووا
يأجرح بمهجتى ، ليس يبرا أويجودوا بطيفهم ، أو يعودوا
هل لما بى من مُسعدٍ ، أو معين ؟ عزَّ صبرى ، وفرطُ حزنى يزيد
وَيْكِ نفسى ، تعاملى باصطبار فالذى قد قضى بهذا مرید
قد رُزئنا إمام علمٍ ودين عديم المثل فى الزمان فرید
يا لحزن عليه ، عمَّ البرايا بالنارِ ، بقابى لها وقود
كان شيخ الاسلام عقلا وتقالا سنن البدع عنده مردود
كان فى العلم والشجاعة فذا وهو فى الزهد والعفاف يسود
كان بالعرف آمرا ، لا للحظ وعن النُكْر للعباد يذود
كان لله ذا كرا كل وقت وعن اللهو والضلال بعيد
مات لله صابرا وسطا سجن يوم الاثنين ، سره مشهود
وتولاه الأبرار غسلا ودفنا أبيض الوجه ، فى الثرى ملحود
حين وافى على الرؤوس مسجى والبرايا من كل حى وفود
صحت من فرط ما بدالى : مه

لا ، لك فى جنة الخلود خلود

يا لها من رَزِيَّة طاش فيها كل لُبٍ وتَشَعَّرُ الجلود
يا ابنَ تيميةَ ، عليك سلامي كل وقت يمضي ، ووقت يعود
يا ابن عبد الحليم ، حلمك يسمو يا ابن عبد السلام ، سِلْمُكَ جود
يا إمام العلوم ، من للفتاوى ؟ ولحل الأشكال حَبْرًا تفيد ؟
ولفهم الكتاب والنقل بحرٌ في معانيهما مصيب شديد
يا بشوشا لكل من رام نفعاً إنَّ من نال من جنائك سعيد
كلُّ وقت مضى لديك سماعا ذاك عند التحقيق علم جديد
ليت شعري ، أيا مَنَّا باجتماع بك ، هل تبدولنا ، أو تعود ؟
حُبِّتُ رَبًّا ، وَقُدِّسَتْ مِنْكَ رُوحٌ وَمُنِحَتْ النِّعَمُ مَهْمَا تَرِيدُ
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدتُ بخط والدي يقول :

أنشد الشيخ الامام العالم ، مسند الشام ، بهاء الدين القاسم بن محمود
ابن عساكر . أبقاه الله تعالى ، لنفسه في شيخ الاسلام تقي الدين أحمد
ابن تيمية هذين البيتين ، في يوم الأربعاء سابع رجب عام عشرين
وسبعمائة ، بمنزله بدمشق :

تقى الدين أضحى بحر علم يحيب السائلين بلا قنوط
أحاط بكل علم فيه نفع فقل ما شئت في البحر المحيط

وأيضا وجدت بخطه في ابن تيمية يقول :

أنشدنا الشيخ صلاح الدين القوأس من لفظه ونظمه ، في سؤال
سنة ست وسبعائة ببعلبك ، بمسجد الحنابلة :

قالوا : ابن تيمية في السجن ، قلت : لهم

لا يعجزنكم الأفكار بالقلق

مات الموفق والقاضي الامام أبو

يعلى ، ومات أبو الخطاب ، والخرقى

ولابن حنبل الصديق نور هدى

حتى القيامة مثل البدر في العسق

وفضله بين أهل الفضل مشتهر وإصبعاه من الزنديق في الحدق

تم والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت بخط الشيخ سعيد الذهلي يقول :

أُشَدُّنا الشيخ الامام العالم الفاضل الكامل ، أوحد دهره ،
وفريد عصره ، إمام المحققين ، وقدوة أئمة المحدثين ، تقي الدين
أبو الثناء محمود بن علي بن محمود بن مقبل بن سليمان بن داود الدقوقي
المحدث سأل الله تعالى لنفسه .

يرى الشيخ الامام العلامة والبحر الفهامة ، حجة الاسلام ، وقدوة
الأئمة ، تقي الملة والحق والدين ، أحمد بن الشيخ الامام شهاب الدين
عبد الحلیم ، بن الشيخ الامام العلامة مجد الدين عبد السلام بن
تيمية الحراني . قدس الله روحه . ونور ضريحه . في سنة ثمان وعشرين
وسبعمائة . ولم ير الشيخ رحمه الله :

قِفْ بالربوع الهامدات وعدِّ وأذِرِ الدموع الجامدات وبدِّ
واحبس مطيِّك في المنازل ساعة

واسأل ، ولا تَكُ في سؤالك مُعْتَدِ

واقطع علائقك التي هي فتنة واتَّبِعْ سبيل أولى الهداية تهتد
ودعْ صباك . ودعْ أباطيل المنى واهجرْ دُنَيَّاتِ الأمور وسدِّ
واقنع من الدنيا القليل ، ولازم الفعل الجميل ، وسرِّ بسير مجرد
وتوخَّ فعل الخير ، واصحبْ أهله متحبيًّا متجنبًا أهل الدد^(١)
لا تعيِّنْ مفارقا يسكن على أحبابه ، وارحمه إن لم تُسعدِ

(١) الدد : اللهو واللعب

وَدَرَّعَ المَرْوَّعَ بالبعاد . وَعَذَّلَهُ فَالْعِذْلُ أَمْضَى مِنْ فَعَالٍ مُهَنْدٍ

ماذا الوقوف عن الشرى ، وصحابنا

ساروا ، وصاروا بالعرء القَدْخَدُ ؟

لَا أَخْضَرَ بَعْدَهُمُ الْعَقِيقَ ، وَلَا شَدَّتْ وَرُقُ الْحَمَامِ فَوْقَ بَرْقَدِ تَهْمَدِ

أما أنا ، فَلَا بُكَيْنَ ، قَانِ وَنِي

دمعى ، سَفَكَتْ حُشَاشَةُ الْقَلْبِ الصَّدَى

أَيْنَ الْمَعِينِ عَلَى الْخَطُوبِ إِذَا عَرَتْ ؟ أَيْنَ الْمُسَاعِدِ عِنْدَ فَقْدِ الْمُسَعِدِ ؟

أَوْ مَا دَرَى مَنْ كُنْتَ تَعْرِفُ قَدِ مَضَى

لسبيله فِي ضَنْكَ لِحْدٍ مُؤَصَّدٍ ؟

أَيْنَ الْحَامِي عَنْ شَرِيعَةِ أَحْمَدِ ؟ أَيْنَ الْحَقُّقُ نَهْجَ مَذْهَبِ أَحْمَدِ ؟

مَاتَ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْخَبِيرُ الَّذِي يُهْدَاهُ عَالَمٌ كُلُّ قَوْمٍ يَهْتَلِكِي

مَنْ لِلْيَهُودِ ، وَلِلنَّصَارَى بَعْدَهُ يَرْمِيهِمْ بِمَقَالِهِ الْمْتَسَدِّ ؟

سَلِّ عَنْهُ دِيَّانَ الْيَهُودِ ، أَمَا غَدَا مُتْلَفَعَا بِصَغَارِهِ الْمْتَهُودِ ؟

نَشَأَتْ عَلَى فَعْلِ التَّقَى أَطْوَارُهُ

فَعَتَتْ لَهُ التَّقْوَى ، وَأَعْطَتْ عَنْ يَدِ

وَرِثَ الزَّهَادَةِ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ الْعَالَمِ إِرْثًا سَيِّدًا عَنْ سَيِّدِ

قَفٍ ، إِنْ مَرَرْتَ بِقَاسِيُونَ عَلَى ثَرَى فِيهِ ضَرِيحُ الْعَالَمِ الْمْتَفَرِّدِ

وَأَعْجَبَ لِقَبْرِ ضَمٍّ بَحْرًا زَاخِرًا بِالْفَضْلِ يَقْذِفُ بِالْعُلَا وَالسُّودِ

بَشَرٌ يُبَشِّرُ بالغنى من جاءه يسر يسر فؤاد عان مرهه
 كانت به أرض الشام أمينة من مبطل متهول متلد
 لو تستطيع بنات نعش أن ترى يوماً يسير بنعش ميت ملحد
 كانت تسير بنعشه وتحطه فوق السماك وفوق فرق الفرقد
 مات الذى جمع العلوم إلى التقى والفضل والورع الصحيح الجيد
 شيخ الأنام تقى دين محمد وجمال مذهب ذى الفضائل أحمد
 ودعت قلبى يوم جاء نعيه فتقاعدى ، يا عينُ بى ، أو أنجدى
 سقت العباد عراض قبر حاله جسد حوى خلقاً وحسن تودد
 يا مبلغ العذال فرط صبا بى وتعلق يوم النوى وتشهدى
 ما بعد رزئك فى الزمان رزية تسمى المقاتل بالفراق ولا تدى (١)
 بددت شمل الملحدىن جميعهم وجمعت شمل ذوى التقى المتبدد
 يأسن ترى أقواله مبيضة فى كل ذى قول ووجه أسود
 يا كالىء الإسلام من أعدائه وسمام (٢) كل أخى نفاق ملحد
 يا واحد الدنيا الذى بعلمه يمتاز فى الاسلام كل موحد
 يا حامل الأعباء عن مستنصر يا كاشف الغماء عن مستنجد
 يا طارد الشبهات عن متردد يادافع الغافات عن مسترفد

(١) وداه - كداه - أعطى دينه

(٢) سمام : جمع سم . ويجمع أيضا على سموم

قَرَّتْ عيونُ مجاوريك ، وقد غنوا
بجوار قبرك عن وثير المرقد
فكأنما تلك اللحد حداثق

زهو بنرجس زهرها الغضّ الندى (١)

يا خاتم العلماء صحَّ بموتك ١١ خبر الذي يرويه كلُّ مُجَوِّد
اليوم قبضُ العلم ، قولاً واحداً من غير مامنع ، وغير تردد
لو لم يكن ختم الأئمة أحمدُ بَشَرْتُ أهل الخافقين بأحمد
خوضُ السكرائه لم يرَل من دأبه

فيه الفوارس في المضائق تهتدى
شيخٌ إذا أبصرته في محفلٍ تقَدَّى برويته عيون الحسد
ذو المنقبات الغرِّ والشيم التي يَفْنَى الزمان وذكره لم ينفد
يا من يروم له عديلاً في الوري قد رُمْتَ كالعنقاء مالم يوجد
كم بين رِثْبال الفلاة وثعلب

كم بين شعواء البراة وجُدْجُد ؟ (٢)

(١) الآيات الأربعة ، من « يا حامل » مضروب عليها في الأصل
بخط رفيع لم يمح الكتابة . ولعل ناسخها الشيخ يوسف حسين ضرب
عليها لما فيها من الغداء

(٢) الرثبال - كقرطاس - الأسد . والشعراء : المنتفشة الشعر . والجدجد -
كدهد - طويثر شبه الجراد

أَرِجَ الْمَطِيُّ ، ولا تكن كمحاول

صيد النجوم من المياه الرُّسْد
قد كان شمسا للصَّحاب منيرة بضياءها ، في كل قطرٍ ، نهتدى
واليوم أدركها الكسوف ، فأظلمت

طرق الهدى للسالك المتردد

لُفَى على تلك الشاؤل والنَّدى والجود ، والهدى القويم الأرشد
هجم الحِمام ، فلا مَقَرَّ لهارب والموت في الدنيا لنا بالمرَّصد
مات الصديق ، ومات من عاديته وتموت أنت كمثلها ، وكأنَّ قَدِ
وإذا مضى أقران عمرك فانتظر في يومك الناعي ، وإلا في غَدِ
لكن لنا عن كل خِلٍ سَلوة بمصاب سيدنا النبي محمد
صلى عليه الله ماهجر الكرى جفَنَ التقيُّ القانت المهجد
نمت والحمد لله . وعدَّتها ستة وخمسون بيتا

بسم الله الرحمن الرحيم

وأيا للدُّقوقي ، رحمه الله تعالى

ما كُفَّ هذا الرُّزَّ جَفَنَ تَسْجِم أبدا ، ولا قلبٌ يذوب ويألم
رُزَّ أَصَمَّ جميع أسماع الورى سبق الحدث به القضاء المبرم
رُزَّ يَجِلُّ عن البكاء ، لأنه لارُزَّ منه في البرية أعظم
(٢٦ - المفقود الارية)

يتضاءل اللّسن الفصيح لذكره ويحلّ قدراً في النفوس ويعظم
رزه له هَوَاتِ النجوم ، وكُورَتِ

شمس الضحى ، والصبح ليل مُعْتَمِ
من عَظَمِ مَوْقَعِهِ ، وفادح خطبه

لم يَدْرِ قُسُّ ما البيانُ ، وأَكْثَمُ ^(١)

لِكِنَّمَا تَجْرَى الْأُمُورُ بِكُلِّ مَا يَقْضَى بِهِ رَبُّ السَّمَاءِ وَيَحْكُمُ
وَالْأَمْرُ أَعْظَمُ أَنْ يَقُومَ بِيَعْضِهِ

دَمْعٌ يَصُوبُ وَلَمْ يَخَالِطْهُ دَمٌ ^(٢)

ذَا الْخُطْبُ أَعْظَمُ أَنْ يَدَاوِيَ بِالْأَسَى

هَذَا الْمَصَابِ أَجَلٌ مِمَّا تَعْلَمُ

كُلُّ يَدَافِعُ حَتْفَهُ عَنْ أَنْفِهِ حَتَّى يَفَاجِئَهُ الْحِمَامُ الْمُؤَلَّمُ

أَعْيَى الْأَنَامِ ، فَمَا لَهُ مِنْ مَلْجَأٍ يُؤْوِيهِمْ عِنْدَ الْخُطُوبِ ، وَيَعْصِمُ

وَالْمَوْتَ وَرَدُّ لِلْجَمِيعِ ، وَكَلَّهْمُ فِي مَاءِ ذَلِكَ الْوَرْدِ حَتَّى يَقْدَمَ

مِنْ أَخْطَائِهِ يَدَ الْحَوَادِثِ فِي الصَّبَا لَا بَدَّ تَدْرِكُهُ ^(٣) إِذَا هُوَ يَهْرَمُ

(١) فس بن سحبان ، وأَكْثَمُ بن صيفي ، خطيبا العرب

(٢) وفي نسخة : بحقه * صب حشاشته تذوب وتكلم *

(٤) بهامش الأصل : وفي نسخة منقولة عنه « لا بد أن تدركه اذ هو يهرم »

سَيَّانٌ فِي حَكْمِ الْقَضَاءِ ^(١) مُؤَجَّلٌ فِي نَفْسِهِ ، وَمُعْجَلٌ يَتَقَدَّمُ
 الْاُخْيَّ ، لَا تُبْعَدُ ، فَلَيْسَ بِخَالِدٍ أَحَدٌ ، وَلَا حَيٌّ عَلَيْهَا يَسْلَمُ
 لَا تَعْزِلُ الْبَاكِي عَلَى أَحِبَّائِهِ وَاعْذُرُهُ ، وَارْحَمَهُ ، لَعَلَّكَ تُرْحَمُ
 لِلخُطْبِ يُذْخِرُ الصَّدِيقَ ، وَلَا أَرَى فِي النَّاسِ يَوْمَ الْبَيْنِ خِلَاءَ يَرْحَمُ
 لَا تَحْسَبُوا وُرُقَ الْحَمَامِ سَوَاجِعًا

يَوْمَ الرَّحِيلِ ، وَلَا الْمَطَايَا تَذَرَمُ ^(٢)
 هَذِي تَحْنُ قُتِشْتَكِي أَلَمَ ^(٣) الشَّرَى

وَالْوُرُقُ تَذْكُرُ الْفَهَا ، فَتَرْتَمِ

مَاحَارِبَتِ أَيْدِي الرَّدَى فِي مَازِقِ
 إِلَّا غَدَتِ أَقْرَانُهُ تَتَخَرَّمُ
 مَنْ ذَا يُطِيقُ مَعَ الْفِرَاقِ تَجَلَّدًا ؟

قُلْ لِي ، وَقَدْ (مَاتَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ)
 أَوْدَى فَرِيدَ الدَّهْرِ أَوْحَدَ عَصْرِهِ وَمَضَى التَّقِيُّ الْعَارِفُ الْمُتَوَسِّمُ ^(٤)

(١) فِي نَسْخَةِ بَهَامِشِ الْأَصْلِ « الْفَنَاءُ »

(٢) دَرَمٌ - كَفَرَحٌ - اسْتَوَى

(٣) فِي نَسْخَةِ بَهَامِشِ الْأَصْلِ : « طَوَّلُ »

(٤) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجَرِ (إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِلْمُتَوَسِّمِينَ)

شيخ يسود بجده وبجده (١) وسواه في هذين صفر معلّم
 شيخ كأن الله أودع سرّه فيه ، فما تلقاه إلا يعلم
 اليوم أكشف عن غوامض سرّه اليوم منه يُفسّر المستعجم
 قد كان يؤثّر من أتاه بقوته ويظلّ طول نهاره لا يطعم
 ويجود بالموجود منه ، ويرشد الـ جَنَف (٢) العَصِيَّ بهديّه ، ويقوم
 ظهرت له شيم التقي ، فكأنه بطهارة الأثواب نسكا : محرم
 وإذا تقاعست الرجال ، فانه يوم النزاع : العالم المتقدم
 مَنْ ذَا يَرَى المشكلات يحلّها والواقعات ، ومن به يستعصم ؟
 وعلى النصارى الملحدين ، إذا أتوا من ذَا يَرُدّ ، وَمَنْ يُجِيب وَيُفهم ؟
 يشتاقه الإرسال في إسناده والنسخ والمنسوخ ، ثم المحكم
 وبكته عنعنة الحديث وطرقه وبيان ما يحوى عليه المعجم
 هذا الذى للدين منه مُعلّل ومنوع ، ومجنس ، ومعلم
 هذا الامام الحجة الخبر ، الذى تُنفى به شبه الشكوك وتُحسم

(١) الجِد - بكسر الجيم - السعى وعمل الانسان ونشاطه . وبفتحها . أب
 الأب . فهو حسيب نسيب اكتسب السيادة بنفسه وفضله وعلوه ، وبابائه
 الأفاضل العلماء الجهادة .

(٢) الجَنَف : المائل عن الحق

فَضْلٌ وَزَهْدٌ لَا يُعَدُّ (١) وَعِفَّةٌ وَدِيَانَةٌ وَرِزْقَةٌ وَتَحْلُمٌ
 لَكَ يَا ابْنَ مَجْدِ الدِّينِ طَوْذٌ بِاذْخٍ فِي الْفَضْلِ ، مَمْنُوعُ الْجَوَانِبِ أَهْمٌ (٢)
 أَقْسَمْتُ مَا وَصَفَ امْرُؤٌ بِصِيَانَةٍ فِي نَفْسِهِ ، إِلَّا وَصُوتُكَ أَعْظَمُ
 أَبْدَى مُصَالَاكَ الْبِكَاءُ ، وَحَسْبُهُ يَبْكِي عَلَيْكَ ، وَحَقُّهُ يَتَنَدَّمُ
 أَسْفَافًا عَلَى مَافَاتِهِ مِنْ وَرْدِهِ وَاللَّيْلُ سَاجِدٌ ، وَالْخَلَائِقُ نُومٌ
 حُدُودُهُ إِذْ وَجَدُوهُ أَعْلَمُ مِنْهُمْ وَرَأَوْهُ أَفْضَلَهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا عَمَوَا
 عَقَلُوهُ إِذْ عَقَلُوهُ ، لَيْثٌ كِبَاشُهُمْ

وَاللَّيْثُ يُعْقِلُ مِنْ سِطَاهُ وَيُلْجِمُ (٣)
 تَبْكِي عَلَيْهِ جَوَامِعُ ، وَجَمَاعٌ وَمُنَاقِبٌ ، وَمَرَاتِبٌ تَقْدِمُ
 وَزَكَّتْ خَلَائِقُهُ الشَّرَافُ ، وَكُرِّمَتْ مِنْهُ الْمَعَاشُ ، وَهُوَ مِنْهَا أَكْرَمُ

جَمَعَتْ لَهُ أَشْقَاتُ كُلِّ فَضِيلَةٍ تَرَوِي مَدَائِحَ شَارِدَاتِ حُومٍ
 مَلَأَتْ فُضَائِلُهُ الْبِلَادَ ، فَفَضْلُهُ كَالشَّمْسِ ، نَوْرُ ضِيَائِهَا لَا يُكْتَمُ
 وَلَقَدْ دَعَوْتُ الشَّمْرَ يَوْمَ نَعْيِهِ فَأَبَى عَلَيَّ ، فَلَمْ أُطِقْ أَنْسَكُمُ

(١) بهامش الأصل لعله « يحد » (٢) الأهم : الجبل الصعب

(٣) عَقَلُوهُ : أَي حَبَسُوهُ . وَسِطَاهُ : وَسْطُهُ .

أني يجيب ؟ ومن لوازم حقه أن لا يجيب ، وفكره متقسم
وأخذت أكتب ما أقول ، وأدعى

بين الشطور كعقد درر ينظم
نفد المداد ، فساعده مدامعى فعصى على ، فساعد الدمع الدم
حال المداد عن السواد ، كأنه دمع الحاجم صب فيه العندم
جادت ضريحا بالشام غمامة

تسقى ثراه على المدى وتدوم (١)
وسقى قبورا جاورته من الرضا

تحت التراب سحاب عفو (٢) مشجم
طوبى لمن أمسى مجاور ترابه من أجلها الجار المجاور يكرم
أمسى وتحت الأرض عرس إذنوى فيها ، وفوق الأرض فينا ماتم
هذا وأملك السماء تحفه فى كل يوم لا تمل وتسأم
يا أرض صرت به كروضة جنة لنزيلها فى كل يوم مؤسم
لسواه تشقيق الجيوب ، وإنما شق الجيوب عليه مما يلزم
سعدت به أرض أقام برمسها ميمتا ، وهذا الميت حتى مكرم

(١) دومت ، وديمت : دام مطرها

(٢) نسخة بهامش الاصل «جود»

نقلت إلى جنات عدن روحه والخور والولدان فيها تخدم
 جثمانه تحت العراء ، وروحه في مقعد الصّدق الرضا تنعم
 لو كان للقبر المحيط بجسمه يوما لسان ناطق يتكلم :
 اسمعت بشراه بمن وافى إلى عرصاته من خير صيف يقدم
 هو في جوار الله أشرف منزل والله أرأف بالعباد وأرحم
 تبكى له السبع الطواف وسعيه والحجر ، والبيت العتيق ، وزمزم
 وتعطل الحراب من متعجد بالذكر في أسحاره يتزعم
 واخلق إن نسبوا إليه كواحد في أمّة ، وهو الفريد الأعلم
 أضحت سطور الفضل يصعب فهمها كالخط أصعبه الغريب المبهم
 فأبان مشكلها ، وأوضح رمزها فغدت بتنقيط الفضائل تعجم
 إن كان قد أمسى رهين مودّا زلخ الجوانب جذره متهدم ^(١)
 فلو ربّ عان قد أعان وأكمه هدّى ، فأرشده . ولا يتبرّم
 وضريحه كالمسك ، ينشّق عرفه

من كان من حنقي عليه يسلم

إن كان هذا الرّزء يعظم ذكره

شرفاً ، وينجد في البلاد ويثبّم

(١) ودأ عليه الأرض توديثا : سواها ، وزلخ الجوانب أملسها

فالصبر أكرم ملبس يختاره حُرٌّ بصير ، بالعواقب مسلم
وعلى النبي من الإِآه صلاته

ماسارت الأظمان سوقا ترزَم

قال الشيخ أبو بكر بن أحمد الدُّرَيْبِي رحمه الله :

كان على النسخة التي نقلت منها نسختي هذه ما صورته :

تقاتها من خط مؤلفها الشيخ الإمام العلامة ، أُوحد عصره ، وفريد
دهره أبي الثناء محمود بن علي بن محمود الدقوقي ، البغدادي . قدس
الله روحه :

وقال أيضا : شاهدت على الأصل المنقول عنه ما صورته :

سمع عليّ الولدُ السعيد أبو الخير ، سعيد بن عبد الله الدهلي
الحريري جميع هذه القصيدة الموسومة : بمرآة الشيخ العالم الرباني تقي
الدين أحمد بن تيمية الجرائي . بقراءة الشيخ الامام الأُوحد الفاضل
المحقق الكامل ، جمال الدين أبي أحمد يوسف بن محمد بن مسعود بن
محمد السامري . وذلك في يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول سنة
ثلاثين وسبعائة

وكتب ناظمها محمود بن علي بن محمود الدقوقي حامدا ومصليا —

توفي ناظم هذه المرثاة الشيخ تقي الدين الدقوقي يوم الإثنين

العشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة . ودفن يوم الثلاثاء
بمقبرة الامام أحمد ، وحملت جنازته على الرؤوس . رحمه الله .
وللدوقى أيضا رحمه الله تعالى :

مضى عالم الدنيا الذى عزّ فقده وأضرّم ناراَ فى الجوائح بعده
قدمعى طليق فوق خدّى مُسلسل أكَفِّفْهُ حِينَا ، وَجَفِّى رُؤْدَهُ
ويرجو التلاقى ، والفراق يصدّه وما حيلة الرَّاجِى إِذَا خَابَ قَصْدُهُ
مضى الطاهر الأثواب ، ذو العلم والحجى

ولم يتدنس قط بالآثم بُرْدَهُ
مضى الزاهد النَّدب ابن تيمية الذى

أقرّ له بالعلم والفضل ضِدَّهُ
بكتّه بلاد الشام طرّاً وأهلها وجامعها وأمناعَ للحزن صلده
يَحْنُ إِلَيْهِ فى النهار صِيامه ويشتاقه فى ظلمة الليل ورده
ويبكى له نوع الكلام وجنسه وَيَنْدِبُهُ فصل الخطاب وجده
حمى نفسه الدنيا ، وعفّا تَكْرَمَا وَلَمَّا يُصْعَرُ للدَّيَّيَاتِ خَدَّهُ
ولم يجتمع زوجان من شهواتها لديه ، وبين الناس قد صَحَّ زَهْدُهُ
ويؤثر عن فقر ، وفيه قناعة ويمعجبه من كل شىء أشدُّهُ
عليم بمنسوخ الحديث وحكمه وناسخه ، نغر الزمان ومجده

قَوْل ، فعول ، طيب الجسم ، طاهر
 إمام ، له من كل علم أسدّه
 فما قال في دنياه هُجْراً ولا هوى ولا زاع عن حق تبين رُشدّه
 علوم كنش المسك من كل سيرة يُشيد دين المصطفى ويُجده
 فله ما ضمّ التراب ، وما حوى

من الفضل ، فليفخر على الأرض لحده
 فيا نَعشَه ، ما ذا حملت من امرى جميع الورى فيه ، وفوقك فردّه ؟
 وكان لنا بحرا من العلم زاخرا فما باله لم يصف مذّ غاب ورده ؟
 وما مات من تبقى التصانيف بعده

مخلّدة ، والعلم والفضل ولده
 وخلف آثارا حسنا حميدة إذا عُدّت زادت على ما نعهده
 ولست مطيقا شرح ذاك مفضّلا ولكن على الاجمال يعكس طرده
 لقد فارق الأصحاب منه مصاحبا يُراعى وِدَاد الخِلّ إن خان أوده
 قضى نَحْبَه والله راضٍ بفعله والله فيما قد قضى فيه حمده
 يدل تراب القبر من جاء زائرا إليه بطيب فيه يعبق نده
 ولا تحسبوا ما فاح عطر خنوطه ولكنه حُسن الثناء ومجده
 وكان لأهل العلم تاجا مُكَلّلا يحوطهم من مُبطل خيف حقه

وما كان إلا التَّبرَّ عند امتحانه يبين لعين الحاذق النَّقدَ نقدَه
وكان يقول الحق ، والحق حلوه مرير ، لهذا كان يُكره رَدَه
وفي الحق لم تأخذه لومة لأثم ولاخاف من غمُر تشدد حرَدَه (١)
وما كان الا السيف غارت يد العلا

عليه ، فردته كما غار غمده
ولم تله الدنيا وزخرفها الذي يروق لمن لم يؤنس الدهر رشده
لقد فقدت منه المحاسن زينها ولما يفارق علمه الجم وجده
وخضبت الأفلام بعد مدادها

عليه دما ، قد فاض في الطرس مدّه
فلدَّهر ماضمَّ الثرى من محقق ويالك من غضبٍ تشلمَّ حدّه
وكان إماما يستضاء بنوره

وبحرًا من الافضال قد غيَّض عدّه (٢)
وكنتُ أَرْجى أن أراه ، ونلتقى ولكن قضاء الله ، مَنْ ذا يرده ؟
نرى الموت مألوف الطباع ، وربما يُعلَّل بالمألوف من لا يؤدّه
فأهٍ على تفريق شملٍ مُجمّع وحرَّ فؤاد بان ، مُذبان برده

(١) الغمر — ماث الغين — من لم يجرب الامور : والخرد : شدة
الغضب والغيط

(٢) العد — بكسر العين — الماء الجاري الذي له مدد لا ينقطع

إلا أنها نفس ، وللنفس حرة
ولست بناس عهد خلّ تغيت
وما عذر دمع لا يحيشُ بدمعه
يروم الأمانى ، ولما تصدّه
عليك ، أبا العباس فاضت مدامعى
على مثلك الآن المراثى مباحة
شددت عرى الإسلام شدة عارف
تركت لهم دنياهم ترك عالم
وكنّت لمجموع الطوائف مقتدى
وكنّت ربيعا للمريد وعصمة

فمذ صيرت تحت الأرض صوح ورده (٢)

جمعت علوم الأولين مع التقى
وكنّت تقى الدين معنى وصورة
رحلت وخلفت القلوب جريحة
عليك سلام الله حيا وميتا

تمت وهى اثنان وخمسون بيتا .

(١) صوح : أذبل وجف

تقى الدين لما ميتاً أضحت لك الدنيا تُصَيِّح بانتحاب
وكنْتَ البحر ، فوق الأرض تمشي
فعاد البحر من تحت التراب

للإمام المحدث الفقيه الفاضل تقى الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان
بن عبد الله بن سالم الجعبرى مرثاة فى شيخ الاسلام تقى الدين أبى العباس
أحمد بن تيمية رحمة الله عليه :

جَلَّ رُزْئِي وَقَلَّ مَنِ اصْطَبَارِي يَا قَوْمِي مِنْ قَاصِمِ الْأَعْمَارِ
مَنْ مَعِينِي عَلَى نَوَائِبِ دَهْرِي وَمُلَامَاتِهِ ، وَمَنْ أَنْصَارِي ؟
قَدْ سَقَتْنِي الْأَيَّامُ جَرَّعَةً صَبْرِي عَزَّ صَبْرِي لَهَا ، وَبَانَ اصْطَبَارِي
فَدَمَوْعِي مِثْلَ الْغَمَامِ انْسِجَامَا

وَنَوَاحِي فِي اللَّيْلِ مِثْلَ الْقَمَارِي (١)

يَا عَذُولِي ، أَقْصِرْ ، فَانْكَ خِلْوٌ
مِنْ شَجَوْنِي ، فَلَا اخْتَرَقَتْ بِنَارِي
طَابَ كَأْسُ الْمُنُونِ صَرْفًا ، أَدْرِهَا لَا كُؤُوسًا مِمَزُوجَةً مِنْ عُقَارِ
لَسْتُ أَبْغِي الْحَيَاةَ بَعْدُ ، وَلَسْكَنَ بُغْيَتِي أَنْ أَمُوتَ فِي الْأَبْرَارِ

(١) القمري - بضم القاف نوع من الحمام ، والجمع القمارى بفتح القاف

بعد سبع من المئين وعشري ن خريفا من هجرة المختار
 مع ثمان للعقد عشرون إذ ذا ك يوم الاثنين بعد نصف النهار
 مدفن الخبر محرز العلم حقاً ترجمان الكتاب والآثار
 أحمد ، أحمد المناقب والوصف ابن تيمية الكريم النجار
 التقى النقي ذى الجحد والدود والمكرمات ، والايثار
 إن يكن جسمه تغيب في التراب فعناه نشره كالعرار^(١)
 كان قطبا ، عالما ، وإماما وشيخا لوحدته بالفخار
 جابراً لليتيم ، برأ ، رحيم علمه مشرق على الأمصار
 لم أجد بعده على الدهر^(٢) معينا سوى عيون جوارى
 فنهارى من فقدته مثل ليلى بعد ليل ، بوصله كالنهار
 يا ابن تيمية ، ويا أوحده العرر ، ويا سيدا غريب الدار
 كنت كالكهف ملجأ الخيف من ضلال ، وناصرأ باقتدار
 إن دعوت البكاء بعدك والصبـر أجاب البكاء ، وولّى اضطبارى
 فرجائى إن ينقطع من وصال سوف يبقى حزنى مدى الأعمار

(١) نشره : طيب ريحه ، والعرار : نبت طيب الريح

(٢) كانت بالاصل : « لم أجد بعده معينا على الدهر »

كُنْتُ حَبِيبًا لِّلْمُتَّقِينَ إِمَامًا قَالَقَ مَا قَدَ وَعُدْتُ مِنْ سِتَارِ
غَافِرِ الذَّنْبِ قَابِلِ ، التَّوْبِ ، ذِي الطَّوْلِ
لِ ، الْعَزِيزِ الْمُهَيْمِنِ الْغَفَّارِ
وَعَلَى نَفْسِكَ الزَّكِيَّةِ مَنِ يَا مَنَانِي وَمُنْتَهَى أَوْ طَارِي
كُلِّ وَقْتِ تَحِيَّةٍ ، وَسَلَامٍ مَا أَضَاءَتْ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ
تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

* * *

لِلشَّيْخِ قَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَصْرِ الْمُقَرِّي ، فِي الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ
إِبْنِ تَيْمِيَّةٍ يَرِثِيهِ :

عَظُمَ الْمَصَابِ وَزَادَتْ الْأَفْكَارُ	وَجَرَتْ بِحُكْمِ فِرَاقِكَ الْأَقْدَارُ
يَا أَوْحِدًا فِي حِلْمِهِ وَعِلْمِهِ	خَلَّتْ الْبَقَاعُ ، وَقَلَّتِ النَّصَارُ
أَعْلَى تَقَى الدِّينِ يَحْسُنُ صَبْرُنَا ؟	وَمِثْلُهُ تَقَمَّتْكَ الْأَسْتَارُ
تَجْرِي لِعَظَمِ فِرَاقِنَا عِبْرَاتِنَا	أَسْفًا عَلَيْهِ ، كَأَنَّهَا أَخْطَارُ
لَهْفِي عَلَى بَحْرِ الْعُلُومِ وَغَوْصِهِ	يَحْوِي الْجَوَاهِرُ بَاهِرُ زَخَارُ
يَنْثَالُ مِنْهُ إِلَى الْقُلُوبِ جَوَاهِرُ	وَالدَّرَّ مِنْ فِيهِ السَّيِّئُ نِشَارُ
وَلَهُ بِتَفْسِيرِ الْكِتَابِ غَرَائِبُ	جُلِيَتْ لَهُ . وَكَذَلِكَ الْأَخْبَارُ
حَبْرٌ ، لَيْبٌ ، أَوْحَدُ فِي عَصْرِنَا	سَلَّ مَا تَشَاءُ ، لَهُ بِهِ أَخْبَارُ

غلب الملوك مهابةً وشجاعةً ليثُ يهابُ لقاءَه الكفار
 ماكان إلاشامة في شامنا وعليه من تقوى الاله شعَار
 وله من الله الكريم عناية وله من الصبر الجميل دثار
 ماكان إلا دُرَّةً مكنونةً لايعترية تدنس وغبار
 لا يَأْوِينَ إلى الحطام تعمُّفاً وعاليه من تقوى الاله وقار
 ماكان إلا حبر أمة أحمد شخصت لعظم مُصابه الأبصار
 ومجاهد في الله حق جهاده بحر الندى ونواله مسدّار
 وله الزَّهَّادة والعبادة منهج وبسنة الهادي له استبصار
 حاز العلوم : أصولها وفروعها وبكل مايروى له آثار
 يلوى عن الدنيا ، ومايعنى بها وزواه عنها الواحد القهار
 لما اقتناه^(١) هداه منهاج الهدى وعطاء ربك وافر مكثّار
 نزل القضاء به فأنس رحمةً من ربه لا تدفع الأقدار
 بكت السماء عليه يوم فراقه أسفا . وجاء الغيث والأمطار
 وبكى الشَّام ، ومُدَّنه ، وبقائه لما قضى . وكذلك الأمصار
 أو ما نظرت إليه فوق سريره حَفَّت به من ربه الأنوار ؟
 والناس من باك عليه بِحُجْرَةٍ ودموعهم فوق الحدود غزار

(١) أى اختصه الله بنصرة دينه وإقامة شريعته

وَهُمُ الْوَفَّاءُ ، لَيْسَ يَحْصِي جَمْعَهُمْ إِلَّا إِلَهُ غَافِرٍ سِتَّارٍ
 تَزَلُّوا بِهِ ، كَالْبَدْرِ فِي إِشْرَاقِهِ فَتَبَاشَرْتَ بِقُدُومِهِ الْأَقْطَارِ
 عَبْدُ الْحَلِيمِ ، وَجَدَهُ ، سَعَدُوا بِهِ وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ وَالْأَرْارِ
 وَلَمْثَلْ هَذَا سَارِعُوا أَهْلَ التَّقَى فَازُوا بِمَا فَازَتْ بِهِ الْأَخْيَارِ
 اللَّهُ يَكْرُمُهُ بِأَفْضَلِ رَحْمَةٍ فِي جَنَّةٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارِ
 أَكْوَابُهَا مَوْضُوعَةٌ ، وَقِبَابُهَا مَرْفُوعَةٌ حَفَّتْ بِهَا الْأَنْوَارِ
 وَكَوْوسُهَا قَدْ أَدْهَقَتْ ، وَقُصُورُهَا تَدُ اشْرَقَتْ مِنْ فَوْقِهَا الْأَسْتَارِ
 وَصَحَافُهَا مِنْ فِضَّةٍ ، وَلِبَاسُهُمْ مِنْ سُنْدُسٍ ، وَطَعَامُهُمْ أَطْيَارِ
 وَالْحُورُ فِي تِلْكَ الْخِيَامِ بِيَهْجَةٍ لَكِنَّهُمْ عَلَى الْمَدَى أَبْكَارِ
 غُرَبَاءُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَلَيْتَنَا مِنْهُمْ إِذَا ضَرْنَا إِلَى مَا صَارُوا
 وَعَلَى الْأَرَانِكِ يَنْظُرُونَ نَعِيمُهُمْ وَعَلَيْهِمْ كَأْسُ الرَّحِيقِ تُدَارِ
 وَوُجُوهُهُمْ مِثْلُ الصَّبَاحِ إِذَا بَدَأَ لِلنَّازِلِينَ ، كَأَنَّهُمْ أَقْصَارِ
 وَيُمْتَعُونَ بِنَظَرَةِ قُدْسِيَةِ مَنْ رُبُّهُمْ ، سَبَّحَانَهُ الْجَبَّارِ
 فِي عَمْرِ عَيْسَى ، وَالْجَمَالَ كِيُوسُفَ وَبَطُولَ آدَمَ ، كُلُّهُمْ أَبْرَارِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَهُوَ الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى الْخِتَارِ
 هَادِي الْوَرَى وَإِمَامُهُمْ وَشَفِيعُهُمْ أَنْصَارُهُ الْأَمْلَاقِ وَالْأَنْصَارِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا اهْتَزَّ الثَّرَى فَرَحًا ، إِذَا مَا جَادَتِ الْأَمْطَارُ
 تَمَّتْ . وَهِيَ أَحَدُ أَرْبَعُونَ بَيْتًا .

من قصائد الشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخياط
الجوخى الدمشقى ، مرثية فى الشيخ رحمه الله تعالى :

خشعت لهيبة نعثك الأبصار	لما عليه تبدت الأنوار
وبه الملائكة الكرام تطوّفت	زُمرًا ، وحقّت حوله الأبرار
فكساه رب العرش نوراساطعا	فكأنما غشى النهار نهار
ولأمة الاسلام حول سريره	سام إلى رب السماء جوار
ولهم دموع من خشوع نفوسهم	ودموعها فوق الحدود غزار
وسرّوا به فوق الإران ^(١) ، وتحتته	منهم يعين أنامل ويسار
ولرحمة الرحمن ظلّ سَجَسَج	يفشاهم ، وسكينة ووقار
فأكمّ عيون من تمّوج ماها	حزنا تأجيج فى الجوانح نار
كان المات زفاف عرس حياته	وبه النفوس مع الدموع تثار
إن كان من أهل وجيران نأى	فله دنا من ذى الجلال جوار
أو كان عن دار الفناء رحيله	فلديه فى دار البقاء ديار
أو كان أزعج عن ذرى أوطانه	فله بخلد فى الجنان قرار
ما كان إلا مُزّن علم رُوّضت	منه بصيّب قطره الأقطار

(١) الاران — ككتاب — سرير الموت ، أو تابوته .

كالغيث أقلع بعد سَحٍّ غيمه وتحلفت من بعده الآثار
 ما كان إلا طود علم باذخ من دون وزن حصاته القنطار
 ما كان إلا بحر جود ، كَفَّه تياره بنواله زَخَّار
 ما كان إلا ديمة معروضا (٣) بهباته لغفاته مدرار
 ما كان إلا البدر عند كماله وافاه من نقص التَّام سرار
 ما كان إلا خير أمة أحمد في العصر ، لم تسمح به الأعصار
 حبر ، وبحر للمكارم ، والتقى والجود ، والاحسان فيه بحار
 وَلَسْكُمْ لأحمد في المحامد رتبة من طولها تنقاصر الافكار
 وله مناقب ملخص صفاتها عد ، ولا حد ، ولا مقدار
 وله الشعور بكل علم نافع عقلا ، ونقلا ، في الأنام : شعار
 وله التزهد ، والتعبد ، والتقى ما بين أرباب الدثور : دثار
 وله ، إذا نخر الفخور بزينة الـ دنيا بتشعيب الحياة ، نثار
 ولأشرف الاشياء علمٌ نافع لادرهم يغنى ، ولا دينار
 إن أظلمت سبل النهى لسكونه فلذكره في الخافقين منار
 ولقد علا الاسلام جلَّ مصابه لكنها لا تُدفع الأقدار
 لو كان في الدنيا يدوم مخلدا بشر ، لخلد أحمد المختار

ولكل حى خلع ثوب حياته علما بأن ثوب الحياة معار
 فيم النجاة ؟ وكل حى ميت إلا الآله الواحد التهار
 ولقد أسفت على فراقى أحدا إذ ليس لى قضيت به الأوطار
 لو كان يفدى هان عند فدائه أموال ، والأولاد ، والأعمار
 قد كان مغناطيس أفئدة الورى أنسا . ولكن فى القليل نثار
 ما كنت أحسب أن يوم وفاته يبدو المصون وتهتك الأستار
 بكر النساء من الستور ثواكلاً ومن الخدور الشهد الأبكار
 والناس أمثال الجراد ، لهم على تابوت منه تهافت ودوار
 فسكانه يعسوب نحل نحوه حيا وميتا للنفوس مطار
 ملأت محاسنه البلاد ، ونوّهت بحديث معجز فضله الأمصار
 وجرى بأفواه الأنام ثناؤه فلأرض روضة ذكره معطار
 يفنى الزمان وينقضى وبأحمد وحديثه تتحدث السمار
 فأحلّه الرحمن دار أمانه ليزول من خوف عليه حذار
 وحباه ظلا صافيا فى جنة فيحاء ، تجرى تحتها الأنهار

تمت وهى ثلاثة وأربعون بيتا

وله أيضا يرثى شيخ الإسلام رضى الله عنه :

لمصاب البر التقي الإمام كل دمع من الوری فی انسجام
 والبواکی لهم علیه نواح کفقیقات صادحات الحمام
 مات يوم الاثنين ، والسرفیه غیر خاف علی ذوی الأفهام
 موة عظم المہمن فیها قدره فی عموم جمع الأنام
 حفہ الناس أجمعون : رجالا ونساء ، سعیا علی الأقدام
 ومشوا تحت نعشه ، وهو من فو ق رؤس الأعیان والحکام
 یسبلون الدموع من خشية الا ، وحزنا کمسيلات الغمام
 وضجيج العباد سرا وجہرا کدوی فی سامق الجو سام
 یالہ مکفر يوم عبوس عاث فی غارب السہی والسنام
 کم به عاین الهلاک قوی ذو نشاط لفرط کظ الزحام
 یالها رزیة ، کاف فیها يوم یؤس فی طوله فوق عام
 جل فیہ المصاب ، حتی لقد ر ق تعبیرہ علی الأوهام
 کان شیخ الاسلام فی العلم والزهد وحل مشکلات الکلام
 فقد الناس منه بحرأ علما ہدیہ کالأئمة الأعلام
 منه حب الکتاب والسنة المثلی ، جرى فی عروقه والعظام
 بلغ الأوج من سماء المعالی وتسامی علما علی کل سامی
 وطوی ذکرہ البلاد انتشارا فهو حتی المعاد فی الناس نامی

كان جبر الكسير إن هاضه الدهر ، وعون العاني ، وحطم الحطام
 كان حب الدنيا إليه بغيضا فوق بغض الصحيح ثوب السقام
 كان لا يرهب الملوك ولا يرغب فيما لهم من الأنعام
 كان وترا في الفضل فذا ، وكل الناس جاءوا بشفعهم والتؤام
 كان سمحا ، بمثله الدهر ضنا في ليلى الزمان والأيام
 كان سطرأ في جهة الدهر يُقرا في البرايا ، وشامة في الشآم
 كان نفع الكل من خاف ضرا في سبيل حلاله والحرام
 لم يكن ذا تأنق في متاع ولباس ، ومشرب ، وطعام
 كان يخشى داء ، ويرجو دواء وشفاء اسكل داء عُقام
 كان في الله ذا انتقام ولا يو جد يوما لنفسه ذا انتقام
 كان برا يهدي به ذو ضلال كان بحرا ، يروى به كل ظام
 كان كالليث بالنوائب فتكا كان كالغيث بالمواهب هام
 في يديه وصدره كل بحر زاهر بالنوال والعلم طام
 أي ندب ، شهيم ، شجاع ، جواد أروع ، ماجد سرى هام
 قام لما تذبذب النا س ، وتبدى لما نبا كل حام
 كم له في حنادس الخطب والخال ق نيام حتى الضحى من قيام
 وجميع الأنام من شدة الخو ف نيام من الردى في منام

وبنو فارس قد افترسوا النوا
 ودمشق الشام بعد انبساط
 إذ غزانا عُلجُ العلوج قزان
 فأعاد العزيز منا ذليلاً
 فنضاه الجبار ، نجلّ ثناه
 فحمانا بالله من كل طاع
 ياله — حين فرّ كل كمي
 يا ابن تيمية ، عايك خصوصاً
 ياسليل العلا ، عليك القوافي
 يا فقيد المثال : علما ، وحلما
 يا بطي ، الاحجام إن عزّ خطب
 يا محلي ، وكسياً كل فضل
 كف طرفي إن لذّ من بعد مرآ
 وبودي — بفقد شخصك — لوحا
 ولعمري ، يامن له في فؤادي
 إن حكمت الثرى فروحك حلت
 فسقى تربة حواك ثراها
 س افتراس الاسود سرّع السوام
 من ضواحي رستاقها في انضما
 وغزانا من فارس بالطغام
 ذا صغار ، ينقاد كالأنعام
 في وجوه العدى كحد الحسام
 لا برمح ، وصارم ، وسهام
 من حمة الاسلام عنا — : بحامي
 وعموما : تحيتي وسلامي
 قد بكت في الطروس بالأقلام
 وقريب المرمى ، بعيد المرام
 وسريع القيام والاقدام
 ومُعري من كل عار وذام
 لك لأجفانه لذيد المنام
 م على أيسكتي حمام حمامي
 لحدّ ذكر ، دوامه بدوامي
 يا ابن عبد السلام ، دار السلام
 كل مُزني بوابل ورهام

وإذا سَحَّت السَّوَارَى بِسَحٍّ وَالغَوَادَى ، جَدُّنَاكَ بِالْدمعِ دَامَ
تَمَّتْ بِمُحَمَّدٍ اللَّهُ وَعَوْنُهُ . وَعَدَّتْهَا اِثْنَانِ وَخَمْسُونَ بَيْتًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

لِلْإِمَامِ نَجْمِ الدِّينِ إِسْحَاقَ بْنِ أَلَمَى التُّرْكِيِّ ، يُحْيِي صَدْرَ الدِّينِ
ابْنَ الْوَكِيلِ ، فِي قَصِيدَةٍ هِجَابِيَّةٍ شَيْخِ الْإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةٍ ، وَزَعَمَ
أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ فِي مُحَنَّتِهِ الْأُولَى مَطَرَتِ السَّمَاءُ :
مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الْخَبِيثِ مَقَالَةٍ كَالسَّيْفِ أَقْصَمَ ظَهْرُهُ بِفِرْتَدِهِ
أَزَعَمْتَ إِذْ غَابَ الْإِمَامُ هَمَى الْغَمَا م ؟ كَذَبْتَ ، بَلْ بَكَتِ السَّمَاءُ لِفَقْدِهِ
أَوْ مَاتَرَى شَمْسَ الضُّحَى فِي مَاتَمِ وَالْجَوُّ قَدْ لَبَسَ الْحَدَادَ لِبَعْدِهِ ؟
فَلَيْدُخُلْنَ لِأَرْضِ مِصْرَ إِمَامُنَا بِسَكِينَةٍ حُقَّتْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ
وَلِيَرْجِعْنَ إِلَى دِمَشْقَ مُؤَيَّدَا حَقًّا ، كَمَا عَادَ الْحَسَامُ لِعُغْدِهِ
وَتَرَى بَعِينُكَ مَا يَسُوؤُكَ مِنْ عَلَا يَفْتَنِي الزَّمَانُ ، وَلَا نَقَادَ لِمُجْدِهِ
أَظْلَمَتْ مِنْ حَقِّقِ بِهِ مِتَشَبَهَا أَيْنَ الثَّعَالِبِ فِي الثَّرَى مِنْ أَسَدِهِ ؟
مُخَضَّتُكُمَا أَيْدَى الزَّمَانِ ، فَكُنْتُ كَالزَّ

بِدِ الْخُلَفَاءِ . وَكَانَ خَالِصَ زُبْدِهِ

فَاسْتَرْ مَعَايِيكَ الَّتِي سَارَتْ بِهَا الرِّ كَبَانُ فِي غَوَرِ الْوُجُودِ وَنَجْدِهِ

فكفناك مَقْتًا أَنْ تَكُونَ مُحَارِبًا لَوْلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ
تَمَّتْ وَهِيَ عَشْرَةُ آيَاتٍ.

تُبُّ إِلَى اللَّهِ ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فَلَمَنْ تَابَ رَوْضَةً وَجَنَانًا
وَلَمَنْ تَابَ فِي الْقِيَامَةِ فَوْزًا وَنَعِيمًا ، وَقَاصِرَاتِ حَسَانٍ
تُبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي فَلَمَنْ تَابَ عِنْدَهُ غَفْرَانًا

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْخِطَّاطِ الْجَوْخِيِّ الدِّمَشْقِيِّ ، يَرْثِي
شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا :

بِمَصْرَعِكَ النَّاعِي أَصَمُّ وَأَسْمَعَا	وَضُمُّ الصَّغَا مِنْ صَدْمَةِ الْحَزَنِ صَدَعَا
فَكَمْ مُقَلَّةٌ جَفَّتْ جُودًا مِنَ الْأَسَى	وَكَمْ مُهْجَةٌ سَلَّتْ مَعَ الدِّمْعِ أَدْمَعَا
وَكَمْ ثَاكِلٌ بِالنُّوحِ وَالنَّدْبِ رَجَعَتْ	وَكَمْ فَاضِلٌ بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ سَجَعَا
وَلَمْ يَبْقَ ذَوْعَلَمٌ ، وَزَهْدٌ مِنَ الْوَرَى	لَفَقْدَكَ إِلَّا كَاسْفِ الْبَالِ مَوْجَعَا
تَنَكَّرْتَ الدُّنْيَا عَلَى كُلِّ عَارِفٍ	رَأَى مِنْكَ مَا هَوَلَ الْمَنَازِلَ بَلَقَعَا
جَعَلْتَ لِمَنْ أَخْلَى مَضِيغًا وَمَرْبَعًا	فَوَادِي وَأَجْفَانِي مَضِيغًا وَمَرْبَعًا
فِي أَحْمَدِ الْحَمُودِ ، قَدْ كُنْتَ لِلْهَدَى	مَنَارًا ، وَلِلشَّرِّ الْخَنِيْفِ مَشْرَعَا
وَلِلدِّينِ وَالدُّنْيَا ضِيَاءً وَبِهْجَةً	إِذَا لَاحَ وَجْهُ الْخَطْبِ أَسْوَدَ أَسْفَعَا

رُمِينَا بَرْزَ مِنْكَ ، لَمْ تَسْتَطِعْ لَهُ
 رَحَلْتَ عَنْ الْأَوْطَانِ رَحْلَةَ نَازِحٍ
 لَقَدْ كُنْتَ عَنْ شَرِّ بَطِيئًا وَوَانِيَا
 وَلِلْحَكْمِ طَوْدًا رَاسِخًا بَاذِخَ الذَّرَى
 وَرَكْنَا لَدَيْنَ اللَّهِ حِينَ تَهْدَمْتُ
 وَرَوْضَ عَلَاءٍ نَاضِرًا عَادُ مُنْمَعَرَا
 وَمَجْمَعَ شَمَلٍ شَتَّتَ الشَّمْلَ فَقَدَهُ
 وَحَبْرًا حَوَى حَيَزُومَهُ وَبَنَانَهُ
 سَرَى ذَكَرَهُ فِي الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا

سُرَى تَشْرَعُفُ الْمَنْدَلِ الرُّطْبَ ضَوْعَا
 وَحَازَتْ مَسَاعِيَهُ السَّكْوَا كَبَ عُدَّةٍ
 مَعَ الْقَطَرِ إِذْ فَاتَتْ رَمَالًا وَيَرْمَعَا
 وَيَا يَوْمَهُ ، مَا كَانَ فِي الْقَلْبِ أَوْجَعَا
 عَدَمْنَا بِهِ الشَّهْمَ الْجَوَادَ السَّمِيدَعَا
 وَيَالِكَ مِنْ خُطْبٍ جَلِيلٍ وَحَادَثٍ
 وَمِنْ يَوْمٍ بُوَسَّ عَابَسَ الْوَجْهَ كَالْحِ
 سَبَانَا هَامَا ، يُؤْمِنُ الرُّوعَ أَرْوَعَا

(١) أَمَعَرَتِ الْأَرْضُ ، لَمْ يَكُنْ بِهَا نَبَاتٌ ، أَوْ قَلَّ نَبَاتُهَا ، وَأَصْلُهُ :
 أَمَعَرَتِ نَاصِيَةَ الرَّأْسِ ، إِذَا انْحَسَرَ شَعْرُهَا . وَالْمَمْرَعُ : السَّكْبِيرُ النَّبْتُ . اسْمُ
 فَاعِلٍ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَمَرَعَتِ الْأَرْضُ ، إِذَا كَثُرَ نَبْتُهَا وَطَالَ . وَفِي اللَّفْظَيْنِ
 مِنَ الْجِنَاسِ وَالْمُقَابِلَةِ مَا لَا يَخْفَى

مطيعاً لرب العرش لم يعص أمره
 منيباً إليه ، قائماً بمحدوده
 هزبراً ومقدماً على العرف كله
 شجاع جلال في جدال بحوثه
 يصول بسيف العلم في معرك النهى
 وفي عصره كم من إزالة بدعة
 وما كان إلا الشمس في ليل باطل
 فكلم من ظلام الظلم زحزح غميباً
 وكلم من كرامات له ومناقب
 وكلم من طريق في المباحث منهم
 وكلم سامها النقصان والخفض حاسد
 تولى عن الدنيا حميدا ، ولم يكن
 وعاش إلى أن مات ، لم يعط نفسه
 إمام عليم ، خاشع ، متواضع
 سحب علوم روض الأرض فضله
 ونصر منها بالفضائل أوجها
 وخلفها من بعد صيَّب صوبه
 كذا الزمن ، أتى جاد بالوابل الثرى
 ومنه له في العصر لم تر أطوعا
 إلى حين وإلى مذ نسا وترعرا
 مليكا لمنع المنكرات ممنعا
 يعيد جنانا كل من كان أشجعا
 وأرماع شرع الجهل أقبلن شرعا
 ومنكر فعل قد أجاد وأبدعا
 يرينا بنور منه للحق مطالعا
 بساطع نور العدل من حين شعشعا
 يضيق بها وسع الزمان توسعا
 بإضاحه أضحى لسارية مهيعا
 وخص كالا زائدا وترفعا
 لخرقها المذموم يُبدي تظاعا
 بتأمل ما في دار دنياه مطمعا
 لهيبته تفضي النواظر خشعا
 وألبسها برّد البيان الموسعا
 وتوجّها تاج المعالي المرصعا
 عليها رياضاً للعقول ، وأقاعا
 وروى صداها حق أن يتقشعا

فله مفقود فقدناه نافع لنا منه - غير الله - لم نر أنفع
 شغفنا به في الله حبا ، فلم يدع هواه لغير الله في القلب موضعا
 عليك ، أبا العباس ، أحمد لم يزل فؤادي بتذكّار الفؤاد مروعا
 إلى أن يريني الله وجهك سافرا بنصرته يوم المعاد مبرقا
 تمت . وهي ثلاثة وأربعون بيتا .

مرثية للشيخ برهان الدين أبي إسحق إبراهيم بن الشيخ شهاب
 الدين أحمد بن عبد الكريم التبريزي ، يرثي شيخ الاسلام . وهي
 ثلاثة ثلاث مرات . عدة أبياتها ثمانون بيتا :

لفقد الفتى التيمى تجرى المدام وتصدع بالنوح الحمام الصوادع
 فتفرق جفنا ، قد تقرّح بالبكا وتضرم نيرانا حوتها الأضالع
 وبالماء يُطفئ كل نار ، ونارنا مؤجّجها بين الضلوع المدامع
 وأما الحمام الصادحات فأنها حمام حمام للقلوب صوادع
 على ماجد جلّت مآثره التي لها في قلوب العارفين مواقع
 علوم ، وأخلاق كرام ، وسؤدد وجود ، ومجد باذخ ، وتواضع
 وزهد ، وإيثار ، وتقوى ، وعفة وتلك سجايا حازها وهو يافع
 هو الخبر ، أما المشكلات فحلا يسير لديه ، وهو في الحل بارع

وأما عقود الدين ، فهي وثيقة
 إمام ، بكته أرضه وسماؤه
 ومالها لا يبكيان لفقد من
 وحق لمن كانت جوامعهم له
 ولو بكت الدنيا ، وما كان حقها
 وقد أصبحت شكلى تعزى بفقده
 ولولا ابتغاء الأجر كان اضطبارنا
 ومنبره لولا غزارة وعظه
 ومارال فى حق ابن تيمية الفتى
 أما كان شمسا فى المطالع يجتلى ؟
 وشامة حد الشام قد كان علمه الله
 ونجم هدى للسالكين إذا سروا
 قد غاب غاب البدر عنه ولم يشم
 رلا افتثرغر الشام من فرط حزنه
 وبدر الدجى إن غاب لم تشرق الدنيا
 لديه ، وعنهما بالرماح ينازع
 بكاء حزين ، حزنه متتابع
 عن الله لم يقطعه فى الكون قاطع
 جوامع ، يبكوا فقده ، والجوامع
 فواحدها قد كان ، والشمل جامع
 ومن بعده هالت عليها الفجائع
 جميل قبيحا ، إنما الصبر نافع
 عليه قديما ، حرقته المدامع
 إمام تقى الدين أحمد ضائع
 فعادت عليه فاخبتته المطالع
 رريف على الخلد المكرم طابع^(١)
 وبدر منير فى الدياجى طالع
 لشائمه برق على الشام لامع
 على من عليه مدمع العين هامع
 ولو أشرقت فيها النجوم الطوالع

جمل النكرة « طابع » اسم كان ، والمعرفة « علمه الشريف »
 خبرها مقدما ، كما فعل حسان بن ثابت فى قوله .
 كأن سبيته من بيت رأس يكون مزاجها غسل وماء

ومن مودعات الله كان استرده
ولكن به عاشت نفوس ومتعت
أجاب لداعى ربه مسرعا ، كما
دعاه إليه ربه فأجابه
وأصبح جاراً للذى عزّ جاره
تبارك من حلاله بالزهد والتقى
وملكه قلباً منيراً ، وكيف لا
وتوجه تاجاً من الزهد والتقى
ومالى إذا بالغت فى وصف سيد
وما أنا وحدى واصف بعض وصفه
ومن بابه قد خصه الله دون من
إذا قيل : قد قال ابن تيمية الفتى
ونور الهدى والعلم والزهد والتقى
وما ذاك إلا أنه لنبيه
وفى الله لم تأخذه لومة لائم
له راعداً مثل الهلال إذا بدا
وإن كان فى تقوى سواء منازع
إمام ، عظيم ، عالم ، ومعلم
ولا بد يوماً أن ترد الودائع
قلوب وأبصار ، ولدت مسامع
أحابوه أهل الاختباء وسارعوا
ومن يدعه المولى إليه يسارع
كما كان يمضى ليله وهو راكع
ورضع ذاك الحلى منه التواضع
وفيه من السر المصون ودائع
لمعناه تيجان الملوك خواضع
حوى كل فضل فى الأنام منازع
فكم فيه وصاف وبالحق صادع
سواه ، وفضل الله ذى العرش واسع
مقالا ، فكل للذى قال سامع
عليه ، على رغم الحواسد ساطع
نبي الهدى فى كل شىء متابع
وليس له فى نُصرة الحق وازع
تشير إليه حيث كان الأصابع
فما فى تقى هذا التقى منازع
صبور ، شكور للمهمين طائع

وآتاه ذو العرش المجيد مواهبها
 أما كان فى دفعات غازان جائلا
 يقول لجيش المسلمين: ألا ابشروا
 فأصبح جيش المسلمين مؤيدا
 تصانيفه فى كل علم بديعة
 ولم يبتغ [شيئا] سوى وجه ربه
 فى فوز من يحوى تصانيفه ، ولا
 علوما لمن يبغي النجاة اعتنى بها
 وذو الفضل يؤتية المهيمن فضله
 فى ثلثة فى الدين ، لم يرج سدها
 فان انتقص الأرض من علمائها
 ويأخذ أربت على كل محنة
 فكم شت شملا يئنه بعد جمعه
 كما فاق فى الآفاق بالعلم والتقى
 كذلك لم يُسمع بمثل جنازة الـ
 مشيعها ضاق الفضا بازدهامهم
 وزف على الأعناق فوق سريره
 وليس لما يعطيه ذو العرش مانع
 بعزمة ليث ، لم ترعه الوقائع
 بنصر على الأعداء ، والنصر واقع
 وغازان لاقى حتفه وهو راجع
 وفيها لأهل الابتداع بدائع
 وفى زخرف الدنيا عدته المطامع
 يزال لها فى كل وقت يطالع
 وللناس فى تلك العلوم منافع
 ولا حاصد إلا لما هو زارع
 وخرقا عظيما ، ماله الدهر راقع
 سيوف حداد للظهور قواطع
 وقارعة ، غابت لديها القوارع
 وليس لما قد فرق بين جامع
 وشاع له فى الناس ما هو شائع
 امام تقى الدين أحمد سامع
 ورصت بمن صلى عليه الجوامع
 زفاف عروس نحو حبيب تسارع

وأودعه الأحباب عند وداعه
وعادوا من التوديع حرقى جوانح
وما زالت النسوان يبكين فقهه
فلو أنه يغدى ففته نفاس
هنيئاً لرمس ضمّ بحر فضائل
فلا بد من فضل عظيم ورحمة
وانى بتذكارى حلاوة عيشه
وانى بتذكاريه صب موع
ولولا التقى كان التصبر يتقى
وكيف يطيع الصبر فى رزء سيد
فان شئتمو يا الأئمة فاننا
فها تواتوا ، وان تاتوا بحبر مؤيد
وإن عمكم عجز باظهار سيد
فقد وضحت أعذار كل من انتهى
ثمانون عاماً قد كسرت بحبها
فلم أر فى عمرى الذى طال مثله
ثلاث مرار قد نظمت بهذه
فن أجل ذا طالت وطابت لاسماع

لمن لم تحب يوماً لديه الودائع
وغرقى جفون ، أغرقها المدامع
إلى أن نضت من دمعهن البراقع
النفوس . ولكن القضا لا يدافع
فطوبى لقوم جاوروه وضاجعوا
تحى بها طول المقام المضاجع
[مدى الدهر ما استمرت] [لدى] قناع
واست لعدالى عليه أطاوع
على رزئه لو أن صبراً يطاوع
به لخطوب الدهر ، كنا بدافع
لكم تناسى ذكره ونصانع
يضارعه ، هيهات ، عز المضارع
يناوئه . إن شئتم ، صلوا أوفقاطعوا
الى السيد التيمى ، وخاب المنازع
ومن جيش تسعين طلوع طلائع
وما أنا فى رؤيا المائل طامع
له ، ولى النظم الجمع . مطاوع
وود من استجلى سناها يراجع

ومن حقه أنا نموت صباية
وإنا نرجو أن نقوم بحقه
عسى الله في الجنات يجمعنا به
فلا أوحشت منه مواضعه التي
وكان بها يتلو القرآن مفسرا
ولا برحت همى سحائب رحمة
تمت والحمد لله وحده

كما مات أحباب على الموت تابع
إلى حين يأتي حيننا وننازع
فكل امرئ منا بذلك طامع
به أهلت ، واليوم هن بلاقع
غوامضه ، حتى تنير المواضع
عليه كما تهيمى عليه المدامع

للشيخ شمس الدين الذهبي مريثة في الشيخ رحمه الله :

ياموت خذ من أردت ، أوفدع
أخذت شيخ الاسلام وانقصمت
غيبت بحرا مفسرا ، جبلا
فان يُحَدِّثُ ، فسلم ثقة
وإن يخض نحو سيديه يَفُهُ
وصار على الاسناد حافظة
والفقه فيه ، فكان مجتهدا
وجوده الحاتمي مشتهر
أسكنه الله في الجنان ، ولا

محوت رسم العلوم والورع
عري التقى ، واشتفى أولو البدع
حبرا ، تقيا ، مجاب الشيع
وإن يناظر ، فصاحب اللمع
بكل معنى في الفن مخترع
كشعبة ، أوسعيد الصيعي
وذا جهاد ، عار من الجزع
وزهده القادري في الطبع
زال علينا في أجمل الخلع

مع مالك ، والامام أحمد ، والنعمان ، والشافعي ، والنخعي (١)
مضى ابن تيمية ، وموعده مع خصمه يوم تفحة الفزع
تمت . وعدتها احد عشر بيتا

للشيخ زين الدين عمر بن حسام الدين أقش الشبلي يرثي الشيخ
تقي الدين رضى الله عنه .

هل بعد بعدك طرفٌ دمه راق أم هل لداً أخى الأحران من راق ؟
بعدت عنا ، فملاحشء نار جوى تشبُّ فيها بازعاج وإحراق
إنا إلى الله من خطب غدا مثلاً عم الانام بأوجال وإشفاق
كدنا من الحزن أن تقضى عليك أسى برزت لنا من فوق أعناق
لما خرجت بيوم الدفن في أمم كأنه كان يوم الكشف عن ساق
وقلت : مات امام المسلمين ، فيا عين أذرى ، إن رعيتى حفظ ميثاق
لهفى على ناصر الدين وهو إلى الغايات من كل فضل خير سباق
حوى فنون النهى ، صدقاً بلا كذب وحاز علم الورى فى طيب أخلاق
لهفى على حجة الاسلام ، كان له مناقب حازها فى حسن أعراق
بحار علم حوى ، فى صدره ، وغدا ببحر جود لوافي المال نفاق

(١) كانت فى الاصل « الخلقى » وصححت من الهامش «

يزداد حزني عليه كل آونة
 غاضت بحار علوم الدين يوم ثوى
 نسعى إلى الدفن مشيا فوق أرجلنا
 يا جامع الفضل قد جنب الكتاب بما
 والموت بعدك لا يبقى على أحد
 تمت ، وهى خمسة عشر بيتا

وقال بعضهم فى شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه :
 الحمد لله حمدا دائما أبدا
 ثم الصلاة على الهادى وعترته
 قد أنجز الله للأبرار ما وعدوا
 وأصلح الله ذات البين واقفرت
 وأغمد الله سيفا كان مشتهرا
 وآف الله ما بين القلوب على الة
 فأصبح الناس فى صفو بلا كدر
 وعدا على الله حقا نصر ناصره
 ولم تسكن محنة ، بل منحة جمعت
 فيها بصائر للمستبصرين بها

مباركا طيبا يستغرق العددا
 وصحبه وذويه الصفوة السعدا
 من رفع نازلة مسّت إمام هدى
 شدائد فككت أهوالها الزردا
 وأطفأ الله جمرها كان قد وقدا
 تقوى ، وعرفها طرق الهدى وهدى
 من بعدما كان كل عيشه تكيدا
 عليه به القرآن قد شهدا
 لطفاً خفيا ، ولطفاً للعيون بدا
 تنبى لمن غاب عنها من لها شهدا

فداوموا شكر نعماً كالخيا وكفت على الورى وكفت كل الأنام ردى
 فيالها نعمة قد عمت سلامة من بالروح يفدى وقلت أن تكون فدا
 فهو الامام الذى ما زال عند ذوى ا إن قيل من هو؟ فاطر عند ذلك وقل
 أوقيل من ولد من هذا الكريم؟ فقل: من ولد مجديعلا، أكرم به ولدا
 مولى، له فى جلاد أو مجادلة لواء نصر وتوفيق قد انعقدا
 تهاب مجلسه العالى الملوك، ومن يخشى سطاها، ومن لم يرهب الأسد
 من أجل تعظيمه للحق لو وقف الليث الهصور لديه راح مرتعدا
 وكونه ترك الدنيا وزينتها زهدا ولا سبدا أبى ولا لبدا
 نصغى المسامع ليتاً^(١) عند منطقته كأنا السمع بالأفانظ قد عقدا
 تذكر الله ذكره ورؤيته تذكار واحد ما قد كان قد فقدا
 ترى ازدحاما على أبوابه أبدا إمالسكسب علوم، أو انيل جدى
 لم يدع يوما على من خاض فى دمه بغيا، ولا لام ذالوم ولا حقددا
 وربما استغفر الله العظيم لمن عمدا عليه اعتدى، أو قتله اعتمدا
 كذا يكون فتى الفتيان، لا رجل يكمن كالنمر البضارى إذا حرّدا
 هذى المسكارم لا قعبان من لبن لا يكفيان لبعض الجائمين غدا

(١) هامش الأصل «ليتاً» بالياء المنناة . والليت صفحة العنق ، وفى الحديث
 « ثم ينفخ فى الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا » والله أعلم

له صفات كنشر الروض نالدة
 أو كالنجوم التي تهدي أخاصفر
 عليه ألباب أرباب التقى عكفت
 من للمسائل ، إن أعيت غوامضها
 ومن إذا رُصّ بالسادات مجلسه
 يكاد يسلب ألباب الرجال بما
 من العلوم التي عن ربه صدرت
 وعن صحابته والتابعين ، وعن
 أم مَنْ يَشْفُفُ أَسْمَاعُ الْأَنَامِ بِمَا
 سوى الامام تقى الدين أحمد تا
 وَمَنْ يُحَدِّثُ عَنْ بَحْرِ ، فلاحرج
 وكم بمصر وبالشام الشريف فتى ؟
 كفاه آية تأييد سعاية مَنْ
 لـكنه حين حاز السبق من صفر
 وحاز علما لدنياً ، وَمَنْقَبَةً
 فأنجموا كيدهم يبعون فتنته
 ولم يطق حاسد في الأرض قاطبة
 وكان سيفاً على الأضداد مشتهراً

غيب العماد عليك الريح مفتقدا
 ليلاً ، إذا ظلّ في الظلما منفردا
 ومُجْتَنِي الشَّهْدِ لَمْ يَعْكَفْ عَلَيْهِ سُدَى
 يحل مشكلها المستصعب العقدا ؟
 يكون في صدره صدرا إذا قعدا ؟
 يرويه مما يزيد المهتدين هدى
 ومن حديث عن المختار قد وردا
 أئمة ساد مَنْ عَنْهُمْ رَوَى سندا
 يربو على الدر منشوراً ومنقذا
 ج العارفين ، وفاه الله كل ردَى
 عليه ، بل هو مأثوم إذا اقتصدا
 لكن بمجموع هذا الخبر ما وجدا
 سعى ، ولم يستطع يؤذى له جسدا
 وفاق كل كبير فاق وانفردا
 تفتت منه أكباد العدى حسدا
 فما أعان عليه ربه أحدا
 بأن يمد بمكره إليه يدا
 فحاولوا أن يكون السيف منعدا

ومن يصدّ سنا شمس إذا طلعت أو يحجب البدر إن شقّ الدّجى وبدا
ونور ربك لا يطفئ، وإن حرص السخّـب اللّـثيم على الاطفاء واجتهدا ؟
وقد درى كل ذى خبر بأن له من فيض بحر عطايا ربه مددا
وقد علمتم به لما دعاه إلى مصر الذين علمتم ما بها وجدا
فاشترشد الله في الإصدار عن بلد نبأ به ، واستخار الله ، ثم غدا
فاختار مسراه مولاة ووفقه فيه ، وهبّ له من أمره رشدا
وسار ، والله يكلوّه ويحرسه وكيف لا ؟ وعليه كان معتمدا
والشمس ما حجبت بالغيم عن بلد إلا أنار سناها غيره بلدا
فالدر لولزم الأصداف ما ارتفع ^(١) اللّـباب ، وارتركب التيجان واقعدا
لم يُبق توديعه يوم الرحيل لدى صبر وذى جلد صبرا ولا جَلدا
كأن حاديّه يوم استقل به مسيره نحو مصرٍ باقلوب حدا
فاستعبرت أعين كبادت لفرقة تبيضُ حزنا وأولاها البكى رمدا
هذا . وكم قضى ظام اليه ولم يُقضى له قبل وشكّ البين أن يردا
وما يَصُرُّ فتىّ حالت منيته دون الأمانى إذا ما عُدّ في الشهدا
غُلّ مصر عزيزاً عند ما سكها وفي مهماته أضحى له عضدا
لتشرق الدولة الغرّاء به ، وإذا أضلّ جهل جهول بالعلوم هدى

ويأمر الناس بالتقوى ويخبرهم
وفي مجالسه اللاتي يحف بها
يدعو لسيدها السلطان ناصر
بأن يدوم له في الملك أربعة :
حتى يملكه الله العراق فيه
وعاد من مصر نحو الشام في دعة
فحين وافى دمشق الشام محترزا
روى صدي مهبج قد طالما ظمئت
وجاءنا بعد يأس مثل عافية
ولاح شمس على روض وسح ندى
واخضر روض الأمانى ثم فاح شذا
وصفق النهر، والأغصان، قدر قصت
وسر أهل التقى من كل طائفة
وانجح الله في الدنيا مقاصده
فادعوا له ، ولمن كان السفير له
وحقق الله ما أملتوموه له
فقل لقوم شقوا : زال الشقاء إلى
عين أصابت ، ولكن عين عائنة

بسنة المصطفى ، فعلا ومعتقدا
ملائك الذ كر تحصى من لها شهداء
ين الله نجل قلاوون الفتى أبدا
عز، ونصر، وتأيد، وكبت عدى
حوالشرك، والرفض منها، والذي مردا
مصالحا، مصلحا، ما كان قد فسد
من حل عقد وداد للورى عقدا
إليه شوقا ، وجلّى للقلوب صدا
جاءت عليلا . فلما لابسته هدى
والشمس عادتها في الروض رفع ندى
بان الحى ، وتغنى وزقه ، وشدا
مسرّة بفتى من مصر قد وردا
أن عاد أكرم مما كان حين بدا
وسوف يؤتية أجر الصابرين غدا
حتى ألم بكم من بعد ما بعدا
وصار كل بكل عيشة رغدا
أعدائكم ، وبقيتم أنتم السعدا
ألا تروه رقاد الموت قد رقدا

والله ما خيب الله الدعاء له من كل عبده يدعو اذا سجد
 لكن اجاب واعطى فوق ما طلبوا فالحمد لله حمدا دائما أبدا
 تمت بحمد الله وحسن توفيقه

أنشد هذه القصيدة الشيخ الأجل شمس الدين أبو الثناء محمود بن
 خليفة بن محمد بن خلف المنبجى:

قال : أنشدنا لنفسه جميع هذه القصائد الشيخ الامام سعد الدين
 أبو محمد سعد الله بن نجيح فى مدح شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية
 قدس الله روحه ونور ضريحه ورحمه وعفا عنه :

أيها المساجد الذى فاق فخرا وسما رفعة على الأقران
 يا إماما أقامه الله للعالم بين هاديا باللفظ والاحسان
 يا غريب المثال ، يا موضح الاشكال بالبينات والبرهان
 ياتقى الدُّئى مع الدين ، يامن خُصَّ بالفضل واكتال المعانى
 لا تحلَّ العوَاد إن اكثروا التردد أو أقدموا بلا استئذان
 أنت روح الوجود فى عصرك الآ

ن وقلب الورى ، وعين الزمان

والبرايا إذا اعتبرت جميعا منك أضحووا بمنزل الجثمان

وإذا الداء خامر الروح والقالـ ب تعدى الداء إلى الابد ان
 فخير بسائر الصحب إن هم أطنبوا في السؤال للرحمن
 أن يديم ظلك الظليل عليهم سالما من طوارق الحدثان
 بالنبي الهادى محمد المبعوث بالمعجزات والقرآن
 وبأصحابه مع الآل والأزواج والتابعين بالاحسان^(١)
 صلوات الإله تترى عليهم وعليه ماشرق النيران
 عدتها ثلاثة عشر بيتا

وله رحمه الله

يامن له فطنة فاقت ذوى الفطن ياذا المناقب والافضال والمنن
 يامن أواليه فى سرى وفى علنى لا تلحنى فى الخذلانى عن بنى الزمن
 ولا اغترابى عن الأهلىن والوطن
 يامن لدين هواه بت معتقدا ومن بذيل هواه ظلت معتصدا
 كنلى عذير افلا نلت العدا غدا ولا تلعنى إذا أصبحت منفردا
 عن الوجود بلا خل ولا سكن عن
 كم جهد مثلى أن يخفى تملله عن الوشاة ، وأن يخفى تحمله

(١) من العجيب أن يكون مثل هذا الشاعر الذى يتوسل هذا
 التوسل المبتدع بمدح ابن تيمية الذى كان طول حياته يحارب مثل هذا التوسل

إنَّ نَمَّ دَمْعِي بِأَسْرَارِي يَحْقُّ لَهُ فِي مَن الْوَجْدُ مَا إِنْ لَوْ تَحْمَلُهُ

رَضْوَى لَذَابِ جَوَى ، أَوْ بِذِيلِ لَفْنَى ^(١)

لَكِن قَلْبِي ، وَإِنْ ضَاقَتْ مَسَارِحُهُ لَمَّا حَوَتْهُ مَن الْبَلَوَى جَوَارِحُهُ

بِهِ غَرِيمٌ غَرَامٌ لَا يَبَارِحُهُ وَلِي مَن الْفَكْرُ نَدِمَانٌ أَطَارِحُهُ

مَا بِي ، فَأَفْهَمُ مَا أَشْكُو وَيَفْهَمُنِي

شَغَلْتُ فِيهِ بِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ فَمَا أَلَوَى عَلَى صَرْفِ دَهْرٍ جَارٍ أَوْرَحَمَا

وَلَا أَبَالِي أَذَاعَ السَّرَامِ كَتَمَا وَكَيْفَ أَصْبَحَ بِالْأَغْيَارِ مَلْتَمَا ^(٢)

وَبَعْضُ مَا بِي عَنْ آبَايَ يَشْغَلُنِي

هَذَا لَوْ أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارُ غَضَى مَا زِدْتُ إِلَّا ابْتِهَاجًا بِالْهَوَى وَرَضَا

لَكِن جَوْهَرُ صَبْرِي مَذْغَدًا عَرْضَا أَنْشَدْتُ قَوْلَ الْفَتَى الْجَلِيلَى مَتَّعَضَا

بِهِ وَمَنْ مِثْلُ قَوْلِ السَّيِّدِ الْحَسَنِ

مُخَاطَبَا الْجَهْلُولِ بَاتَ يُؤْلِمُهُ عَذْلَا ، وَيَلْحَاحُ فِيمَا لَيْسَ يَعْلَمُهُ

عَنِّي مَلَامَتُكَ إِنِّي لَسْتُ أَفْهَمُهُ وَرَبَّ وَقْتُ وَجُودِي فِيهِ أَسْأَمُهُ

دَعِ الْأُجَانِبَ بَلْ رُوْحِي تَرَاخُنِي

تَمَّتْ

(١) رَضْوَى وَبِذِيلَ . جِيلَانِ عَظِيمَانِ

(٢) فِي الْمَقُولِ عَنْهُ «مَلْتَمَا» أَتَى مِنْ هَامِشِ الْأَصْلِ

وله فيه أيضا رحمه الله ورضي عنه

يا علما جلَّ عن ضد يضاهيه وفاق أقرانه فيما يعانیه
يا ذا الفضائل ، يازين الأمائل ، يا مُردى المائل ، يأموهى مناویه
إيضاح فضلك لا يحتاج تكملة لكن مفصله عن ذاك مجزیه
يا من إذا رمت أن أحصي مناقبه نظما ونثرا وأنشیه وأرویه
حصرت لولا سجایاه تهذبني لما ظفرت بمعنى من معانیه
محرراً المجد في مدحيك لخص لي هداية أرشدت إرشاد تنبيه
يا عمدة المقتدى حقاً ، ومقنعة فيما يروم ، وكافیه ومغنيه
ويا نهاية طلاب الرعايا من وسيط علم ، وخبر أنت حاویه
يا غنية المبتغين الرشد مانحهم فتوح غيب أنى من عند باریه
أبدیت تعجيز أهل النظم فاعترفوا بالاعجز عن كنه ما أصبحت تبديه
لله كم ميت علم أنت تنشره من بعد ما كادت الأيام تطويه
وكم حصون ضلال أنت هادمها قهراً ، وكم قول غاوى أنت موهيه
بينت إفساد ما قد حللوه لهم ^(١) تبين تحريم لا تبين تنزيه

(١) يشير الى كتاب اقامة الدليل على ابطال التحليل

من الدبابة ، حيث الجعل يبذله المسكين من كفه ، كما يكافيه^(١)
 وقت بالحق في ذا العصر مجتهدا في نصره مبطلا دعوى أعاديه
 يا حجة الله في هذا الزمان على الوجود ما بين قاصيه ودانيه
 يا من يراه إله العرش داعية الى الهدى باطيف من تأتية
 يا كاشف المشكلات المعضلات لنا بأبليج مستنير من فتاويه
 يا من أبى مقولى إلا مدأخه ولو مدحت سواه كنت أعنيه
 ومن حدانى إلى أنى أخاطبه بالمدح ، حتى كأنى لا أناجيه
 إلا مخافة ذى محل وذى حسد يلحى ، فيعرب عما فيه من فيه
 وإن تعرض ذو ضغن تلوت له فذا كن الذى لمتنى فيه

تمت

وله أيضاً يذكر ذل الخصوم رحمه الله

لئن نافقوه ، وهو فى السجن ، وابتهغوا رضاه ، وأبدوا رقة ، وتوددا
 فلا غرو إن ذل الخصوم لبأسه ولا عجب إن هاب سطوته العدا
 فمن شيمة الغضب المهنّد أنه يخاف ويرجى ، مغمدا ومجردا

(١) يشير الى ما يعطيه الزوج الديوث المطلق للئيس المستعار المحلل -

من الأجر على زناه بزوجه باسم التحليل

وله أيضا فيه يمدحه رحمه الله

ويا من مناقبه فاخره	ويا من مواهبه غامره
ويا من سحائب إفضاله	بآمال آمالها ماطره
ويا من له همه لم تزل	بنجح مقاصده ظافره
ويا من عزائم لا تنى	إلى درجات العلا سائره
ويا ليث حرب إذا ما سطا	تذل له الأسد الكاسره
ويا طور حلم إذا ماجنى	عليه امرؤ ينثى عاذره
وإن نال منه بسوء المقال	وقبح الفعال غدا غافره
ويا بحر علم تسكاد البحا	ر تفيض بأمواجه الزاخره
ويا من أدلته بالنصو	ص لأخصامه بدا قاهره
ويا من براهين أقواله	كشمس الضحى إذ بدت سافره
ويا من عوارف عرفانه	تفوق على الأنجم الزاهره
ويا من صوارم آرائه	لأعناق أعدائه باتره
ويا قدوة يقتدى العارفون	بنور هدايته الوافره
ويا من قصده يهدى الطالب	ين يؤيد باطنه ظاهره
ويا داعى الخلق فى عصره	إلى الحق بالحجج الباهره

ويا من مكارم أخلاقه زكت بعناصره الطاهرة
ويا من بدائع أوصافه تعين على مدحه شاعره
وماذا عسى يبلغ المادحو ن من القول بالفطن القاصره
ومجده قد أعيا^(١) الواصفين وصير آذانهم حائره
ولكن ذلك جهد المقل فكُن بالقبول له جاره
أيام دعاي ويا من ولأئى وفائح أنثي العاطره
لعلياء حضرته دائما تردد وارده صادره
لعمرك إن كان حظى غدا من الله فى داره الآخرة
كما هو عندك فى هذه فتلك إذا كرهه خاسره

* * *

وله أيضا فيه يمدحه رحمه الله

الله نشكر مخلصين، ونحمد وله نعظم دائما ، ونوحد
وبذيله^(٢) الضافى نلوذ ونلتجى واليه نسعى ومحبتين ونحفظ

(١) فى نسخة « أعز » من هامش الاصل

(٢) بهامش الاصل مانصه : « بفضلله » كذا فى هامش الاصل والى

الظاهر عندى ما فى من الاصل والله أعلم . أبو اسماعيل يوسف حسين . وأنا

وبه نصول ونستعين على العدى اذ لاسواه لنا اله نعبد
 فله الثنا والمجد ، اذ هو أهله وله الجلالة والبقاء السرمد
 مولى حيانا فى فتور زماننا بقى يتقف ديننا ويسدد
 أعنى تقى الدين ، أكمل سيد لدعائم الشرع الشريف يشيد
 العالم الورع المحقق ، والذي من دون رتبته السهى والفرقد
 من جاد بالنفس النفيسة منه فى ذات الاله ولم يرعه تهدد
 من لم يخف فى الله لومة لائم كلا ، ولم يرجعه عنه مفند
 حر حباه الله جل جلاله بصفات مجدى فى علاه تخلد
 هو بحر علم ، طود حلم راسخ فى الحق لاوان ولا متردد
 صدر لديه تحبب وتألف للمؤمنين ورافة وتودد
 وكذلك فيه على المناق غلظة وتمنع ، وتصعب ، وتشدد
 هو قائم لله يهدى خلقه أبدا إلى سبل النجاة ويرشد
 فلذلك أصبح للبرية قدوة فى العصر اذ هو فيه قطب مفرد
 لك يا أبا العباس ، اذ عن فرقة من قبل ، قد كانت لخلقك تجمد
 ضاقت بهم سعة الفضا مذ عاينوا لك كل يوم رفعة تتجدد

اقول : الاظهر عندى والاليق بصفات الله تعالى « بفضله » لان كلمة
 « بذيله » لاتصح أن تنسب الى الله تعالى .

ورائك ممتازا بخير مناقب
فغراهم الحسد المضل فأصبحوا
إن يحسدوك فغير بدع منهم
راموا بلوغ مقامك العالى ، وما
فدعا بهم داعى قصورهم : اخلدوا
لما نأت عزما تهم عن شأوك السّا
هموا بأمر لم ينالوا منه ما
ورموك بالإفك الفظيع ، وأظنبوا
وبغوا عليك بما افتروه تعمدا
لم يتركوا شيئا به يتوصلوا
إلا نحوه ، وبالغوا فى جهدهم
حتى إذا ما استيأسوا نيل ما
خافوا سطاك فأجمعوا آراءهم
فأبى إكلهك أن ينالوا منك ما
ما ذاك إلا حال يوسف حُزته
فبلغت فيه من الرياضة فوق ما
ثم انقضت أيام خلوتك التى
وبرزت كالبريز فارق كيره

ليست لغيرك فى زمانك توجد
ولديهم منه المقيم المقعد
جَمَّ الفضائل لا محالة يحسد
علموا بأنك فى المعالى أوجد
ومع الخوالب ما حييتم فاقعدوا
مى ، وصدوا عن حماة أوبعدوا
طلبوا . لقد ضلوا ولما يهتدوا
بالتقول فيما زوروا ، وتقلدوا
وسجّية الباغين أن يتعمدوا
طمعا إلى ما قرروه وأكّدوا
لكن سعدت ، وإنهم لن يسعدوا
كانوا جميعا حاولوا وتقصدوا
أن يودعوك السجن ، ثم يخلدوا
راموا وهل يزكو لباغ مقصد
إرثا حباك به الكريم المرقد
تختاره ، وصفا لديك المورد
كمل العلاء بها وتم السؤدد
فاحتار فيه الجهبذ المستنقد

وظهرت كالصبح المنير إذا بدا
وشهرت كالعصب المجرد مقسما
فهنالك تعقد للجدال مجالس
فأروا نكولا عن جدالك خيفة
حتى إذا أمروا بذلك وأيقنوا
حشدوا عليك جموعهم وتحزبوا
وحموا عصابتك الحضور وجادلوا
فنهضت معتصما بربك وانقا
وإليه أخلصت التوكل موقنا
ثم استخرت الله واستفتحته
خباك منه عواظفا ولواظفا
وأناك نصر الله والفتح الذي
فوئبت وثبة ثائر لله لم
أبديت من كنز العلوم غوامضا
أسمعتهم منها لما لم يسمعوا
أسندتها ورويتها نصا ، كما

في الأفق فانقشع الظلام الأسود
في غير هام عاداته لا يغمد
كانوا أرادوا أنها لا تعقد
وتذبذبت آراؤهم وتغندوا
أن الخميس ، ولاخلاف ، الموعد
وتواثبوا وتحفلوا وتجردوا
(١) إذا هم لك أفردوا
متوكلا تثني عليه وتحمد
أن ليس يخذل من به يستنجد
فيما تروم من الأمور وتقصد
يفنى الزمان وذكرها لا ينفد
بهما جميعا كنت منه توعد
يخفل بما حشدوا ، ولا ما جندوا
مكنونة ، لولاك كانت تفقد
وأيتهم منها بما لم يعلموا
جاءت معنعة ، فيالك مسند

(١) كذا في الاصل بياض . كتبه أبو اسمعيل يوسف حسين
(٢٩- المعقود الدرية)

حَصَرَتْ صدورهم عن استفهامها وتحيروا لسماعها وتبلدوا
 وبدالهم ما لم يكونوا يحسبوا مما يسوؤهمو ومما يكمد
 فاسعد بها من محنة في طيها منَحْ أقرَّ لها الجحود الملحد
 نلت الفخار بها وحزت ما ثرا سرَّ الصحاب بها وغمُّ الحسد
 وغدوت فيها كابن حنبل تاليا تقفوا جميل جماله وتجدد
 أخذت نار جهالة ، ما خلتها لولا جهادك واجتهادك ، تخمد
 أرضيت ربك إذ أضفت كلامه حقاً إليه ، وليس فيه تردد
 وكذلك أثبت العلوم والاستوا من غير تكليف وحصر يوجد
 ونزول خالقنا إلى أدنى سما ليلاً ، كما صح الحديث المسند
 وذكرت أسماء الآله ، ولم تنزع ميلاً إلى ما حرفوه وألحدوا
 ورويت أخبار الصفات وآيها مرّاً ، كما نقل الثقات وجودوا
 ونصرت ملة أحمد الهادي ، وقد أيدت سنته ، فأنت مؤيد
 وأقت مذهب أحمد الثبت الصبو رعلى الأذى ، فلك الهنا ، يا أحمد
 أوضحت منهجه السوى ، وأنه مذ كان ، فهو المستقيم الأرشد
 وأثرت محنته ، وقت مقامه في العصر ، ترغم شأنك وتكمد
 فاحمد إلهك ، إنه لك ناصر وابشر ، فقدوتك النبي محمد ^(١)

(١) كانت في الاصل « فعاظذك النبي محمد »

المصطفى الطهر الزكي المجتبي الهاشمي الأبطحي السيد
خير الوري وأجل من وطىء الثرى وأبر مبعوث به يسترشد
صلى عليه الله ما سجدت ضحى ورق على أعلا الغصون تغرد
وعلى صحابته الكرام وآله والتابعين لهدية وبه هـدوا
والحمد لله العميم نواله والحمد [أفضل] ما يقال وأؤكد
تمت ، والحمد لله وحده

وله أيضاً يمدحه . رحمه الله ورضى عنه

الحق حصَّص ، لا عذر لمعتذر وقد تحقَّقه من كان ذا بصير
وفاح عرَّفُ شذاه في الوجود فظا ل في السكون أرج من نشره العطر
ولاح لألاؤه في الأفق ، فانتشعت غياهب الأفك من خوف ومن حذر
وفرَّ يدبر يمشى القهقري ، وهنا له توابع تسعى منه في الأثر
مذبذبون لضعف العزم ، تحسبهم سفرا أصامهم جبين عن السفر
ضائق بهم سعة الأقطار حين سما سمو قدر تقى الدين في البشر
وفاق أنداده في العصر قاطبة بالعلم ، والحلم ، والنفسير ، والنظر
وامتاز بالدرجات العاليات على شيوخ أشياخهم في سالف الدهر
كانوا يظنون أن العلم منحصر فيهم إلى أن أتاهم أحمد الأثر

ركن الشريعة ، محيى العدل ناصر دى
 فقلّ بالنص والاجماع جمعهم
 لا يهتدون إلى رشد ، وإنهمو
 قد حملوا حسدا من عند أنفسهم
 تبّا لهم ، ما الذى نالوا بسعيهم ؟
 أيسطيعون أن يمحوا لما كتبت
 أم يقدرّون على تبديل ما نفذت
 بل كلما أوقدوا للحرب نار غضى
 وردّ كيدهم فيه وأرجعهم
 واختاره للورى داع إلى سبل السخيرات ، والنفع نهّا عن الضرر
 واختصّه منه بالزلفى وثبته
 وكم مناقب مجّد قد حباه بها
 وكم له فى ذرى العلياء مرتبة
 وكم له من أياذ فى العطاء ، غدت
 وهمة فى المعالى غير دانية
 وكم له من كرامات مبيّنة
 وحسبنا عود أهل الود معجزة
 نالحق ، مستنصر بالآى والخبر
 فأصبحوا بعد ذلك الحصر فى حصر
 لى ضلال ، وفى غي ، وفى سُر
 له ، فهم منه فى هم وفى فكر
 وما عسى بلغوا فى ذلك من وطر ؟
 يد المهيمين بعد الذكر فى الزبر ؟
 به نوافذ أمر الله من قدر ؟
 بالكيد منهم ، طفاها منزل السور
 بالنعس والنكس والخذلان والدبر
 بالخرم والعزم ، والتأييد ، والظفر
 وزاده بسطة فى العلم والعمر
 مثيفة نالها من بارى الصور
 تُرّى على العارض الهطال بالمطر
 تُزرى إذا ابتديت بالصارم الذكر
 سناؤها كضياء الشمس والقمر
 ماثلها عبرة تبقى لمعتبر

رؤس كل ضالالات ، ومحنة
 لما استقرّ لديهم علو همته
 وأن دعوته للناس كلهم
 وأنه قائم لله منتصب
 خافوا سطاه ، فذحلوا بساحته
 وعانوا وجهه الهادي ، وقابلهم
 وجاءهم بأسانيد معنونة
 وقام بالحجج المقبول شاهدا
 مبرهنا بدلالات منورة
 فأذعنوا عنوة للأمر حين رأوا
 ولم يسعهم تمارة ، ولا جدل
 وهذه شيمه بين الورى عرفت
 إذ قلما فاء منهم للهدى أحد
 فالحمد لله كاليه وناصره
 وأكمل الصلوات الزاكيات على
 محمد السيد الهادي وعترته
 صلى الإله عليهم كلما سبجت

وبدعة نشأت في البدو والحضر
 وأن سيرته من أكمل السير
 إلى الهدى باجتهاد غير مختصر
 في نصره الدين ، لا يخشى من الخطر
 وشاهدوا تحبيرا يوفى على الخبر
 منصور عزم رب العرش مقتدر
 عن الهداة الثقات القادة العرر
 ميزا بين عُرف القول والفكر
 يهْدِي لعرفانها من كان ذا نظر
 نور الحقيقة باد غير مستتر
 لكنهم سلموا تسليم منقهر
 فيمن يخالفه من سائر البشر
 حتى يرى فيه أنواع من العبر
 ومجتيبه وواقيه من الغير
 رسوله المختار من مضر
 وصحبه الأكرمين الأنجم الزهر
 حمائم الدوح بالألحان في السحر

تمت والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وله أيضا في تبين عدم قيام الأصحاب مع الشيخ ، حين يعظم الخطب ،
ويقع الحرب :

سبّرتُ خلال الأصفياء تدبراً وميزت أحوال الصحاب تأملا
فشاهدتهم في السلم من تلق منهم تجده محبا يدعى صحة الولا
وعند نزول الخطب حاولتُ أن أرى أخائقة إن أدبر الحرب أقبلا
فلم ألق إلا لائما متسيرا ولم أر إلا شائما متعقلا
فلما تحققت التخلف منهم شطبت عليهم شطبة الصب ، لا إلى

وله أيضا ، فيمن أبدى عدلا في حبه ومتابعته جهلا

سيان إن عدل الواشون أو عذروا لا خبر عندهم ولا خبر
لاموا على حبه جهلا ، وما عقلوا وعنّفوا فيه عدوانا ، وما شعروا
ولورأوا حسنه الزاهى بأعينهم كما أراه أقفوا اللوم ، واقتصروا
ولو تجلت معانيه الحسان لهم وشاهدوها كما شاهدتها بهروا
لكنه مُدبدا لآلاؤه غشيت أبصارهم ، فاندنوا منه ، وما نظروا

تمت والحمد لله وحده . وصلى الله على محمد وآله

مرثاة أخرى لغيره

فقد الأنام	فوائد وفضائل	فقدوا من العلم الشريف	جلالاً
في موت بحر العلم	والحبر الذي	سلك العلوم مذاهباً	ودلائلاً
أعنى تقى الدين	أوحد عصره	قد كان حقاً بالفضائل	عاملاً
قد أودع القبر الشريف	علومه	عجباً لوسع القبر	بجراً سائلاً
قد كان لا يحتاج	طالب علمه	كثير السؤال ، وليس	يلقى سائلاً
قد كان ركناً في	المواعظ جملة	بجراً عميقاً إن أردت	مسائلاً
وإذا رآك	يكون حقاً بادياً	لك بالسلام موارد	ومسائلاً
يارب ، فارحمه ،	وبلّ ثراه بالغيه	ش الكريم ، معاودا	ومواصلاً
يارب ، وافعل ذا	بكل موادد	ومجاور قبر الامام	مؤملاً
يارب ، وارحمنا ،	وكل مشيع	صلى عليه ، أو أناه	مقبلاً
من كان مسروراً به	وبعلمه	من بعده ، فالحزن	أضحى عاجلاً
زكى الإله ثراه ،	فضلاً منه في	كل الزمان ، وزاد	غيثاً هاطلاً
بعد السلام على النبي	المصطفى	أعلى البرية في	المعاد منازل
وعلى الصحابة	والقراة كلهم	والتابعين	أواخراً وأوائل

وقال بعضهم في شيخ الاسلام رحمه الله ورضي عنه وجعل الجنة مأواه
دموعى على صحن الحدود تسيل وصبرى قصير والغرام طويل
على فقد من قد كان للدين ناصحا وكافح أهل الشرك وهو فضيل
لفقد تقى الدين ضاقت مذاهبي وفي كبدى نار الفراق تجول
إمام كريم ، كان لله عابدا وفي زهده شرح هناك يطول
قد كان للاسلام كهفا ومسعدا إذا ما أصاب المسلمين نزول
وكان على حكم المهيمن صابرا وفي كل ما يلقي إليه حول
بشرع رسول الله قد كان قائما وعن سنة الرحمن ليس يحول
وجاهد في الرحمن حق جهاده وكان له صبر عليه جميل
لقد بكت الدنيا حقيقا لفقده ويبكيه علم نافع وأصول
وفي أرض مصر ، يالها من عجائب لديه جرت ، وهو الصبور المحول
إلا يوم الاثنين الذى كان قبضه ففيه عزاء المسلمين جزيل
وفي سجنه يتلو ثمانين ختمة قراءة ترتيل وقصد سبيل
وفي موته دقت بشار رحمة أتاه من المولى رضا وقبول
وسار إلى رب قديم مهيمن عظيم كريم ليس ذاك قليل
عليه سلام الله ملاح بارق وما سارغيث بالسماء هطول

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا نظمه العبد الفقير الى رحمة ربه ومغفرته بدر الدين حسن بن
 محمود النحوى الماردانى فى الشيخ الامام العالم العامل ، الأوحد شيخ
 الاسلام ، وقدره الأنام تقى الدين أحمد بن تيمية تغمده الله برحمته ورضى عنه
 ألا أيها القلب الذى عدم الصبرا أفق ، طالما جرّعت من لوعة صبرا
 ويا عبرات الجفن أظهرت بالأسى لنا عبرا بالدمع أسطرها تقرا
 أيا من من خطب الليالى مخاطب وشيمتها فى الناس أن تظهر الغدرا
 وهل خالد فى الدهر عمرو وخالد لعمر ك لا يبق ، ولو أمل العمرا
 قضى ماجد ، مامثله اليوم واحد وأبقى جميل الفعل من بعده ذكرا
 دما لوبكته دمنة الربع والدماء وأمطرت الشعرى العبور لها العبرا
 أو اغبر وجه الأرض يوم مصابه لقل ، وجل الخطب من فقده قدرا
 فتى ألف المعروف ، والجود عادة تعودها طفلا ، وكان بها أخرى
 كأن لم يقل يوما مقالا ، فتثنى إلى قوله الأسماع طائعة قهرا
 ولا ظهرت بين الأنام علومه ولا طرزت شاما ، ولا جملت مصرا
 دعانى ظلال الصبر فى صبر فقده فأرسل رسل الدمع من مقلتي تبرى

سنت ، تقى الدين ، أحمد سنة

وأوسعت فى كسب العلا بالندى صدرا

أيا شافعي الوقت في ضبط نقله
 قنعت ، وفي الدنيا زهدت ديانة ،
 أفضت على الأيام بحر مكارم
 عجبت لقبر ضم جسمك ترابه
 نقلت من الدنيا إلى ظل روضة
 وشاهدت في حسن الزيادة نضرة
 تدرعت أثواب المحامد والتقى
 لئن نقل الأعداء عنك ضلالة
 وإن أودعوك السجن منهم جهالة
 فما يختفى إلا الجواهر في الوري
 أيا سائلي ، عن علمه ، وصفاته

هو البحر ، فاعجب فيه من يصف البحر

هو الغيث ، يثنى عنه كل لطيمة
 سما حاتما جودا ، وفاخر عاصما
 أيا بطل ، يوم الجدال مجندل
 إذا قال في عليك أمعن قائل
 وما ذا يقول للمادحون بوصفه
 تقدرت في علم وزهد وفطنة
 من الروض ، بل تزكوا وصفه بشرا
 ففاق لمن يقرى الضيوف ومن يقرأ
 فوارس علم من فواضله قهرا
 فاحاط من معشار ما نلته العشرا
 وقدرك فوق الشعر حل عن الشعرى
 فضلت بهافي الفضل بين الوري ذكرا

أعدت نهار الجهل ليلا مسودا وكافر ليل الكفر صيرته فحرا
 نظمت على جيد الزمان قلاندا بفضلك نظما من علومك أو نثرا
 لقد كنت في يوم الفخار وفي الوعى شجاعا يرد الليث عن سبله قهرا
 سيوفك بيض ، مثل عرضك في الورى

إذا اسودّ ليل النقع ، صيرتها حمرا
 كأنك قد أفرغت في فردٍ قالب تلاشى ، فلم يصبر على قلبه أخرى
 فجئت على الأيام فرداً ، ومن رأى مثالك من كنز المسكارم قد أثرى
 فأقسم بالقرآن في العصر صادقا بأنك قد شرفت من دهرك العصورا
 سقاك حياءً . ومن وابل الغيث سحرة وحيّا ندّى قد ضم من كفك البحرا
 وتوّر نوار الربيع ربوعه وأطلع في أرجائه الزهر والزهر
 تمت بحمد الله وحسن توفيقه .

وله أيضا فيه . رحمه الله ورضى عنه آمين

أبى اليوم سر الكون أن يتكما وصبغ مشيب الدمع أن يتكما
 وكل مصون من شجون ولوعة به تم فرط الحزن والدمع قد نما
 قضى ، ومضى ، مولى سماكل ماجد فأوحش ربع المكرمات وأظلم
 غمامة جود أفلعت بعد صوبها وبدر سعود غاب لما تَمَّ مَآ

وبحر علوم غاض زاخِرُ يَمُّهُ
وركن معالٍ قد وهى وتهدا
عيونى مصاب الخطب لما تحمقت
بها الدمع من جفنى تعندم عندما
أيا فاضل العصر الذى فى صفاته
تأخر من فى الفضل عنه تقدا
قضيت جميل الفعل أوحد ملة
حمى الدين والاسلام عزما وساما
ليهنك كم جندلت يوما مجادلا
وكلمته باللفظ منه تكلاما
نثرت على فرق الزمان جواهرها
ودرا على جيد الليالى تنظما
بفضل صلاة مع صلاتك فى الدجى
وجودك والاحسان اربحت مغنا
سبقت الى الغايات فى الفضل للورى
على قدم ، مقدامها قد تقدا
مضى علم فى الناس حُبْرُ معلم
فأصبح درس الفضل والعلم دارسا
فأوحش من ربيع المدارس معلما

يَوَدُّ بَأَن يَشْكُو الْجَوَى وَتَكَلَّمَا
فَتَى لَوْ قُلَامَاتِ الْأُظَافِرِ قَلَمَا
لَكَانَ شَبِيهَ مِثْلِهِ الْيَوْمَ قَلَمَا
فَلَوْ أَنْصَفْتَهُ الْبَاكِيَاتِ لَفَقَدَهُ
بَكَتْهُ دُمَا مِنْ فَيْضِ أَجْفَانِهَا الدَّمَا
مَتَى صَيَّرَ الْمِعْرَاجَ لِلْخُلْدِ فِي الدَّجَى
بَأَوْرَادِهِ ، لَمَا تَسَلَّمَ سَلَامَا
فَكَمْ جَادَلَتْ أَقْوَالُهُ مِنْ مَعَانِدِ
تَقَاصَّرَ عَنْهُ ، حِينَ أَقْدَمَ أَحْجَبَا
وَكَمْ رَدَعَتْ آرَؤُهُ مِنْ مَخَالَفِ
عَنِ الدِّينِ بَحْثَا ، حِينَ سَأَمَ أَسْلَمَا
لَبَسَتْ تَقَى الدِّينِ ثُوبَ تَقَاوَةِ
مِنْ الْفَضْلِ عَنْ مَوْلَى سِوَاكَ تَحَرَّمَا
تَحَيَّرَتْ مَا يَبْقَى عَلَى كُلِّ هَالِكِ
فَأَرْبَحْتَ مِنْ تِلْكَ التَّجَارَةِ مَغْنَمَا

لقيت الذى قدمته من صنائع من الخير ، أو ماجدت منك تكرما
وفى الحشر تلقى كل نفس نقاسا وتجزى الذى فى الناس أجرم ، أجرما
تأخرت عن نيل المناصب رفعة ومثلك فى أيامنا ماتقدما
بنيت على الاسلام ركنا ومعصما يُقبَلُ منه المجدُ كَفَاءً ومعصما
أقمت قناة الدين منك بعزيمة وأطفأت نار الشرك منك فأظلاما

صبرت على حمل الأذى منك راضياً

وأعرضت عن فعل الأعدى تكرما

شهرت على أهل البدائع فى الورى صوارم شرك الكفر منها تصرما
وقفت على يوم الجلال شجاعة بعزم يَرُدُّ المشرقيّ مُثَلِّمًا
إذا بكت الأبطال خوف قبيلة ضحكت بثغر فى الوغى قد تبسما
ولما تبدى نور نعشك لامعا تمت بنات النعش أن تتحطما
وودت بأن تدنو الثريا إلى الثرى نثاراً غليه ، رفعة وتعظما
نزلت على أهل المقابر رحمة وأتقذتهم من ظلمة الظلم والظما
سقى قبرك الوسمى فى كل سَجْرَةٍ سحائب رضوان به الروض وسما
ورف عليه الأقحوان مفلجاً وأطلع فيه الروض نجما وأنجما

تمت والحمد لله رب العالمين

قصيدة

للشيخ الامام جمال الدين عبد الصمد بن براهيم بن الخليل بن
اراهيم بن الخليل الحنبلى . يرثى شيخ الاسلام والمسلمين ابا العباس أحمد
ابن تيمية . قدس الله روحه . وعدتها ثمانية وأربعون بيتا :

عش ما نشاء ، فان آخره الفنا	الموت مالا بد عنه ولا رعى
والدهر إن يوما أعان ، فطالما	بالسوء عان ، فعونه عين العنا
لا بد من يوم يؤمك حتفه	حتمًا ، نأى الأجلُ المقدر ، أودنا
للفس سهم من سهام نوائب	يرمى ، فيصمى من هنالك ومن هنا
من غرّه الأمل المديد ، فانه	غرّ ، لأن طعامه لن يُسمنا
شمس الحياة تضيّفت ^(١) ، ومشيبه	ضيف يحجر من المنية ضيفنا
من حين أوجد كان نفس وجوده	فى الكون بالعدم المحقق مؤذنا
يا من يعدُّ الدهر صاحب دهره	ويعد فيه للاقامة موطننا
أو ما رأيت الموت كيف سطا بمن	فى الخلق عن محض العلوم تكونا
تدبُّ مباح الصبر حَظَر بعده	فلم استحال ، وكان شيئًا ممكنًا ؟
بذل الأنام ، مع البذاذة ^(٢) ، فضله	إذ لم يكن بسوى التقى متزينًا

(١) أى مالت إلى الغروب

(٢) أى مع عدم الاعتناء والتأنق فى اللبس لأن تجعله كان بالتقى

ترك الجميع على الجموع ، فلم يهب
ولكم مقامات له في الحق ، لا
بالعرف يأمر ، ناهيا عن منكر
ويخص أوقات الخصاصة بالندي
فبخير مأسن ، وبالسنن اقتدى
ما جارعن نهج الصواب وما اعتدى
إمّا تُبارزه ، تجده مُبرّزا
وإذا تجاريه ، فما السيل انبرى
متزهدا ، متعبداً ، متهجداً
في كل عصر سيد ، هو حجة ال
ونرى أحق من استحق ، فحازدا
شيخ الأنام وحجة الاسلام من
أعنى أبا العباس أحمد ، بل تقي
في الله ليس يخاف لومة لائم
لما تحقق أن كل مخالف
لم يدخر قوتا لأجل غد ، ولا
صدر حوى في صدره لكاله
ظهرت ولايات الولاية بعده
واسمع مقالة أحمد متوعدا

تلك الجموع ولا استراب ، ولا وني
بيض الطبا يخشى ، ولا سمر القنا
متقرباً ، وهو البعيد عن الحنا
فيعم عادا ، فقره أعلا الغنا
والشكر والذكر الجميلين اقتنى
وبغير تحصيل الفضائل ما اعتنى
في أي علم شئت ، حبرا متقنا
إما جرى في بحثه متفنفنا
متخشعا ، متورعا ، متدينا
ببارى على كل الخلائق في الدنا
من الإمامة لم يزل متعينا
أغنائه نشر الذكر عن ذكر الكنى
بى الدين حقا والعلم المعنا
ويرى النوى فيه نهايات المنى
يفنى ، وإن كان النفيس ، المشنا
أبقى له إرثا سوى حسن الثنا
من كل علم معلوى معدنا
وأسأل لتصبح بالحقائق موقنا
أعداءه : يومُ الجوائز بيننا

فأحقّ ما يُبكي عليه فقده ما موت هذا الحبر رزء أهينا
 فيض النفوس يقلّ فيه ، فلا تلم وأعن عيوننا فضن فيه أعينا
 يا من أعاد أولى التشدق علمه خرسا ، وأنطق بالثناء الألسنا
 يادوحة الفضل التي في أصلها طيب ، وزاكي فرعها حلو الجنا
 يا حبر ، بل يا بحر ، كم حيرت من حبر تصير ذا الفصاحة ألكنا
 يا خاتم الفضلاء ، علمك معجز بهر الوري ، فصدرت عنه مؤمنا
 إن كان ذا حفظا ، فوقتك ضيق عنه . ولو كان الزمان له أنا
 لكنّه من فضل ماهو قاذف بالحق من نور الولاية والسنا
 أسست بنيانا على تقوى ورضوان ، فلا سيمّا قد ارتفع البنا
 غبرت ، يا من لا يشق غباره في أوجه الفضلاء قدما قبلنا
 جاهدت في ذات المهيمن صابرا عند الأذى ، فأتت بشارات الهنا
 إن الذين يجاهدون عدونا فينا ، سنهديهم إلينا سبلنا
 الله قد أثنى على العلماء في نص الكتاب وأنت أولى من عني
 لا غرو إن كنت ابتليت بحاسد فالحر ممتحن بأولاد الزنا
 أشكو اليك ، وأنت أصل شكاي من فرط ضر في افتقارك مسنا
 قد عبرت عبراتنا من حزننا وبما يُجنّ من الجوى نطق الضنى
 سقيّا لتلك الروح من سحب الرضا وتبوّات جنات عدن مسكنا
 لو كان فيها الموت يقبل فدية كان الأنام فدى ، وأولهم أنا

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه القصيدة نظم الشيخ عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي
الأصل ، الدمشقي الحريري ، المعروف بالتميم ، يرثي الشيخ تقي الدين
ابن تيمية . وهو أحد أصحابه ، رضى الله عنه وأرضاه .

لقد عذبوا قلبي بنار المحبة وذاب فؤادي من فراق الأحبة
وزاد غرامي في اشتياقي إلى الحمى وهيج بلبالي حنيني ولوعتي
فيا عظم أحراني ووجدى عليهمو ويا طول أشواق إليهم . ووحشتي
فلم أنس أياما تقضت بقرهم ومن عيشتي ، لما تولوا تولت
ملأت النواحي من نواحي ، وكيف لا أنوح على قوم هو خير جبرتي؟
ومن عجبي أني أحن إليهم وقد سكنوا قلبي وروحي ومهجتي
ذكرت فلم أنسى زمان وصالحهم أنسى ليال بالأدب تقضت؟
منازل أحبائي مواطن سادتي مطالع أقماري شروق أهلي
معاهد أفراحي ديار سعادتي مواسم أرباحي أويقات لذتي
مضت وانقضت عني ، كأن لم أكن بها وما ذاك إلا من ترادف غفلي
أعلل روحي بالغوير ، وبانة وما شوقها إلا لسكان رامة
إذا لم يلح لي بارق من جماعهمو فيا خيبة المسعى ، ويا طول شقوتي

وإن لم أقض العمر بين خيامهم
وإن لم أشاهد حسنهم في مشاهدي
وإن لم أجد نور الهدى من خباياهم
لغير رضاهم ماتمت مطامعي
يقولون لي : لم لاسأوت هواهمو ؟
ولا ذقتمو مذاق قلبي من الجوى
فهل لي جذان أن يهيم بغيرهم
وحاشاي أن أسلو هواهم ، وحبهم
فهم سرُّ أسراري ، ونور مناظري
وهم عين أعياني ، وقلبي ، وقالبي
وهم في معانيهم حياتي حقيقة
وهم في تجلياتهم شمس إذا بدوا
وهم أينما كانوا نهاية مقصدي
وهم نور أنواري ، وسر حقائقتي

فلا عشت في الدنيا ، ولا نلت منيتي
فقد فاتني سؤلي ، ومت بحسرتي
يضيء به قلبي ، فياعظم حيرتي
ولا لسواهم ماحلالى تلفتي
فقلت : دعوني ، ما بليتيم بمحنتي
ولامسكم ضرى ، ونارى وحرقتي
وهل لي لسان أن يفوه بسلوتي
يذكرني حفظ العهود القديمة
وروحى ، وريحاني ، وأنسى وبهجتي
وهم منتهى قصدى ، ومشهد رؤيتي
وهم في مغايبهم ، أهيل مودتي
وهم في تجنيهم رياضى ونزهتي
وهم أينما حلوا مرادى وبغيتي
وهم أنس تأنيسى وما من خيفتي^(١)

(١) في هذا الشعر غلو في الاطراء ، لو قيل بين يدي شيخ الاسلام
ابن تيمية رحمه الله ، لأدب قائله وعلمه . وما وقع الناس في الشرك
لا من وراء هذا الغلو في الاطراء والمدح . ولذا يقول النبي صلى الله عليه
وسلم « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، بل قولوا عبد الله
رسوله . فانما أنا عبد الله ورسوله » رواه البخارى

ترى يشتقى قلبى برؤيتهم على رياض الهنا يوما ، وتبرد غلتي ؟
 وتحياهم روحى حياة هنيئة مسرمة التمتع فى روض جنة
 اذا سمحوا لى نظرة من جالهم فقد نلت من رضوانهم كل وصلة
 عليهم سلام الله ما هبت الصبا وما ناحت الأطيّار شوقا وحنن
 وقد آن أن أبدى خفايا صبايتى وأظهر للعذار أصل رزيتى
 وأبكى على من كان يجمع شملنا على طاعة الرحمن فى كل لحظة
 وأندب أحزاني بما قد أصابنى وأنثر أشجاني بنظم قصيدتى
 فقدت إماما كان أوحد عصره وقد فجعت فيه جميع البرية
 فقدت إماما ، لم يزل متوكلا على الله لا يصفى إلى غير سنة
 فقدت إماما كان بالعلم عاملا وكان حقيقا قامعا كل بدعة
 أتى بكتاب الله والسنة التى علت وارتقت حقّا على كل ملة
 أتى بأحاديث الرسول وشرحها وعمن رواها بالمتون الصحيحة
 أتى بعلوم العالمين جميعها بزهد ، وتأيد ، ودين ، وقوة
 أتى بأصول الدين ، والفقه مجملا وفصّاها تفصيل من غير شبهة
 أنانا بأحوال الرسول حقيقة وسيرته تسمو على كل سيرة
 أنانا بأحوال الصحابة كلهم والتابعين الملة المستقيمة
 أنانا بأوصاف الأئمة كلها وصنف كتبنا فى صفات الأئمة

أَنَا بوصف الصالحين وحالهم
 وعلمنا شرع الرسول ودينه
 وأعلمنا أن النجاة من الهوى
 وحذرنا من كل زيغ وبدعة
 وناظر أرباب العقائد كلهم
 ورد على أهل الضلال جميعهم
 وبين تكذيب اليهود وخبثهم
 وأخبرهم عن سر أسباب كفرهم
 وأظهر أيضا للنصارى ضلالهم
 وباحثهم حتى تبين أنهم
 ورد على كتب الفلاسفة الأولى
 وقرر إثبات النبوات عندهم
 ورد على جهنم وجعد بن درهم
 زنادقة، كم أهلكوا من عوالم
 وجادل أهل الاعتزال جميعهم
 يقولون: قول الله من بعض خلقه
 وباحث أشياخ الروافض وانثنى
 لأنهم عادوا خواص محمد — د

وما هم عليه من جميل العقيدة
 بأفصح ألفاظ وأصدق لهجة
 تمسكنا بالسنة النبوية
 وعن كل طاغ خارج عن محجة
 وبين من قد ضل من كل فرقة
 بأوضح برهان وأبلغ حجة
 وما بدلوا في الملة الموسوية
 فتعسا لهم من أمة غصبية
 وما أحدثوا في الملة العيسوية
 سكارى حيارى بالطباع الخبيثة
 بمنقول أحكام ومعتول حكمة
 وجل عليهم كرامة بعد كرامة
 وبشر الرئيس عمدة الجهمية
 بسوء اعتقادات النفوس السقيمة
 وسئل عابهم سيفه بالأدلة
 لقد كبكبوا في قعر نار حمية
 يقاتلهم بالدرة العمرية
 وسبوا، فهم في الأصل شر الخليفة

بغوا، وافترؤا جهلا، فهم أنجس الورى
 وهم خصماء الله، تَبَأً لدينهم
 فكم أحدثوا في ديننا من ضلالة
 وردّ على قوم، تربت نفوسهم
 وردّ على قوم وشتت شملهم
 ورد على أهل التناسخ عندما
 ومزّقهم في كل واد، لأنهم
 وقد أنكروا أمر المعاد بقولهم
 وجاهد أهل الاتحاد، وردهم
 وأتقّذهم من ظلمة الجهل والعمى
 ورد على أهل الخلول، فأنهم
 وقد زعموا أن التجلى مظاهر
 فمن أجل هذا يرقصون ديانة
 يرون شهود المرد والرقص قرينة
 ورد على أتباع إبليس عند ما
 وكم قد طوى في علمه من طوائف
 مطايا بذيّات الطريق سرت بهم
 وأكذب خلق الله من كل فرقة
 وبعداً لهم من عصبة ثنوية
 فلا مرحباً بالفرقة القدرية
 على النفي والتعطيل من غير حجة
 وهم أهل تشبيه أتوا بكبيرة
 تجروا وخاضوا في أمور عظيمة
 يقولون لا شيء سوى البرزخية
 نفوس نات عنا وفي الغير حلت
 إلى أشرف المسرى، وأهدى طريقة
 بنور وبرهان، ودين النصيحة
 يرون تجلى الحق في كل صورة
 ولا سيما في صورة أمرديّة
 وفي رقصهم جاءوا بكل قبيحة
 فياويلهم من خزي يوم الفضيحة
 رآهم وقد مالوا إلى الجهرية
 حرورية منهم على حشوية
 إلى أن أناخوا في عراض القطيعة

وفي بحر آراء العقائد أغرقوا
 وكم قد أراهم كلهم سبيل الهدى
 فمن كان قطب الكون في حال عصره
 شجاع همام بارع في صفاته
 تزهد في كل الوجود ، وغيره
 يحد على المسكين في حال عصره
 ويلقى لمن يلقاه بالبشر والرضا
 ويدعو لمن قد نال من ثلم عرضه
 يسارع في الخيرات سرا وجهرة
 يجاهد في الله الكريم بجده
 ويأمر بالمعروف حبا لربه
 تبقى نقى ، طاهر الذيل مذ نسا
 أليس الذي قد شاع في الكون ذكره
 فمن كان تاج العارفين لوقتنا
 هو الخبر والقطب الذي شاع ذكره
 إذا ما ذكرنا حاله وصفاته
 رمتهم خيالات العقول السخيفة
 وكم قد نهام مرة بعد مرة
 سواء ؟ ومن قد فاز بالبديلة ؟
 يروم مراما في المراق العلية
 يدور على الدنيا بنفس دنية
 بأطماره في حب باري البرية
 بأوصافه الحسنى ، ونفس زكية
 ولم ينتقم ممن آتى بالاذية
 ويلهو عن اللذات في كل طرفة
 بصدق وإخلاص وعزم وتية
 وينهى عن الفحشاء نهيا بهمة
 كريم السجايا ، ذو صفات حميدة
 وعم البرايا بالفتاوى العظيمة ؟
 وشيخ الهدى ؟ قل لي ، بغير حمية
 وفاح شذاه كالعبير المفتت
 كأننا حللنا في نعيم وروضة

نهنا أبا العباس بالقرب والرضا لقد نلت ما ترجو بكل مسرة

ألا يا تقى الدين ، يافرد عصره
وبانت لكل الناس أوصافك التى
ظهرت بأنواع العلوم وجنسها
فأظهرت ما قد كان للناس خافيا
وأوضحت إشكالا ، وبيّنت مبهما
وكم غصت فى بحر المعارف غوصة
ظهرت باحسان وحسن سماحة
خرجت من السجن الذى كان ضيقا
وقد نلت من مولاك ما كنت راجيا
حملت على النعش الذى كان تحته
وصلى عليك الحاضرون جميعهم
وأما النساء المؤمنات فانهن
ومعهن أبكار تحجبن بالتقى
صبرت على الأحكام طوعا وطاعة
وكنت حمولا للنوائب كلها
وأوسعت صدرا المقادير عندما
ولاحت لك الأنوار بالمشهد الذى
وعاينت موجودا تعالت صفاته

بروقك قد لاحت كشمس مضيئة
برزت بها مثل العيون الغزيرة
وسارت بها الركبان فى كل بلدة
بكل معان والفنون الغربية
وأبدت أسراراً بنفس عليمه
ولججت فاستخرجت كل يتيمة
ودين ، وتوحيد ، وكل فضيلة
إلى دار فوز فى رياض فسيحة
وأشهدك المعنى بعين قريرة
مئين ألّوا فى بكاء وضجة
بحسن اعتقاد فيك ، ياشيخ قدوة
خرجن حيارى ، فوجة بعد فوجه
ينحنن با كباد عليك خزينة
وذقت من الآلام طعم البلية
صبوراً على الأقدار فى دار غربة
شهدت جمال الحب فى كل خلوة
تطوف به الأنوار فى روض جنة
وشاهدت محبوباً بعين البصيرة

فلا أوحش الرحمن منك ، ولا خلت
 ولا أقفرت منك الطلول ، ولانأت
 ولا سكنت يوم الوداع دموعنا
 ولا احتجبت أسماعنا عنك ساعة
 لقد كنت روحا للقلوب وراحة
 تمسكت بالدين الحنيفي والهدى
 ظهرت الى الدنيا بأحسن مظهر
 وودعتنا توديع من غير راجع
 شربت بكأس العارفين مدامة
 وجدت بكأس الفضل منك تكرما
 فسبحان من أعطاك من فضل جوده
 لقد عشت محبوبا ومتم مكرما
 وما برحت تعلوك أنوار أنسه
 ومأواك جنات النعيم مع الذي
 نبي الهدى خير الورى صاحب اللوا
 عليه صلاة الحق ثم سلامه
 وبعد ، فله الحمد كلها
 وها أنا يا ربى عبيد متيم

ربوعك من تلك العلوم الجليلة
 ديارك من تلك الصفات الجميلة
 ولا اكتحلت فيك الجفون بغمضة
 ولا أليست منك العيون بنضرة
 وقوتا وأنسا للنفوس النفيسة
 وبالعروة الوثقى وأصل الشريعة
 ورحت إلى الأخرى بأكمل روحة
 وفارقتنا والدار غير بعيدة
 حقيقتهما من سر عين الحقيقة
 على تابعين السنة الأحمدية
 لقد نلت قربا لا ينال بحيلة
 عليك من الرحمن أركى تحيى
 وما زلت فى عز وقرب ورفع
 تفرد من بين الورى بالوسيلة
 شفيع على الاطلاق فى كل أمة
 على عدد الأنفاس فى كل طرفة
 على ما أرانا من وضوح الحجة
 عساك ترى حالى وتغفر زلتى

تمت ، وعدتها مائة وسبعة وعشرون بيتاً ^(١) والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وله أيضاً رحمه الله يرثي شيخ الاسلام ابن تيمية مرة أخرى :

الله عيشاً تقضى بالثنيات مع جيرة لذى فيهم صباياتي
ما كان أهنا زمانى فى ربوعهمو والسعد يسعى بما فيهمى إراداتى
والكأس تجلى بأنواع السرور، وفى قرب الأحبة تبدولى سعاداتى
إذا تجلوا على قلبى بحسبهم كأنى فى نعيم وسط روضاتى
قد كنت فى قربهم والوصل مقترنى لم يخطر الصد والهجران فى ذاتى
واليوم أصبحت أبكى بعد بعدهم لما تناءوا نأت عنى مسراتى
وغاب مدغاب عن عيني جماهمو راحى وروحى ، وربحائى وراحاتى
ولاصفا بعدهم عيشى بمنهلة ومذلولوا تولى طيب لذاتى
ياسادة ملكوا قلبى بلطفهم ماضرهم لو أعادوا لى أويقأتى ؟
همو مرادى ، وهم سؤلوى ، وهم أملى وهم نهاية مقصودى وغاياتى
وهم سرورى ، وهم سمعى ، وهم بصرى وهم نعيمى ، وروضاتى وجناتى
وهم حياتى ، وهم أنسى ، وهم شرفى وذكرهم لم نزل فى القلب جلواتى
لطفى على زمن ولّى وما ظفرت روحى بما ترتجى يوم الأثيلات
لما سروا وفؤادى فى هوداجهم ناديت من حرقى : يا عظم لوعاتى

(١) كذا فى الأصل ولكنها مائة وأحد وثلاثون

ما كنت أعلم قربى في محبتهم
 فاندب على ماضى من عيشنا وصفا
 واذكر مصارع قوم، كيف قد شربوا
 فأصبحوا في الثرى تبلى وجوههم
 أنت من بعدهم تسرى كسيرهم
 أقول ما قاله العبد المنيب ^(١)، وقد
 أنا الدليل، أنا المسكين، ذو سجن
 أنا الكسير، أنا المحتاج، يا أملى
 أنا الغريب، فلا أهل ولا وطن
 أنا العبيد الذى مازلت مفتقراً
 مالى سواك، ومالى عنك منصرف
 أنت القدير على جبرى بوصلك لى
 أدعوك ياسيدى، يامشتكى حزنى
 فانظر إلى عبرتى وارحم صبا جسدى
 ما زال مفتقراً فى باب سيده
 ما زال يتبع آثار الرسول على النـ

حتى رمتنى إلى الأبعاد راياتى
 وأبلك على ما قد جرى، يا قلبى العاتى
 بعد الزلال بكاسات المنيات
 تحت التراب، فياعظم المصيبات
 إما بدار هوان أو بحجرات؟
 أودى به السجن فى برّ وطاعات
 أنا الفقير إلى رب السموات
 جدلى بفضلك، واعف عن خطيأتى
 أنا الوحيد، فكن لى فى ملأتى
 إليك، ياسيدى فى كل حالاتى
 ذكراك فى القلب قرآنى وآياتى
 أنت العالم بأسرارى الخفيات
 يا جابرى، يا مغيثى فى مهماتى
 يا راحم الخير يا بارى البريات
 ما زال مبتلياً بالامتحانات
 هج القويم باعلام الدلالات

(١) هو ابن تيمية : والشاعر يشير بهذا الى قصيدة الشيخ التى قالها فى

السجن . ومطلعها «أنا الفقير إلى رب السموات» التى تقدمت فى صفحة (٣٧٥)

يهدي لسنته ، يفتي بشرعته
قطب الزمان وتاج الناس كلهمو
حبر الوجود ، فريد في معارفه
حوى من المصطفى علماً ومعرفة
ما جاءه سائل إلا ويمنحه
ماذا أقول ؟ وقولى فيه منحصر
في علمه ، ما علمنا من يناسبه
في زهده ، ما سمعنا من يشاكله
في جوده ، ما وجدنا من يماثله
يحود ، وهو فقير ، إنَّ ذا عجب
تلوح شمس المعالى في شمائله
بحر المعارف ، تاهوا في بدايته
قطب الحقائق ، حاروا في فضائله
أعجوبة الدهر ، فرد في فضائله
والهف قلبي على من كان يجمعنا
فارقت من كان يرويني برويته
يروى الأحاديث عن سكان كاظمة
ويطلب الذكر في إحسان حسنهم
يرعى حرمة في كل ساعات
روح المعاني ، حوى كل العبادات
أفنى بسيف الهدى أهل الضلالات
وجاءه منه إمداد النوالات
إما بجود ، وإما بالمداواة
في وصف أخلاقه ؟ كلت عباراتي
إلا أئمتنا أهل العنايات
إلا رجال مضوا أهل الكرامات
غير البرامك كانوا في سعادات
هو الذي ما سمعنا في الحكايات
وفي صفا وجهه نور الهدايات
أهل المعاني وأرباب النهايات
أهل التصوف أصحاب الرياضات
علامة الوقت في الماضي وفي الآتي
على فنون المعاني والإشارات
إذ ابتدئ بدا سر العبادات
فيطرب الكون من طيب الروايات
فيرقص القلب شوقاً نحو سادات

أفضى الى الله والجنات مسكنه عليه من ربه أزكى تحيات
ثم الصلاة على خير الأنام ومن قد خصه الله من بين البريات
اختاره ليلة الاسرا لحضرته حتى تجلى له رب السموات
فهو الشفيع الذي ترجى شفاعته عند الشدائد في يوم المجازاة
عليه منى سلام الله ما معمت سحب وجادت بالزيادات
والحمد لله حمداً لا انقطاع له أرجوه من الهى محو زلاتي
تمت وعدتها خمسة وخمسون بيتاً .

وسئل الناظم لهذه القصيدة عن عمره فقال : نحو التسعين . ومولدى
ببلاد الروم . وتوفى يوم الاربعاء سادس شعبان سنة إحدى وثلاثين
وسبعمائة . ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى ورضى عنه ^(١)

مرثية

فى الشيخ تقى الدين ابن تيمية رحمه الله ، نظمها رجل اسمه
جمال الدين محمود بن الأمير الحلبي ، وأرسلها من حلب المحروسة .

يادموعى سحى كسحب الغمام هاطلات على الحدود سجام
لفراق الشيخ الامام المفدى ابن تيمية ونجل الكرام

(١) اعاد هنا ذكر الايات التى قالها الشيخ فى سجنه . وأولها « أنا
الفقير الخ » وقد أسقطناها من هنا لأنها تقدمت فى صفحة (٣٧٥) وعدتها
أربعة عشر بيتاً .

زاهد ، عابد ، تقى ، نقى فهمه لا يقاس بالأفهام
 ابن تيمية يتيمة دهر ماله من مساوم ومساوى
 فجعت فيه كل أهل البرايا جمعها للعلوم والأحكام
 أوحده في العلوم والفضل والزهد ، لا يرأى في ملة الاسلام
 بحر علم يفوض كل لبيب في معانيه . حار كل الأنام
 فاق بالعالم والفضائل للخلق ، فأضحى إمام كل إمام
 إن يكن غاب شخصه وتواری ومضت روحه لدار السلام
 فثناقه والفضائل تبقى في ممر الدهور والاعوام
 سيد قد علا بعلم وحلم فعداه لديه كالأنعام
 كم رموه الحساد بالسكيد والبغى ، وهو لا ينتنى عن الأقدام
 طالب الحق لا يخاف لحيف وهو يحمى عن ذروة الاسلام
 لا يخاف الملوك أيضا ، ولا الخلق ، ولا العبيد مع اللوام
 كم ملوك أتى يحزم وعزم وهو في الله مسرع الاقدام
 ولغازان إذ أنه بقلب ما أسود الغابات مع ضرغام
 فتلقاه بالبشاشة والرحمة والعطايا ، والعز والاكرام
 أخذ العهد منه للناس جميع ما بأمان لكل أهل الشآم
 نفس صادق تقبله الا ، فاطاعته كل تلك الانام
 وحماهم في الحمى بخشوع وخضوع للواحد الملام

قل لمن رام للفخار ويبغى رتبة قد علت بحد الحسام
 هو في رتبة النبيين ، فاعلم هكذا أخبر النبي التهامي
 فقدته الدني ، مع الدين والعلم ، وكل الزهاد والأيتام
 كم فتاوى أتته . مع كل شخص أعجزت كل عالم صمصام
 حلها كالنسيم في الحال ، وجلى لصداها من علة الأسقام
 كان بجرأ للناس ، من غاص فيه فاز بالدر منه ، لا بالخطام
 أوحى الخلق في التفاسير طرا والأحاديث ، والعلوم . التمام
 شيخ كل الاسلام في الزهد والنسك والعبادات ، والتقوى ، والصيام
 كان شمس الضحى ، ونيل البرايا وإمام العلوم . والاحتشام
 صدره للعلوم ، والقلب للرب ويده للبذل والانعام
 ولديه أهل العلوم تداعت إذ هوت حوله في الازدحام
 تبتغى من جنى معانيه نطقا يستضيء منه في دياجى الظلام
 فيروى قلوبهم بعلوم فتراهم سكرى بغير مدام
 كما رأمت سألوة عن هواه قاذى الشوق نحوه بزمام
 لاتلنى على المديح ، ودعنى فهو شيخى ، وبغيتى ، وغرامى
 خجل البدر من سناه فاضحى يعتريه النقصان عند التمام
 كل من مات فى هواه بوجد ما عليه فى حتفه من ملام
 استمع يا عدول ، بالله ، وافهم لمعانيه فى جميع نظامى

قد تساوى فى الحق كل وزير عنده ، مع رذالة الأعوام
فضله شاع بين كل البرايا بعلوم شبه البحار الطوامى
كان بدر ابيض فى الناس بالعلم وإماما ، من إمام
حسدوه عند الوفاة على الخلق ، فلم يخل منهمو فى الحمام
نقلته أيدى المنية بالحق بجنان الخلود ، والدمع دأى
يا لها ساعة ،لقى الله فيها حاز فيها المنى ونيل المرام
فهو فى جنة النعيم مفدى بين حور ، كلؤلؤ فى الخيام
قدس الله روحه ، مع أخيه ما أضاء الصباح بالابتسام
يا نسيم الصبا بالله بلغ حبيبي تحيتي وسلامي
وتعرض على المحبين ذكرى وشجونى وشقوتى وسقامى
ثم صف ما أكابد الآن فيه من همومى ولوعتي وهيامى
وتقول العبيد : محمود أضحى بدموع وعبرة كالغمام

تمت والحمد لله وحده وهى إحدى وخمسون بيتا (١)

للشيخ علاء الدين أبى الحسن ، على بن محمد بن سليمان ، بن حمائل
ابن غانم المقدسى ، رحمه الله . يرثى شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية
رضى الله عنه :

أى حبر مضى ، وأى إمام جعت فيه ملة الاسلام

(١) كذا قال فى الأصل ، ولكنها بالعدد خمسون فقط

بحر جود وعلم ، قد غاض من به د ما فاض نداه ، وعم بالانعام
 زاهد ، عابد ، تنزه في دنيا ه عن كل ما بها من حطام
 كان كنزا لكل طالب علم ولمن خاف أن يرى في حرام
 ولعاف ، قد جاء يشكو من الفقة ر لديه ينال كل مرام
 حاز علما ماله من مساو فيه ، من عالم ، ولا من مُسام
 ولم يكن في الدنيا له من نظير في البرايا في الفضل ، والأحكام^(١)
 كان في علمه وحيدا فريدا لم ينالوا ما نال في الأحلام
 عالم في زمانه ، فاق بالعلم جميع الأئمة الأعلام
 كل من في دمشق ناح عليه بيبكاء ، من شدة الآلام
 حملوه على الرقاب إلى القبر ، وكادوا أن يهلكوا بالزحام
 ما يرى عند يومه عندما سا ر على النعش نحو دار السلام
 فجع الناس فيه في الغرب والشر ق ، وأضحوا في الحزن كالأيتام
 كل من في الوجود فيه مصاب فيعزى به جميع الأنام
 أعظم الله أجرهم فيه إذ صا ر على الرغم في الثرى والرغام
 صار جار الآله ، رب السما ت ، الرحيم ، المهيمن ، العلام
 كان وقت الحروب بالطعن والضر ب سريع القدوم والاقدام
 لا يهاب الهول العظيم بقو ل الحق في نقضه ، وفي الإبرام

(١) في نسخة : جميع العلوم والأحكام اه من ه' مش الأصل

تابع سنة الرسول ، عليه من إله السماء أركى سلام
 قائم في نصر الشريعة بالعلم ، وبالفضل منه كل قيام
 كم بنور العلم أخرج قوما من ضلال ، ومن عظيم ظلام
 نال ما نال من شريف مقال بعلوم شتى ، وعُظم مقام
 طبق الأرض بالفتاوى اللواتى هى منقذات الورى من الآثام
 حسدوه إذ ماله من نظير من بنى دهره الكبار الكرام
 خصه بالسكال من كل علم ربنا ، ذو الجلال والاكرام
 لو يُفدَى بالروح كنا جميعا قد فديناه من هجوم الحمام
 قدس الله روحه وسقى قبراً حواه هاطلات الغمام
 ورضى عنه ربنا وترضاً ه ، وملاً بالنعيم النامى
 فلقد كان نادراً في بنى الدهر ، وحسناً فى أوجه الأيام
 تمت والحمد لله رب العالمين وعدتها ثلاثون بيتاً^(١)

قصيدة من القصائد التى رثى بها شيخ الإسلام ، تقي الدين بن تيمية
 وهى لرجل جندى بالديار المصرية يقال له : بدر الدين ، محمد بن
 عز الدين أندمن المغيبي ، رجل فاضل له محفوظات متنوعة . وفيه
 ديانة وصلابة في دينه .

(١) كذا بالأصل ولكنها تسعة وعشرون فقط

أرسلها ، وذكر أنه عرضها على الإمام أبي حيان

خطبُ دنا ، فبكى له الاسلام وبكت اعظم بكائه الأيام
وبكت له بعبرتها السماء ، فأمطرت في غير فصل تسمح الأعوام
وبكت له الأرض الجليدة بعد ما أضحى عليها وجشة وقتام
وتزلزلت كل القلوب لفقده وتواترت من بعده الآلام
ولمؤمنين الجن حزن شامل ونياحة نطقت بها الأحلام
وتفجع الدين القويم لفقده وبكى غريبا يُبتلى ويضام
مُذْ مات ناصره الذي أوصافه أبداً تكون على سواه حرام
لتقى دين الله وصف باهر وخصائص خضعت لها الأفهام
ومواهب من ذي الجلال تُمدّه فيتم نغم شامخ ومقام
وغداً تقى الدين أحمد ماله حصد فتحمل فقده الأجسام
العالم الحبر الامام ، ومن غدا في راحته من العلوم زمام
ذو المنصب الأعلى الذي نصبت له في الأرض في أقطارها الأعلام
بمجر العلوم ، وكثر كل فضيلة في الدهر فرد ، في الزمان إمام
حبر تخيره الاله لدينه ختم لأعلام الهدى وختام
فوقاً بأحكام الكتاب ، فكمله في نصر توحيد الاله قيام ؟
والسنة البيضاء أحياء ميتها فعدت عليها حرمة وحججاً^١

(١) حجة عنه حجبا ، كنصر وضرب — منعه

وأما من بدع الضلال عوائد
أسَّ الفضائل، والذي لا تهتدى
وأنا له رب السموات العلا
وتقوده في العلم قول محمد
إِنَّ الْمَرْزُوقَ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ
بيدكم في كل قرن قادم
فلئن تأخر في القرون لثامن
فاق القرون سوى الثلاث^(١) فانها
وسوى ابن حنبل إنه علم الهدى
لكنَّ أحمد مثل أحمد، قد حوى
حدَّث بلا حرج وقل عن زهده
هجر المطاعم والملابس، والدينى
نزل المأكول، والمنام، ولا يرى
وتراه يصمت لالعى دائما
وإذا تكلم لا يراجع هيبة
أتى عليه مهابة من ربه

لا يستطيع لدفعها الصمصام
لفنونه وعلمه الأوهام
في العلم سبقا ما إليه مرام
صلى عليه الخالق السلام
يقضى بما تأتى به الأحكام
للدين من تهدى به الأقوام
فلقد تقدم في العلوم أمام
خير القرون يزينهم تمام
حبر إمام، صابر قوام
علما وزهدا فى العلوم تؤام
ما شئت، لارد، ولا آثام
ولعزمه فى تركها إحزام
لبنى الدنى فى قلبه إعظام
إلا لعلم يقتنى ويرام
وسكينة، وكلامه إبرام
نخطابه الاجلال والاكرام

(١) التى يقول فيها النبى صلى الله عليه وسلم « خير القرون قرنى ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم — الحديث »

وإذا دنا فترى الرجال ذليلة
فكأنها في نفسها أحجام^(١)
بشر يعظم بالقلوب ، وقدوة
أبدا يعظم ، وهو بعد غلام
من يخلص بها المهيمن من يشا
من خلقه ، والجاهلون نيام
وجفا العباد لشغله بحبيبه
فوداده للأقربين سلام
وله مقام في الوصول لربه
ومقامه نطقت بها الاقتام^(٢)
وله فتوح من غيوب إلهه
وتحزن ، وتمسكن وكلام
وتصوف وتكشف وتعفف .
وقراءة وعبادة وصيام
وعناية ، وحماية ، ووقاية
وصيانة ، وأمانة ، ومقام
وله كرامات ، سمت ، وتعددت
ولها على مر الدهور دوام
من رد عن أرض الشام بعزمه
مَنْ صَدَّ وجه الكفر وهو حسام
من رد غازان الهام بحسرة
مَنْ خلَّص الأسرى ، وهم أيتام
من قام بالفتح المبين مؤيدا
في كسروان ، وهم طغاة عظام
من جد في بدع الضلال وحزبه
وأذلهم بعد الرضاع فظام
من صار في سنن الرسول ونصرها
حتى استقر لأمرهن نظام

(١) جمع حجم : أى أجرام ساكنة بلا حركة

(٢) بهامش الاصل : نسخة « أغنام » الأغم : الذى لا يفصح
شيئا . والاقتم : الذى تعلوه ظلمة وسواد . ولا نسب للمعنى فى البيت
« أغنام »

من قام في خذل الصليب ودينه لما تداعوا للباس ، وقاموا^(١)
فو هوا وردوا خائبين بذلة وعليهم فوق الوجوه ظلام
فالأمر بالمعروف يُفقد بعده والفاعلون النكر ليس يلاموا
فكان أشراف القيامة قد دنت وانحلَّ من سَرَج الزمان حزام
فالعلم فينا ليس يقبض سرعة كلا ، ولا يأتي حماه حمام
لكن بقبض الراسخين ذهابه وزواله ، وبقي راع طفام
لله ما لاقى تقى الدين من مَحَنٍ تتابعه ، وهُنَّ ضخام
ومكاره حُفَّت بكل شديدة ومواقف زلت بها الأقدام
ومكائد نصبت له ، وحبائل قصداً إليه ، فردها الاقدام
فحكى ابن حنبل في فنون بلائه بجنان ثبت ، ليس فيه ذوام
وبسجنه ، وبمحصره ، ونكاله حتى رثى العذال واللوام
فأراد رب العرش ، جل جلاله للقاءه مُذ حانه الاعدام
وأناه آتى الموت ، يخطب نفسه فأجابه طوعا له القمقام^(٢)
نفلت مرابعه ، وأوحش ربعه وتقوضت عند الرحيل خيام
وتفجعت كل القلوب بفقده وغدا عليها ذلة وسقام

(١) يشير الى ما حاوله النصارى من تغيير الزى الذى كان الزمهم

به الملك فلما جاء برقوق تشفعوا لديه فى ذلك فردده الشيخ عن ذلك

(٢) القمقام — كصمصام — السيد العظيم .

ومضت جنازته الشريفة بعدما
وأتت روايات الشام بجمعها
أن الأولى شهدوا الصلاة وشيعوا
فعليه أفضل رحمة تهدي له
ما دامت الأفلاك في دوراتها
أوناح من فوق الغصون حمام
تمت . وعدتها ستة وستون بيتاً .

مرثاة للشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقرئ ، في الشيخ تقي الدين رضي الله عنه .
عز التبصر ، والزمان رماني
أصبحت مكتئباً لفقد أوبة
لاصبر لي عنهم ، وكيف تصبري
إن أوحشوا نظري ، فقلبي موطن
خلت الديار ، فأصبحوا في بلقع
لما سمعت بأن أحمد قد قضى
ولقاء رب ، لا مرد لحكمه
عظمت مصيبتنا لسيد عصرنا
والعلم حاز أصوله وفروعه
سبحانه من قادر منان
في شرح سيد أحمد ببيان
وغرائب التفسير للقرآن

وينظر الفقهاء في أقوالهم ويحييهم بالثبوت والتبليغ
غلب الملوك بثبته وجنانه وشجاعة بلغت إلى غازان
أفديه من بطل يلاق عصية منهم ، بلا عون ، ولا أعوان
من ذا يقوم مقامه في عصرنا إذ ماضى في سالف الأزمان
وله الزهادة والعبادة منهج وكذا يكون العالم الرباني
سارت ركائبه إلى دار الجزا متمسكا بمواعد الرحمن
أو ما نظرت إليه فوق سريره حفت به الأنوار بالامكان ؟
والناس من حول الجنازة أهدقوا كل يجود بعبرة الشكلا
وهو ألوف ليس يحصى جمعهم إلا إله عم بالغفران
نزلوا به كالبدر في إشراقه فتباشرت بقدمه القمران
عبد الحليم أبوه سيد عصره وأخوه عبد الله حبر ثان
المجد حاز المجد في عصر مضى في الجرح والتعديل والبرهان
ولمثل هذا سارعوا أهل التقى فازوا بأرفع رتبة وأمان
في جنة أنوارها قد أشرقت وقطوفها للطائفين دوان
أكوابها موضوعة وقيابها من أولئ مرفوعة البنيان
رالنور يغشى أهلها وهو على تلك الأسرة في رضى وأمان
ولباسهم من سندس وخيامهم قد ألبسوا من أحسن التيجان
ولأهلها ما يشتهون وشغلهم بالله لا بالخور والغلمان

منهم تقى الدين فاز بزهده وبصبره في طاعة الرحمن
ثم الصلاة على النبي محمد خير الأنام ، ومعدن الاحسان
هاد وأول شافع ، ومشفع وله الوسيلة مظهر الايمان
ماحن مشتاق إلى وادى منى وتطوفوا بالبيت والأركان
تمت والحمد لله رب العالمين . وعدتها إحدى وثلاثون بيتا

* * *

مرثاة للشيخ برهان الدين ابراهيم ، بن الشيخ شهاب الدين أحمد
ابن عبد الكريم العجمي ، يرثي الشيخ تقى الدين بن تيمية في
جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة . ومولده في أوائل سنة
سبع وتسعين وستائة . وتوفي في رمضان سنة خمس وثلاثين وسبعمائة
جدي بانسجام الدمع يامقلة العاني إلى أن تروى الارض من فيض أجفاني
وذق يافؤادى كل يوم وليلة مرارة أشواق ولوعة أشجان
إلى أن أرى وجه ابن تيمية الذى به الله من أهل الضلالة نجاني
ومن لى بأن ألقاه ، والموت قد أتى فغيبه فى التراب عن كل انسان
فيا وحشة الدنيا لأنوار وجهه ويالهف إخوان عليه وجيران
يحق العين لا ترجى لقاءه إلى الحشر أن تهلب بدمعها القاني
لقد عم أهل الأرض رزم مصابه ولم ينبج فيهم منه قاص ولاداني
لقد كانت الدنيا به ذات بهجة ونور ، وإشراق ، وروح وريحان

وما كان إلا آية في زمانه
 إمام هدى ، يدعو إلى دين ربه
 فذهبه : ما جاء عن خير مرسل
 أتى بعلوم حيرت كل واصف
 فكم مبطل وافاه يبغى جداله
 ويكشف عنه شبهة بعد شبهة
 فيصبح عن تلك المقالة معرضا
 يغار على الاسلام من كل بدعة
 وفي الله لم تأخذه لومة لائم
 ولم ينتقم في الدهر يوما لنفسه
 وأما سخاء الكف فالبحر دونه
 ولو وزوا أهل الشجاعة كلهم
 فمن جاهد الأعداء في الدين ليلة؟
 ومن قال للناس : اثبتوا يوم شقحب؟
 فمن خشى الرحمن بالغيب واتقى
 وماضره إن طال في السجن مكثه
 منيباً إلى مولاه ، يقطع وقته
 ولم يك مشغوفاً بحب رياسة

وفي كل علم حازليس له ثاب
 دعاء نصوح مشفق غير خوان
 وأصحابه ، والتابعين باحسان
 على أنه يهدي بها كل حيران
 فانصفه في البحث من غير عدوان
 إلى أن يبين الحق أحسن تبيان
 ولو كان من أحبار سوء ورهبان
 وما زال منها هادما كل بنيان
 ولم يخش مخلوقا من الانس والجان
 ولكنه يؤذى فيعفو عن الجاني
 ولم يك في بذل العطايا بمان
 به رجح الشجعان في كل ميزان
 ومن سل سيف العزم في وجه غازان؟
 فان الاعادي في انهزام وخذلان
 إله البرايا ، خانه كل سلطان
 إذا كان في نسك وطاعة رحن
 بنقل أحاديث ، وتفسير قرآن
 ولا شد بغلات ، ولا حسن غلمان

وما كان مشغولا بجاه ومنصب
ولكن بعلم نافع وعبادة
وفى موته قد كان للناس عبرة
إذ انتشروا مثل الجراد ، وكاد أن
وسار على أعناقهم نحو قبره
إلى الذهب الباقي دعاه إلهه
دعاه إلى جنات عدن وطيبها
فنسأل رب العرش يجمع شملنا
ويجبرنا بعد انكسار قلوبنا
ولا رفع بنيان ولا غرس بستان
وزهد ، وإخلاص ، وصبر وإيمان
لما شاهدوا من غير زور وبهتان
تزيغ عقول من رجال ونسوان
يجاور مولى ، ذا امتنان وغفران
فذاك له خير من الخزف الفاني
ومتمعه فيها بحور وولدان
به فى جنات الخلد من بعد حرمان
ويروى برؤيا وجهه كل ظمآن
تمت والله الحمد . وهى خمسة وثلاثون بيتا



للشيخ الامام المحدث ، الفاضل ، الأديب البار ، صفى الدين
عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي ، مدرس المدرسة البشيرية
ببغداد .

يقول : قال العبد الفقير : عبد المؤمن ، بن عبد الحق ، حين بلغه
وفاة الشيخ الامام العالم ، بقية العلماء المجتهدين ، تقي الدين أحمد بن
تيمية الحراني ، رحمه الله ورضى عنه ، وبوأه الجنة ، بمنه وكرمه آمين :

طببت مثنوى يا خاتم العلماء في مقام الزلفى ، مع الأتقياء
 أولياء الرحمن والسادة الغر ، الهداة ، الأئمة ، الصالحاء
 ويح للموت ، كم طوى بك من علم غزير ، وفطنة وذكاء
 وبيان يشفى القلوب من الغد ، ويجلو عنها صدى الغماء
 أين تلك العلوم والمنطق الصائب عند السؤال والافتاء ؟
 أين ذاك الخلق الجميل وحسن البشر للزائرين عند اللقاء ؟
 رمدت مقلة الفضائل مذ رميت ، وقرت عيون أهل الشقاء
 حين لا عالم يرد الذى قالوا ، وما تنمونه للاغواء
 من ضلال أهل فلسفة اليوان والاعتزال ، والارجاء
 وذوى الرفض من يدينون بالطعن على الصالحين ، والإزراء
 من حلل الشكوك بعدك والمردود من شبهة ، وقول هراء ؟
 من لتبيين مشكل قصرت عنه عقول لما به من خفاء ؟
 من لقمع الخصم المجادل فى الدين عنادا من ملة عوجاء ؟
 من ترى للغريب بعدك يلقاه بوجه طلق ، وفضل حياء ؟
 ضاع من بعدك الغريب فما يلقى معينا له على اللاأواء
 أيما عالم نعاه لنا النا عى وحبر قد صين فى الغبراء ؟
 أى حبر قد غيضته المنايا فى رجا حفرة من الأرجاء
 أعلم الناس كلهم بكتاب الله ، جل اسمه بغير مرا

بمعانيه والعلوم التي فيه ، وأدرى بالسنة الغراء
من أحاديث سيد الرسل يرويـه كبار الأئمة ، النبلاء
من صحيح ومن سقيم وأخبار الرواة الثقات والضعفاء
وبآثار صحبه وفتاوى من أتى بعدهم من العلماء
وباجماعهم وما اختلفوا فيه من الحكم سادة الفقهاء
حاله ، إن نظرت فيه ، تجد مثل أحوال سادة الأولياء
قانع النفس بالدنى من العيش ، غنيا ، يعد في الفقراء
مؤثر بالذى لديه لعافيه على نفسه بغير رياء
ورع طاهر ، ونسك وإخبات ، وشكر في شدة ورع
والتقى والعفاف ، والزهد في الدنيا حلاه ، والصبر عند البلاء
لم يزل جاهدا يجاهد في الله قبيل الضلال والأهواء
بجنان ثبت ، وجأش قوى وفؤاد راس لدى الهيجاء
يزع الخضم بالجواب عن الشك ويدلى بالحجة البيضاء
صابراً نفسه إلى أن قضى الله بما قد قضى على الأنبياء
وقد أضمرؤا له سوء قوم للذى حملوا من البغضاء
حسداً منهم لما خصه الله به من ملابس الفضلاء
فاستحلوا منه الذى حرم الله لما أضمرؤا من الشحناء
حرفوا قوله كما حرف الله وم نصوص القرآن للاغواء

ورموه بكل قول شنيع بين الكذب ظاهر الافتراء
 أعجزوا عنه مرة بعد أخرى فاستعانوا عليه بالاغراء
 هل يبارى العضب الصقيل كهام صدىء في ضرابه ومضاء
 أم تجارى الحمير فى حلبة السب ق جوادا مضر الأحشاء
 لم ينالوا منه الذى أملوه بل رمى الله جمعهم بالفناء
 ياتقى الدين الذى صدقت فيه ه ، وحقت مخايل الآباء
 عند تلقيبه كذلك ، قد كنت وسميت أحسن الأسماء
 بابن تيمية لقد فزت فى الدين يا بذكر باق ، وحسن ثناء
 وكذا أنت يعلم الله فى الأخ رى مع الصالحين والشهداء
 بوئت روحك الشريفة فى الجنة ة أعلا منازل السعداء
 وسقى قبرك الرضا وأنا ك الروح فى كل بكرة وعشاء
 وتوالت عليك من نعم الله ه ورضوانه صنوف العطاء
 آخرها وعدتها ثمانية وأربعون بيتا

للشيخ زين الدين ، بن الشيخ حسام الدين ، أقش الشبلى ، يرثى
 الشيخ تقى الدين بن تيمية . رضى الله عنه
 لو كان يقنعنى عليك بكأى لجرت سوابق عبرتى بدماء

وكنـت في يوم انتقالك للبلى
لكن أصبر عنك نفسي كاتماً
أترى علمت وأنت أفضل عالم ،
أسفى على تلك الديانة والتقى
أسفى عليك نفى الكرى عن ناظرى
أسفى عليك ، وما التأسف نافع
غاضت بحار العلم بعدك ، والورى
بأبى ، وحيداً مات منفرداً عن الـ
بحر العلوم ، حوى الفضائل كلها
متفرداً فى كل علم دونه
بالفضل قد شهدت له أعداؤه
شيخ العلوم ، وتابع السلف ، الذى
وإمام أهل الأرض ، والمبدى لهم
ذوالصالحات ، وذوالشجاعة والتقى
من كان لا يثنى لطالب جوده
يجفؤ المضاجع راكعاً أو ساجداً

صخرأً لزدت على بكى الخنساء (١)
للحزن ، خوف شامة الأعداء
ما عندنا من لوعة وبلاء ؟
والجود آذن قربه بقاء
من فرط أحزاني وفرط عنائي
صبا عليك مقلقل الأحشاء
فى غفلة ، ياســــــــــــــــيد العلماء
أحباب ، كان بقية الصاحباء
وسما سمو كواكب الجوزاء
لعلو رتبته ذرى العلياء
وبه سما فضلاً على النظراء
تبعوا الرسول بشدة ورخاء
سنن الهدى عن صحة الأنبياء
والجود ، والبركات ، والآلاء
حتى يبلغه لكل رجاء
أو ذاكراً لله فى الظلماء

(١) « صخر » اخو الخنساء رثمه رثاء لم تسبق إليه ، حتى ضربت

كالصبر في حنك العدو مذاقه وألذ من شهد إلى الجلساء
 المانح ، البحر ، الامام ، العالم ، الخبر ، الهمام ، وحجة الفقهاء
 الواهب المال الجزيل وغامر الضيف النزيل بوافر النعماء
 المحسن الكافي السؤال وحاسم السداء العضال ، وكشف الغماء
 صدر المدارس والمجالس أحمد المحمود في عود ، وفي إبداء
 وإذا المسائل في الفتاوى أخت أهل العلوم وحجبت بخفاء
 وأنت تقي الدين أظهر ما اختفى منها ، وأبداه لعين الرائي
 فترى سهاها في الخفاء بكشفه كالشمس مشرقة بصحوسماء
 ويرى البصير الحق فيما قاله والحق لا يخفى على البصراء
 سجنوه خشية أن يرى متبذلاً صونا ، فنال منازل الشهداء
 المؤمنين له ، وعند عدوهم ذاك الكسير ، وعزة الخلفاء
 في الحديثين أتى بفضل باهر ومناقب أربت على القدماء
 أى خاشع أى شاكر أى ذاكر لله فى الاصباح والامساء
 أى زاهد ، أى حامد ، أى باذل للمسلمين نصائح النصحاء
 خير الصفات صفاته ، وثناؤه بالجود بين الناس خير ثناء
 ويظل يسأل جوده عن سائل ذى فاقة ليبره بعباء
 وتراه يشرق وجهه متهللاً للسائلين له شروق ذكاء^(١)

بادى التبسم عند بذل نواله
 أربى على فضل البرامكة الأولى
 من جاء يسأله ويشاهد عنده
 يربى على سح السحائب جوده
 والجود يرفع أهله بين الورى
 وله إذا اصطدم القتال شجاعة
 سل عنه غازانا ، وسل أمراءه
 والمغل قد ملكوا البلاد وأهلها
 وكذا بشحقب ، التذارقدا قبلو
 والمسلمون على النزول ، قد أجمعوا
 من حرض السلطان والأمرا على
 قال : اثبتوا ، فلكم دليل النصر قد
 وآتى جبال الكسروان . فأذنت
 وله بكل مدينة ذكر آتى
 سيرله نظمته ، سارت بها الر
 وإذا إمام المسلمين وشيخهم
 أدعو إليه العرش يجمع بيننا
 لطفنا إلى الفقراء والضعفاء
 وطوت مكارمه حديث الطائي
 بذل الملوك ، وعيشة الفقراء
 وكذا تكون مواهب الكرماء
 أبدا ، ويهوى البخل بالبخلاء
 قامت بنصر الدين فى الهيحاء
 لما أتوا بطلائع الأسراء
 كم فك من عان بغير عناء ؟
 كالظم فى أمم بغير مرأ
 والمغل عنهم نظرة للرأى
 ترك النزول ، سواء عند مساء ؟
 وافى . فكان النصر عند لقاء
 بدمارها من بعد طول بقاء
 كالمسك فهو معطر الأرجاء
 كبان ، دون قصائد الشعراء
 ولى ، وعز على عزاه عزائى
 فى جنة الفردوس ، فهو رجائى

وعليه من رب السماء تحية تبقى له أبدا بغير فناء
تمت وهى اثنان وخمسون بيتا .

وله أخرى على قافية الفاف نحو خمسة عشر بيتا تقدم ذكرها :
قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وقد رثى الشيخ رضى الله عنه بقصائد
كثيرة غير هذه . وفيما ذكرنا كفاية

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مرثاة فى شيخ الاسلام العالم الربانى أحمد بن تيمية الحرانى ، للشيخ
شمس الدين الحنبلى ، من أهل الصالحية ومولده قريبا من سنة إحدى
وسبعمائة بسفح قاسيون :

خطب جسيم هائل جلال	قد عزمته العزا ، وابيضت المقل
والوقت قبض ، فلا صبر ، ولا جلد	أتى وصرف الليالى سابق عجل
والأمر يعظم ، والأفكار حائرة	وقد أحاطت بنا الأهوال والوجل
كأنما الشمس فى جو السما كسفت	وضوؤها بائن عنها ، ونفصل
والجو فى ماتم ، كالليل منظره	كأن جنح الدجى فى الليل منسبل
فدمعتى بدمى ، يأسعد ، قدمزجت	كأنما فى فؤادى النار تشتعل
أمسى ، وأصبح والأحزان تكمدنى	وحسرتى بدوام الدهر تتصل
قد زادنى أسفى ، واشتد بى جزعى	أيقنت أن حياتى حثها الأجل

وارحمنا لقلوب قطرت أسفا
وساءها فقد من كان الأنيس لها
يا بأكيا بطول الليل منتحبا
زد في البكاء بدمع هاطل همل
واعلم بأن السما والأرض باكية
هذا الامام التقى السيد الأئمة الب
حبر ، إمام تقى ، زاهد ، ورع
العلم ، والحلم والآداب : شيمته
ماذا يقول فصيح في مناقبه
لقد حبي الله أيام الزمان به
قد كان كالشمس للدنيا إذا طلعت
نال الهداية في مبدا هدايته
قد كان معتصما بالله منتصرا
لله در أبي العباس من رجل
تالله لا عاذل بالعدل يعدلنى
ياسيد العصر كم خلفت من كبد
ليمكن عليك العلم من أسف
ليمكنك أقوام إذا وفدوا

لقد عراها مصاب حادث جل
وخاب عند رجاها القصد والأمل
لا يعتريه على طول البكا ملل
عسى بدمعك حرّ الوجه ينفسل
على ابن تيمية . والسهل والجبل
ارع ، اللوذعى الجامع ، الوجل
ليث همام ، حصور ، أوحده ، بطل
واللطف والجود والاحسان مكتمل
والزهد منهجه ، والعلم والعمل ؟
علومه أبحر ، والخلق تنهل
واليوم ، لا عوض عنه ، ولا بدل
وفي نهايته الارشاد والجل
ووثاقا ، مكتفي بالله ، متكل
ما إن يرى فى الرايا مثله رجل
عنه ، وحاشاى أن يلهينى العذل
حرى عليك ، وعين دمهاهطل ؟
نيمكن عليك الفقه والجدل
من البلاد بعلم أمره شكل

لتبكينك دار كنت تسكنها
 فازوا بعلمك أقوام ، وقد سعدوا
 وشاع ذكرك في الدنيا بأجمعها
 دانت لعلمك أهل الأرض قاطبة
 شبت علمك بالبحر المحيط . كما
 وإن تكن في مجال الدرس كنت به
 تروى الخلاف وتأتى بالأصول وعن
 وذكر علمك في الآفاق منتشر
 كم قد أتتك فتاوى لا عداد لها
 وكم أجبت النصارى عن مسائلهم
 وكم قمعت ، فدتك النفس ، من بدع
 وكم تواضعت عن علم ومعرفة
 لقد رويت من الآثار أوضحها
 من ذا يضاھيك فيما قد خصصت به
 قد كنت أعجوبة في الدهر مدهشة
 وكان يومك يوما آمنا عجبا
 والخلق لا يهتدوا من عظم ما زدهموا
 يارحمة نزلت في الأرض وانتشرت
 وتشتكى فقدك الاسحار والأصل
 إذ عن جناب حماك الرب ماعدلوا
 فأنت في الناس مضروب بك المثل
 فأنت مفتى الورى في كل ماجهلوا
 بحر المحيط بكل الأرض مشتمل
 ليثا تصول ، ومن ألقا ظك الأسل
 أهل الحديث بما قالوا وما نقلوا
 على ممر الليالى ، ليس يفصل
 أجبت أربابها عن كل ماسألوا ؟
 بمخرقات علوم عنك تنتقل ؟
 وكنت فيها بأمر الله تستطل ؟
 تقي ، وقدرك بالجوزاء منتعل
 كما روتها الثقات السادة الأول
 وبحر علمك منه العارض الهطل ؟
 وكان درسك فيه العقل ينذهل
 والناس للنعش بالهامات قد حملوا
 فكم دموع تراها وهى تنهمل
 على جميع الذى في تره نزلوا

سقت ثراك الغواذى صيب وابلها
كما حببت بدار الخلد منزلة
وتاجك النور والتعلان من ذهب
قل للذى سره موت الإمام: لقد
أما علمت بأن الموت ما سلمت
أين الملوك وأبناء الملوك؟ لقد
وعن قليل ترى الدنيا وقد رحلت
وليس يغنى الفتى يوم اللقا ندم
وإنما المتقى ترجى النجاة له
ولم يزل فى قيام الدين مجتهداً
قل للأولى كتبوا عليه واجتهدوا:
والله، لست بمحص مدحه أبداً
عليه منى سلام الله ما صدحت

كما ضريحك من تحت الثرى خضل
حلاتها . وعلبك الحلى والحلال
وهكذا عن فتى شيبان قد نقلوا
يكفيك جهلك ، يا من غره الأمل
منه ملوك بنى الدنيا ولا الرسل
صالت عليهم صروف الدهر فارتحلوا
فليس يغنى ولايات ولا دول
إذ أثقلت ظهره الأوزار والزلل
لأنه خائف من ربه وجل
وإن خلا فى الدياجى فهو مبتهل
إن الذى علموا بعض الذى جهلوا
ولو أتيت بما ضاقت به السبل
ورق على فنن ، فى نوحها زجل

تمت وهى سبعة وخمسون بيتاً

[بهامش الأصل : كذا وجدت فى الأصل . لم تعز هذه القصيدة]
يا قوم توبوا إلى الرحمن وابتهلوا فقد قضى رجل ما مثله رجل

يا قوم واستغفروا الرحمن خالقنا
 روى صحاح أحاديث مجمعة
 والعلم والحلم والزهد المسكين ومن
 كم بدعة قد محاها ثم أبطلها
 كم قام في أمر دين الله مجتهداً
 كم نار شر طفاها وهو مبتسم
 كم أظهر الحق لما قل ناصره
 كم طوق الناس في أعناقهم مننا
 قد كان ذا مورد عذب لقاصده
 من قبله جا إلى غازان مبتسماً
 حتى إذا جاءه والخلق تنظره
 فقال جبراً له ، والخلق تسمعه :
 وقال له : الشام ، يا محمود دار تقى
 قد غار بحر علوم موجه العمل
 وعنه أخبار رسل الله تنتقل ^(١)
 ما في مقالته ريب ولا زلل
 وكم أزاح لنا من منكر عملا
 ولم يكن عنده في أمره ملل
 [لم يعرف أين] ^(٢) ولا خوف ولا وجل ؟
 وكم أبان لهم أمراً له جهلوا ؟
 ما ليس يحمله سهل ولا جيل ؟
 والناس تصدر منه ثم ترتحل
 على الجواد وكل الخلق قد نزلوا
 قام الجميع ولم يأخذهمو كسل
 هل أنت محمود بالإسلام متصل ؟
 ومعدل الأنبياء ، عنها فارتحلوا ^(٣)

(١ و ٢) في الأصول التي بين أيدينا لـ هذين البيتين خلل عظيم لا يستقيم معه الوزن ، فأصلحناهما بقدر الامكان ، وزدنا في ثانيهما ما بين القوسين (٣) ارتسكب في هذا البيت ضرورة حذف ألف « ها » التي هي ضمير المؤنث ويدون ذلك لا يستقيم وزن البيت .

يكفيكم ما رأيتم من جنازته ونعشه فوق روس الخلق ينقل
 إن كان فوق رؤوس حملوه فقد أولاهم نعماً ما ليس تنجمل
 قد كنت أرجوه لى ذخراً وآمله وأرتجيه إذا ضاقت بى الخيل
 قد كان ذا رحل للناس كلهم يا أيها الناس كفوا قد قضى الأجل
 تمت وهى ثمانية عشر بيتاً .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

من أصغر العباد ، عبد الله بن حامد : إلى الشيخ الامام العالم العامل
 قدوة الأفاضل والأماثل ، مجمل المجالس والمحافل ، المحامى عن دين الله
 والذاب عن سنة رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم والمعتصم بحبل الله
 الشيخ المبجل المكرم ، أبى عبد الله ، أسبغ الله عليه نعمه ، وأيد
 بإصابه الصواب لسانه وقلمه ، وجمع له بين السعادتين ، ورفع درجته فى
 الدارين ، بمنه ورحمته .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(أما بعد) فانى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو : ثم وافانى
 كتابك ، وأنا اليك بالأشواق ، ولم أزل مسائلًا ومستخبرًا ، الصادر
 والوارد ، عن الأنباء ، طاب مسموعها . وسر ما يسر منها .

وما تأخر كتابي عنك هذه المدة ، مللاً ولا خلالاً بالمودة ، ولا تهاونا
بمحقوق الاخاء ، حاشى الله أن يشوب الاخوة في الله جفاء .

ولا أزال أتعلل بعد وفاة الشيخ الإمام ، (إمام الدنيا) ، رضى الله
عنه بالاسترواح إلى أخبار تلامذته واخوانه ، وأقاربه وعشيرته ،
والخصيصين به ، لما في نفسي من المحبة الضرورية التي لا يدفعا شيء ،
على الخصوص ، لما اطلعت على مباحثه واستدلالاته ، التي ترززل أركان
المبطلين ، ولا يثبت في ميادينها سفسطة المتفلسفين ، ولا يقف في حلقاتها
أقدام المبتدعين من المتكلمين .

وكننت قبل وقوفي على مباحث (إمام الدنيا) رحمه الله ، قد طالعت
مصنفات المتقدمين ، ووقفت على مقالات المتأخرين من أهل الفلسفة
ونظائر أهل الاسلام . فرأيت منها الزخارف والأباطيل والشكوكات ،
التي يأنف المسلم الضعيف في الاسلام ، أن يخطر بها بباله ، فضلا عن القوى
في الدين . فكان يتعب قلبي ويحزنى ما يصير إليه الأعظم من المقالات
السخيفة . والآراء الضعيفة التي لا يعتد جوازها آحاد العامة

وكننت أقتش على السنة المحضة في مصنفات المتكلمين من أصحاب
الإمام أحمد رحمه الله على الخصوص ، لاشتياهم بالتسك بمنصوصات
إمامهم في أصول العقائد ، فلا أجد عندهم ما يكفي^(١)

(١) نسخة « يشفى » اه من هامش الأصل

وكنتم أراهم يتناقضون ، إذ يؤصلون أصولا يلز فيها ضدا معتقدونه
ويعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم . فاذا جمعت بين أقاويل المعتزلة
والأشعرية ، وحنابلة بغداد ، وكرامية خراسان ، أرى أن إجماع هؤلاء
التكلمين في المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلي والنقلي ، فيسوّى
ذلك ، وأظل أحزن حزنا لا يعلم كنهه إلا الله ، حتى قاسيت من مكابدة
هذه الأمور شيئا عظيما ، لا أستطيع شرح أيسره .

وكنتم ألتجىء إلى الله سبحانه وتعالى وأتضرع إليه ، وأهرب إلى
ظواهر النصوص ، وألقى العقولات المتباينة ، والتأويلات المصنوعة لنبو
الفطرة عن قبولها .

ثم قد تشبثت فطرتى بالحق الصريح في أمهات المسائل ، غير متجاسرة
على التصريح بالمجاهرة قولاً وتصميماً للعقد عليه ، حيث لأراهم آثارا عن
الأئمة وقدماء السلف . إلى أن قدر الله سبحانه وقوع مصنف الشيخ
الامام (امام الدنيا) رحمه الله ، في يدي ، قبيل واقعته الأخيرة ، بقليل
فوجدت ما بهرنى ، من موافقة فطرتى لما فيه ، وعزوا الحق إلى أئمة السنة
وسلف الأمة ، مع مطابقة المعقول والمنقول ، فبهت لذلك ، سرورا بالحق
وفرحا بوجود الضالة التي ليس لفقدتها عوض . فصارت محبة هذا الرجل
رحمه الله ، محبة ضرورية ، يقصر عن شرح أقلها العبارة . ولو أطنبت

ولما عزمتم على المهاجرة إلى أقميه ، وصلني خبر اعتقاله ، وأصابني لذلك المقيم المقعد .

ولما حججت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة صممت العزم على السفر إلى دمشق ، لأتوصل إلى ملاقاته ببذل مهما أمكن من النفس والمال للتفريج عنه . فوافاني خبر وفاته رحمه الله تعالى مع الرجوع إلى العراق قبيل وصول الكوفة ، فوجدت عليه ما لا يجده الأخ على شقيقه ، واستغفر الله ، بل ولا الوالد الثا كل على ولده ، وما دخل على قلبي من الحزن لموت أحد من الولد والأقارب والأخوان كما وجدته عليه ، رحمه الله تعالى ، ولا تخيلته قط في نفسي ، ولا تمثلته في قلبي إلا ويتجدد لي حزن ، قديمه كأنه محدثه . ووالله ما كتبته إلا وأدمعي تتساقط عند ذكره ، أسفا على فراقه ، وعدم ملاقاته ، فانا لله وانا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وما شرحت هذه النبذة من محبة الشيخ رحمة الله تعالى عليه ، إلا ليتحقق بعدى عن الملك الموهوم .

لكن لما سبق الوعد الكريم منكم ، بإفاد فہرست مصنفات الشيخ رضی اللہ عنہ ، وتأخر ذلك عني ، اعتقدت أن الاضراب عن ذلك نوع تقية ، أو لعذر لا يسعني السؤال عنه ، فسكت عن الطلب ، خشية أن يلحق أحداً ضرر ، والعياذ بالله ، بسببي ، لما كان قد اشتهر

من تلك الأحوال ، فإن أنعمت بشيء من مصنفات الشيخ ، رحمه الله تعالى ، كانت لكم الحسنة عند الله تعالى علينا بذلك . فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى ، وقد يقع فى كلام غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر ، مالا يخفى على طالب الحق ، لحرص وعدم هوى .

ولأزال أعجب من المنتسبين إلى حب الانصاف فى البحث ، المزين على أهل التقليد المعقولات التى يزعمون أن مستندهم الأعظم الصريح منها ، كيف يباينون ما أوضحه من الحق ، وكشف عن قناعه وقد كان الواجب على الطلبة ، شد الرحال إليه من الآفاق ، ليروا العجب . وما أشبه حال المباينين له ، من المنتسبين إلى العلم ، الطالبين للحق الصريح الذى أعياهم وجدانه . بحال قوم ذبحهم العطش والظما فى بعض المفازات ، فحين أشرفوا على التلف ، لمع لهم شط كالفرات ، أو دجلة أو كالنيل ، فعند معاينتهم لذلك ، اعتقدوه سرايا ، لا سرايا ، فتولوا عنه مدبرين ، فتقطعت أعناقهم عطشا وظما ، فالحكم لله العلى الكبير . وما أرسلنا الكتب المقابلة من إحدى الطرفين ، ففيه تعسف . وتهدون العذر فى الاطناب . فهذا الذى ذكرته من حالى مع الشيخ كالقطر من بحر . وإن أنعمت بالسلام على أصحاب الشيخ وأقاربه ، كبيرهم وصغيرهم ، كان ذلك مضافا إلى سابق إنعامكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأنتم في أمان الله ورعايته
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ الامام زين الدين ، أبو حفص ، عمر بن المظفر بن عمر
ابن محمد بن أبي الفوارس ، بن علي بن الوردي ، الشافعي رضي الله عنه
يرثي شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه :

عنا في عرضه قوم سلاط لهم من نثر جواهره التقاط
تقي الدين أحمد خير حبر خروق المضلات به تخاط
توفي وهو مسجون فريد وليس له إلى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألقوا ملائكة النعيم به أحاطوا
قضى نجبا وليس له قرين ولا لنظيره لفَّ القمط
فتى في علمه أضحى فريدا وحل المشكلات به يناط
وكان إلى التقي يدعو البرايا وينهى فرقة فسقوا ولاطوا
وكان يخاف ابليس سطاء بوعظ للقلوب هو السياط
فيا لله ما قد ضم لحد ويا الله ما غطى البلاط
عمو حسدوه ، لما لم ينالوا مناقبه فقد فسقوا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كسالى ولكن في أذاه لهم نشاط
وحبس الدر في الأصداف نخر وعند الشيخ بالسجن اغتباط

بآل الهاشمي له اقتداء فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
 بنو تيمية كانوا ، فبانوا نجوم العلم أدركها انهباط
 ولكن يا ندامة حابسيه فشك الشرك كان به يماط
 ويا فرح اليهود بما فعلتم فان الضد يعجبه الخباط
 ألم يك فيكمو رجل رشيد يرى سجن الامام فيستشاط
 امام لاولاية كان يرجو ولا وقف عليه ولا رباط
 ولا جارا كو في كسب مال ولم يعهد له بكم اختلاط
 فقيم سجنتموه وغضتموه أما لجزا أذيتيه اشتراط؟
 وسجن الشيخ لايرضاه مثلي ففيه لقدر مثلكم انحطاط
 أما والله لولا كتم سرى وخوف الشر لانحل الرباط
 وكنت أقول ما عندي ، ولكن بأهل العلم ما حسن اشتطاط
 فما أحد إلى الانصاف يدعو وكل في هواه له انخراط
 سيظهر قصدكم يا حابسيه وينتكم إذا نصب الصراط
 فها هو مات عنكم ، واسترحتم فعاطوا ما أردتم أن تعاطوا
 وحلوا واعتدوا من غير رد عليكم وانطوى ذاك البساط
 تمت والحمد لله رب العالمين

مرثية في الشيخ تقي الدين أبي العباس ، أحمد بن تيمية قدس الله روحه

لما نعى الشيخ الامام المتقى
فاضت محاجر مقلتى ، يا حسرتى
زفرت أشواقى أكاد لحرها
وتركت من بعد التقى بلوعة
متهتك الأستار ولهان الحشا
حزنى عليه مدى الزمان تأسفا
يا قلب ذب أسفا عليه وحسرة
يامهجتى ذوبى عليه صبا
يامقلتى سحى بدمع هاطل
يالىتنى يوم الفراق حضرة
وأودع الوجه المليح بنظرة
ما كان أهنا عيشنا بحيانه
لو كان يفدى ما بخلت بمهجتى
يا أهله ، لا تجزعوا لفراقه
فله جنان الخلد يسكنها غدا
هو شيوخنا ، ورئيسنا ، وإمامنا
إن قلت طود العلم فهو حقيقة
يفتى بجمع مذاهب عن أربع

نجل رئيس فاضل جبر تقى
لفراقه فرقا ، وزاد تقلقى
تنقض منى مهجتى بتحرقي
ومدامعى من بعده لا ترتقى
أبكى الديار عليه حتى نلتقى
يامقلتى سحى دما وترقرقى
فقليل مالا قيت شيب مفرقى
وتقطعى لفراقه وتمزقى
متحدر مسح السحاب المطبق
حتى أجدد ماضى من موثقى
يحيا بها قلب الكئيب المشفق
يالىت يوم فراقه لم يخلق
فى حقه ، ولكنت أول من يقى
ولأجل كأس من حمام قدسقى
وعلى مناصبها العلية يرتقى
لله در الطاهر الخبر التقى
فاسمع بهذا القول فيه وحقق
لكنه فى الفضل آخر من بقى

هو في القراءة أوحده في عصره هو في الأصول مفيدنا والمنطقي
 شيخ الطريقة والحقيقة عارف ورث الامامة والعلوم ، فحقق
 متصدق ، متفضل ، متطول لله ماأجزاه من متصدق
 قد كان فينا وابلا نحيا به وثناؤه فينا كمسك معبق
 قد كان فينا جنة أنهارها تجرى لنا من علمه المتدفق
 قد كان فينا سيداً من سيد فاقطع بهذا القول فيه وصدق
 ياقبره يهنيك ماقد حزنه من زاهد بر زكى متقى
 قد صرت روضة جنة بحلولة فلك الفخار بسيد وموفق
 فالله يرحمه ويحبر كسره ويغيثنا من فضله المغدودق
 واجبر بعفوك ناظماً لقريضها حسناً أعنه تفضلاً وتصدق
 ثم الصلاة على النبي محمد خير الأنام ومن لعرشك يرتقى
 والحق به الآل الكرام وصحبه بكرامة فلا أنت أكرم ملحق
 تمت والحمد لله رب العالمين

مرثية في شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن تيمية من نظم الشيخ
 شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، رحمهما الله تعالى ورضى عنهما :
 أهكذا في الدياجي يحجب القمر ويحبس النور حتى يذهب المطر
 أهكذا تمنع الشمس المنيرة عن منافع الأرض أحياناً فتستتر ؟

أهكذا الدهر ليلا كله أبدا
 أهكذا السيف لاتمضى مضاربه
 أهكذا القوس ترمى بالعرء ، وما
 أهكذا يترك البحر الخضم ولا
 أهكذا بتقى الدين قد عبثت
 الى ابن تيمية ترمى سهام أذى
 بدّ السوابق ممتد العبادة لا
 ولم يكن مثله بعد الصحابة في
 طريقه كان يمشى قبل مشيته
 فرد المذاهب في أقوال أربعة
 لما بنوا قبله عليا مذاهبهم
 مثل الأئمة قد أحيا زمانهم
 إن يرفعوهم جميعا رفع مبتدأ
 أمثله بينكم يلقى بمضيعة
 يكون ، وهو أمانى لغيركم
 والله ، لو أنه في غير أرضكم
 مثل ابن تيمية ينسى بمجلسه
 مثل ابن تيمية ترضى حواسده
 فليس يعرف في أوقاته سحر ؟
 والسيف في الفتك ما في عزمه خور ؟
 تصمى الرمايا ، وما في باعها قصر ؟
 يلوى عليه ، وفي أصدافه الدرر ؟
 أيدي العدى ، وتعدى نحوه الضرر ؟
 من الأنام ، ويديمى الناب والظفر
 يناله ملل فيها ولا ضجر
 علم عظيم وزهد ماله خطر
 بها أبو بكر الصديق ، أو عمر
 جاءوا على أثر السباق وابتدروا
 بنى وعمر منها مثل ما عمروا
 كأنه كان فيهم وهو منتظر
 فحقه الرفع أيضا ، إنه خير
 حتى يطيح له عمدا دم هدر
 تنوبه منكمو الأحداث والغير ؟
 لكان منكم على أبوابه زمر ؟
 حتى يموت ، ولم يكحل به بصر
 بحبسه ، أولكم في حبسه عذر ؟

مثل ابن تيمية في السجن معتقل
 مثل ابن تيمية يرمى بكل أذى
 مثل ابن تيمية تذوى خائله
 مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى
 مثل ابن تيمية يمضى ، وما عبت
 مثل ابن تيمية يمضى وما نهلت
 ولا تجارى له خيل مسومة
 ولا تحف به الأبطال دائرة
 ولا تعبس حرب في مواقفه
 حتى يقوم هذا الدين من ميل
 بل هكذا الساف الأبرار ما برحوا
 تأس بالأنبياء الطهر ، كم بلغت
 في يوسف ، في دخول السجن منقبة
 ما أهملوا أبداً بل أمهلوا مدى
 أيذهب المنهل الصافي وما نعت
 مضى حميدا ، ولم يعلق به وضر
 طود من الحلم لا يرقى له فن
 بحر من العلم ، قد فاضت بقيته

والسجن كالغمد وهو الصارم الذكر
 وليس يحلى قذى منه ، ولا نظر
 وليس يلقط من أفنائه الزهر
 وما تروق بها الأصال والبكر
 بمسكه العطر الأردان والطر
 له سيوف ولا خطية سمر
 وجوه فرسانها الأوضح والغرر
 كأنهم أنجم في وسطها قمر
 يوما ، ويضحك في أرجائها الظفر
 ويستقيم على منهاجه البشر
 يبلى اصطبارهم جهدا ، وهم صبروا
 فيهم مضرة أقوام ، وكم هجروا
 لمن يكابد ما يلقى ويصطبر
 والله يعقب تأييدا وينتصر
 به الظمأة ، وتبقى الحمأة الكدر ؟
 وكلهم وضر في الناس أو وذر
 كأنما الطود من أحجاره حجر
 ففاضت الأبحر العظمى ، وما شعروا

يأليت شعري، هل في الحاسدين له
 هل فيهم لحديث المصطفى أحد
 هل فيهم من يضم البحث في نظر
 هلا جمعتم له من قومكم ملاً
 قولوا لهم: فال هذا، فابحثوا معه
 يلقي الأباطيل أسحار لها دهش
 فليتهم مثل ذاك الرهط من ملاً
 وليتهم أذعنوا للحق مثلهم
 يا طالما تقرؤا عنه مجانبه
 هل فيهمو صادع للحق مقوله
 رمى إلى نحر غازان مواجهة
 بتلّ راهط، والأعداء قد غلبوا
 وشق في المرج والأسياف مصالمة
 هذا، وأعداؤه في الدور أشجعهم
 وبعدها كسروان، والجبال، وقد
 واستحصد القوم بالأسياف جهدهم
 قالوا: قبرناه. قلنا: إن ذاعجب
 وليس يذهب معنى منه متقد

نظيره في جميع القوم إن ذكروا؟
 يميز النقد، أو يروى له خبر؟
 أو مثله من يضم البحث والنظر؟
 كفعل فرعون مع موسى ليعتذروا؟
 قدامنا، وانظروا الجهال إن قدروا
 فليقف الحق، ما قالوا، وما سحروا
 حتى يكون لكم في شأنهم عبر
 فآمنوا كلهم من بعد ما كفروا
 وليتهم تقفوا في الضيم أو تقرؤا
 أو خائض للوغى، والحرب تستعر؟
 سهامه من دعاء عونه القدر
 على الشام، وطار الشر والشرر
 طوائف كلها، أو بعضها التتر
 مثل النساء بظل الباب مستتر
 أقام أطوادها، والطود منفطر
 فطالما بطلوا طغوا وما بطروا
 حقاً، ولا كوكب الدرى قد قبروا
 وإنما تذهب الأجسام والصور

لم يبكه ندما من لا يصب دما
 لطفى عليك ، أبا العباس ، كم كرم
 سقى ثراك من الوسمى صديبه
 ولا يزال له برق يغزله
 لفقد مثلك ، يامن ماله مثل
 يا وارثا من علوم الأنبياء نهى
 يا واحداً لست أستثنى به أحدا
 يا عالما بنقول الفقه أجمعها
 يا قانع البدع اللاتى تحببها
 ومرشد الفرقة الضلال نهجهم
 ألم تكن للنصارى واليهود معا
 وكم فتى جاهل غرأبت له
 ما أنكروا منك إلا أنهم جهلوا
 قالوا بأنك قد أخطأت مسألة
 غلطت فى الدهر ، وأخطأت واحدة
 ومن يكون على التحقيق مجتهدا
 ألم تكن أحاديث النبی إذا
 حاشاك ما شبه فيها ، وما شبهه
 يجرى به وبما يهيم وتنهمر
 لما قضيت قضى من عمره العمر
 وزار معنك قطر كله قطر
 حلوا المرأشف فى أجفانه حور
 تأسى الحاريب والآيات والسور
 أورثت قلبى نارا وقدها الفكر
 من الأنام ، ولا أبقى ولا أذر
 أعنك تحفظ زلات كما ذكروا ؟
 أهل الزمان وأهل البدو والحضر
 إلى الطريق ، فما حاروا ولا سهروا
 مجادلا ، وهم فى البحث قد حضروا ؟
 رشد المقال فزال الجهل والضرر ؟
 عظيم قدرك ، لكن ساعد القدر
 وقد يكون . فهلا منك تغتفر ؟
 أما أجدت إصابات فتعتذر ؟
 له الثواب على الحالين ، لا الوزر
 سئلت تعرف ما تاتى وما تذر
 كلاهما منك لا يبقى له أثر

عليك في البحث أن تبدى غوامضه وما عليك إذا لم تفهم البقرة
 قدمت لله ما قدمت من عمل وما عليك بهم ذموك أو شكر و
 هل كان مثلك من يخفى عليه هدى ومن سمائك تبدو الأنجم الزهر ؟
 وكيف تحذر من شيء تزل به أنت التقي ، فماذا الخوف والحذر ؟
 تمت والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وقال الشيخ الصالح العابد محمد أبو طاهر ، البعلی الحنبلى ، يمدح
 شيخ الاسلام والمسلمين الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله ورضى عنه :
 يا ابن تيمية ، يا أنصح العلماء يا من لأسرار دين الله قد فهمها
 يا آية ظهرت في الكون باهرة لا زلت في سلك دين الله منتظما
 وكنت واسطة في عقده أبدا تزيل منه الأذى والفحش والسقما
 جمعت منه الذى قد كان فرقه قوم رأوه هدى منه ، وكان عمى
 وكنت أحرص خلق الله كلمهم على التآف ، تعطى الفضل والنعماء
 ولست خبياً لئيماً ، باخلا شرهاً لـ كن تقياً ، تقياً ، سيد الكرماء
 تغفون عن الجاهل الجانى وترحمه وتسكث العدل والانصاف للخصماء
 ما زلت تغضب في ذات الإله ولم تكن لنفسك يا ذا الحلم منتقما
 فأنت حبر هدى أحيا الاله به من دينه سننا أماته الغشماء

في رأس سبع مئين كنت قد وجبت لك الإمامة يا خلاصة العلما
 وكل شيء به جل الوري هلكوا فشيخنا ذى التقى من شره سلما
 وكل وصف كمال في نظائره له خصائصه لا تقتضى العدا
 كان المبرز في كل العلوم ، وقد أضحت له في ذرى أسنامها علما
 وكان حاوى صفات الخير أجمعها قد جل في كل حالات التقى قدما
 لما أراد عداه دحضه دحضوا وزاده الله عزا ، دائماً ، وسما
 أضحت عوائده تبدى فوائده على موائده في حضرة الحكم
 فهو التقى ، به أهل التقى ألفوا وأبعد الله عنه المجرم الزنا
 وهو الحك الذى بان العباد به إما كراما وإما خيبا أوما
 فإن أردت تعاير العباد به عرض بذكراه مدحا ، وانظر السيا
 ترى القوى حزينا ثم ، منقبضا وتنظر المتقى قد سر مبتسما
 فخبه نعمة فاز السعيد بها وبغضه نقمة بها الشقى وسما
 فالحمد لله ، أهل الحمد ، خالقنا كم قد أفاض علينا في الوري نعما
 عافي القلوب من الأسقام أجمعها وعم بالجود من وفى ومن ظلما
 كم أفرجت كربة عنا بمنته وكم أعان ، وكم عفى ، وكم رحما ؟
 لا ترحى غيره في رفع نازلة يبقى الهدى عنك والاحسان منصرما
 ولا تكن بسواه عنه مشتغلا لى تنال التقى والفوز والكرما

وكن محباً له ساع بطاعته فالسعى في غير هذا يورث الندما
تمت بحمد الله وعونه وحسن وتوفيقه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

وقع الفراغ التام من نسخ الكتاب المستطاب من أوله إلى صفحة ١١٥
بيد أبي عبد الله محمد بن حسن رحمة الله عليه ربه

ومن صفحة ١١٦ إلى آخره بيد أبي اسمعيل يوسف حسين بن محمد
حسن رحمة الله الصابر الخفيف السني الحمدي .

رواح يوم الاثنين ١٢ شوال سنة ١٣١٢ هجرية على صاحبها أتمنى
الصلاة وأزكى التحية

مستبقى خطوطى في الدفاتر برهة وأتمنى تحت التراب رميم

وقد وقع الفراغ من طبع هذا الكتاب في اليوم التاسع من شهر
ذى القعدة سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف من هجرة سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم الموافق ١١ من يناير سنة ١٩٣٨ ميلادية . وذلك
بالمطبعة العامرة بآلاتها المتقنة وعمالها النجباء وخاصة رئيسا العمال فيها
سميد محبوب وحسن إبراهيم وهى مطبعة حجازى لصاحبها النشيط
المحترم عبد اللطيف افندى حجازى زادها الله كالا ورواجا . وذلك
على ذمة الساعى فى نشر العلم وخدمة الدين محمود افندى توفيق
السكرتير بالأزهر جزاه الله خيرا . ووفقه لما يحبه ويرضاه
ونسأل الله لنا ولاخواننا المؤمنين وللمؤمنين سيقونا بالإيمان : المغفرة والرحمة
والتوفيق والسداد .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
وكتبه الفقير إلى عفو الله

محمد حامد الفقى

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية









